

إصدار الذكرى العاشرة  
10 Years Anniversary Edition

أمامة المسلسل

فخرو  
أمامة السلام  
الروملي

١٠

إصدار الذكرى العاشرة  
10 Years Anniversary Edition

# فخرو

الروائي  
أسامة السليم

١٠

إصدار الذكرى العاشرة  
10 Years Anniversary Edition

 @osamahalmuslim  
 @osamahalmuslim  
 osamahalmuslim  
 Komontage

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

منذ اليوم الأول .. وبعد مضي عقد من الزمان ..  
بقيت هذه المدونة صامدة أمام سيف الوقت ..  
بكم وبينكم .. يقرأها المزيد والمزيد كل يوم ..

وأنا أعتز وأفتخر بكل قارئ ..  
كان معي خلال هذه الرحلة التي لم تنته بعد ..  
مرحباً بك مجدداً في عالمي إن كنت عائداً ..  
وأهلاً بك إن كنت زائراً ..

ولكل قارئ جديد أقول ..

# لماذا تأخرت؟



تَذَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَدْخَلَ..

أَنْتَ لَنْ تَخْرَجَ..

## مقدمة

هذه الرواية أو السيرة الذاتية أو كما سنتفق على تصنيفها لاحقاً، ليست لتصنيف فئة من المجتمع أو عزل فئة دون غيرها مع أن التصنيف مهم في مجتمعي وواحد من أهم أوراق الاعتماد المبدئية قبل قبول رأيك أو حتى سماعه، فلا بد أن يكون لك تصنيف معين أو رتبة يتم على أساسها تقويم عقلك أو فكرك أو تجاربك.

وُلِدْتُ في المملكة العربية السعودية في منتصف السبعينات بعد زواج أمي وأبي بسبع سنوات، كنتُ مصدر فرح وبهجة لهما وللعائلة أجمعها، وقد أخبرتني أمي لاحقاً أنني وُلِدْتُ مبتسماً ولم أبك عند ولادتي. قبل أن أكمل سنتي الأولى سافرتُ بمعية والدي إلى الولايات المتحدة الأمريكية حين قرّر أبي إكمال دراسته للحصول على درجة الماجستير، فنشأتُ في بيئة مختلفة كلياً عن البيئة التي سوف أعود إليها لاحقاً بعد انتهاء أبي من الدراسة.



نشأتُ في بيئةٍ غربيّةٍ وتعلّمتُ اللغة الإنجليزيّة قبل العربيّة وأصبحتُ لغتي الأولى، وعشتُ مثلَ أيِّ طفلٍ غربيٍّ يمارس حياته اليوميّة تحت ظلِّ أكبر دولةٍ رأسماليّةٍ في العالم، وبدأتُ بمرحلة الحضّانة مرورًا برياض الأطفال، وكنتُ أتناول الوجبات السريعة من ماكدونالدز وغيره من المطاعم الأمريكيّة الشهيرة، وحظيتُ بزيارةٍ إلى عالم ديزني الساحر وأنا ما زلتُ طفلًا في الرابعة من عمري، ولم أدرك إلاّ فيما بعد أنّي كنتُ أتسلّح بأدواتٍ فكريّة ستكون في مرحلةٍ قادمةٍ من حياتي أكبرَ نافذةٍ أُطلُّ بها على عالم ما يزال البعض حتّى يومنا هذا يسمّيه عالم الكُفر والفِسق البغيض.

بعد خمسةِ أعوامٍ تقريبًا عدنا مع أبي إلى مسقط رأسه؛ بعد انتهاء دراسته، وتوافق ذلك مع ولادة أخي الوحيد والذي حمل الجنسيّة الأمريكيّة لأنّه وُلِدَ على أراضيهَا.

عُدْتُ إلى عالم وثقافةٍ لا أعرف عنهما شيئًا، عُدْتُ وأنا لا أجيد كلمةً واحدةً من اللغة التي يتحدّث بها من حولي، كنتُ كالغريب الذي أتى من كوكبٍ آخر. كان يُزَجَّج بي في المجالس للتحديث مع الناس بتلك اللغة

الغريبة التي لم يسمعوها إلا من التلفاز في الأفلام والمسلسلات الغربية  
والتي لا يُجيدها الغالبية وخاصة من كبار السن، فكان من الغريب رؤية  
طفل في الخامسة يتحدث بها بطلاقة، وأتذكر بوضوح أنه كلما تحدثت كان  
الضحك يعم المكان دون أن أعرف السبب، لا أذكر ذلك تكبراً أو غروراً  
لكنه كان إحساساً ملاصقاً لي بعدم الانتهاء، خاصة في الأيام الأولى من  
عودتي إلى البلاد.

كان أكثر سؤال يُوجّه إليّ هو:

« What is your name? »

وقتها وعلى النقيض ممن كان يضحك كانت تحيط بي نظرات استياء من  
بعض مرتادي تلك المجالس لأنني كنت أتحدث بلغة «الكفار» من وجهة  
نظرهم، ولم يكونوا يخفون ذلك الاستياء بتنبيه أبي من وقت لآخر وكأني  
على وشك الانحراف والخروج عن الطريق المستقيم، لكنّ والله الحمد لم  
يكنّ أبي من الناس الذين يُحاربون ما يجهلون أو في مبادئهم يُجاملون، وقد  
ربّاني على ذلك، لذلك تجاهل تلك التعليقات ولم يُلِق لها بالاً.

خلال أشهر قليلة تعلّمتُ والتّقّطتُ العربيّةَ بواسطة الممارسة والاستماع، ولكنّي لم أنسَ لغتي الأولى التي كنتُ مشتاقًا جدًّا لسماعها وممارستها بين الحين والآخر، تلك اللغة التي عشتُ معها ومن خلالها أيام طفولتي الجميلة. كانتُ أولى وسائلِ عودتي إلى ذلك العالم الذي اشتقتُ إليه هو مشاهدة القناة السعودية الثالثة «أرامكو» فقد كانتُ مخصّصةً لموظّفي شركة الزيت العربيّة الأمريكيّة والتي سُمّيتُ فيما بعد بشركة الزيت السعوديّة ARAMCO فقد كانتُ تَبثُّ من الظهران في المنطقة الشرقيّة وموجّهةً إلى الأمريكيّين والأجانب كنوع من العلاج لحنينهم إلى الوطن.. كنتُ من ضمن من حتّوا وتابعوا تلك القناة.

ومنذ اكتشافها لها أصبحت تلك القناة نافذتي التي أُطلُّ منها كلّ يومٍ على عالمي الذي خرجتُ منه دون سابق إنذار، كنتُ أتابعها حتّى ينتهي البثُّ ليلاً.. وكانّ عمليّة تثبيت تلك الثّقافة في عقلي قد توقّفتُ بعودتي إلى «وطني» والآن استأنف التثبيت بعد متابعتي للقناة وبرامجها المتمحورة حول ثقافتني الأولى.

لم أنجذب يوماً إلى الثّقافة المحليّة ليسَ كرهاً بها أو تكبراً عليها لكنّ الأمر أشبه بالغريزة المُلحّة تجاه الثّقافة الأخرى، تماماً مثل الطفل الذي اكتشفَ

بعدما عاش وتربى في كنف أمه حتى وصل الخامسة من عمره أنه متبنى، وأن أمه الحقيقية التي أنجبته قادمة لأخذه من أحضان أمه الأولى، فبدأ بالبكاء لفراق من ربته في الصغر، ليس كرهاً بأمه الحقيقية أو البيولوجية، بل ارتباطاً بأمه التي ربته واحتضنته وكانت معه في خطواته الأولى في هذه الدنيا.

كانت برامج قناة «أرامكو» كالألبوم صور لتلك الأم التي ربنتني وانتزعت من أحضانها بعدما ألفتها وارتبطت بها عاطفياً وعقلياً. كنت أتصفح ذلك الألبوم كل يوم وأنا أشتاق لرؤياها حتى وإن كانت تلك الأم غير مسلمة وترتدي الصليب، لذلك لا يفهمني الكثير من الناس اليوم عندما اتحدث بإيجابية عن أمي الأولى أو ثقافتي الأولى إن صح التعبير والتي يصفونها دائماً بالفسق والفجور في كل مناسبة.. فمن منا يرضى أن تُسبَّ أمه أمامه، أو يقف ساكتاً وساكتاً وهو يسمع من يتهمها بأبشع التهم والأوصاف وإن كان بعضها صحيحاً؟ لذلك كنت أتحذّر عنها في الكثير من النقاشات بالرغم من الأوصاف التي ألصقت بي لقيامي بذلك.

## اليوم الذي اكتشفت فيه القراءة

تعطّل التلفاز.. كنتُ في العاشرة من عُمرِي تقريبًا، وفي تلك اللحظة المبكرة من حياتي أحسستُ بالضياء، وشعرتُ أنّ بصري قد سُلِبَ مِنِّي؛ لأنّي لم أكن مثل بقية الأطفال الذين يلعبون الكرة بشغفٍ في الشارع، أو يركبون درّاجاتهم متقلّين من زقاقٍ إلى آخرٍ يجمعون من الحياة خبراتهم عن طريق الممارسة والاحتكاك المباشر مع أقرانهم، فقد كان لي عالمي الخاص الذي تشوّش وتعكّر صفوه بتعطّل ذلك التلفاز.

ذهبتُ إلى أبي أرجوه أن يُصلح التلفاز؛ لإعادة نافذتي الوحيدة على العالم إلى سابقِ عهدِها، كنتُ في بدايةِ يومي وكان التلفاز - بعد نهاية يومي الدراسي - بمنزلة الصندوق السحري الذي يمنحني جرعاتٍ من التشويق والإثارة والتي كنتُ أتوق لها دائمًا؛ لأنّي لم أكن أملكُ هوايةً أتسلّى بها في ذلك الوقت أو أقتلُ بها وقتَ فراغي الذي كان وما زال إناءً يفرغُ بسرعةٍ وهاجسي على الدوام ملؤه. وعلى الرغم من سرعة استجابته، إلّا أنّ ظني خاب عندما علمتُ بعد عودة أبي مساءً أنّ الجهاز سيبقى في الورشة ثلاثة أيامٍ حتّى يتمّ

إصلاحه. نما عندي فضولٌ قويٌّ ذلك اليوم لأشغلَ وقتي بشيءٍ بديلٍ حتَّى  
تعود نافذتي إلى سابقِ عهدِها. بدأتُ البحثَ في أرجاء المنزل لعلِّي أجِدُ شيئاً  
يُسَلِّيني خلال تلك الأيام الثلاثة الموحِشة، قادني البحث إلى الطابق العلوي  
من منزلنا إلى غرفةٍ لم أفكرُ بدخولها يوماً... مكتبةُ أبي.

لا أستطيع وصفَ شعوري ذلك اليوم عندما فتحتُ باب المكتبة،  
كنتُ كمن اكتشفَ كنزاً مدفوناً في فناء منزله. لقد كان الكنز مجموعةً  
من الكتب والمجلَّات والأشرطة والوثائق التي جمعها أبي خلال سنواتِ  
دراسته في أمريكا، كانتُ كلُّها مصفوفةً في دولاِبٍ زجاجيٍّ ضخَمٍ ومرتبّةً  
بعنايةٍ شديدةٍ، أمّا طاولة القراءة فكانت مثل تلك التي تجدها في غرفِ  
الاجتماعات، يتربّع فوقها مجسَّمٌ للكرة الأرضية وفي مركزها كرسيٌّ متحرِّكٌ  
من الجلد الطبيعي.

أحسستُ أنَّ العالم بين يديَّ، ومع أنَّ الكتب والمجلَّات والأشرطة  
كانتُ كلُّها باللغة الإنجليزية ومواضيعها أكبر من عمري إلّا أنّي نهلتُ منها  
بشغفٍ، وعشقتُ من خلالها القراءة والاستماع إلى أغاني مغني الستينات



والسبعينات مثل The Beatles و the Bee Gees و Boney M، وأنا  
أتصفح أول نسخة لي من مجلة Time.. كنتُ هناك وأنا هنا.

وجدتُ في تلك المكتبة البساطَ السحريَّ الذي لفَّ بي العالم عبرَ  
صفحاتٍ من الورق، ومن خلال بعض الألحان الموسيقية التي كانتُ  
تأخذني إلى ثقافتي الأولى في ثوانٍ. كنتُ أشعر أني محظوظٌ لأنَّ معظمَ  
الأطفال ممن حولي وفي سني لم يكونوا يستفيدوا من هذا الكنز العظيم  
دونَ اللغة التي كنتُ أملكُها، والتهيئة الثقافية والفكرية التي غُرستُ بي،  
والحرية التي مُنحت لي في تصفُّح تلك المكتبة.

أنهيتُ قراءة أولِ موسوعة لي في أيامٍ وقد كنت مجردَ طفلٍ في العاشرة،  
وأبحرتُ في علومٍ لم أكن أفهمُها في ذلك الوقت؛ لأنَّ أبي كان يحبُّ اقتناء  
الكتب في مختلف المجالات، وكانت لديه أيضًا مجموعةٌ خاصةٌ مُقفلة عليها  
في حقيبة دبلوماسية سوداء تمكَّنتُ من فتحها لاحقًا بعد عدة أشهرٍ.

عاد التلفاز إلى المنزل بعد مضي الأيام الثلاثة ولم أعِره أيَّ انتباهٍ كالسابق،  
فقد وجدتُ ما هو أثيري وأغنى، لذا أبحرتُ في محيطات تلك المكتبة دون

توقّف حتى تخرّجتُ من المرحلة الابتدائية، وفي ذلك الوقت لم أكن أجدُ في المناهج الدراسيةِ جاذبيّةً ما أثرَ بشكلٍ عكسيٍّ على مستوى تحصيلي العلميّ.. لم أكن غيبًا، ولكن غير مهتمّ.

لم تكن لي صداقاتٌ كثيرةٌ في تلك المرحلة من حياتي؛ ليس لأنّي مُنطوٍ، لكنني لم أنجذب إلى الأطفال في عمري، فموضوعاتهم بعيدةٌ بمراحلٍ عن الموضوعات التي قد تُحرّك أدنى اهتمامي، وكنتُ أجدُ في اهتماماتهم سطحيّةً شديدةً بالرغم من محاولاتي المتكرّرة للاندماج معهم، في تلك المرحلة بدأتُ بقراءة المؤلفات المحليّة لكنّها أيضًا لم تجذبني؛ بسبب اختلاف الأسلوب والقوّة في الطرح عن مثيلاتها في الطرف الغربي، ولكن شدني الأدب وقرأتُ لأحمد شوقي كثيرًا، لا أعرف لماذا لكنّه أكثرُ شاعرٍ لفت انتباهي وجذبني لما يكتب.

مضت الأيام وعشتُ بعقلٍ مختلفٍ عمّن حولي، ليس بالضرورة أذكى لكنّه بالتأكيد مختلفٌ. كانت قراءتي اليوميّة والمستمرّة لتلك الكتب في مكتبة أبي عاملاً رئيسًا في تبلور شخصيّتي وحدوث ما يشبه البلوغ المبكر لعقلي. كنتُ أحبُّ تحليل الشخصيّات لأنّ العيّنات كانت كثيرةً ومتنوّعةً من حولي.



أذكرُ حين كنتُ في الثانية عشرةَ من عُمرِي تقريبًا عانيتُ من مشكلةٍ في المعدة، وكان هذا الألم متكرّرًا ولم يُجدِ معه علاجُ الأطباءِ والاستشاريين كلُّهم الذين أخذني إليهم أبي وبسبب قلقِ أُمِّي عليَّ وعدم تقديم الطب الحديث حلًّا لحالتي المزمنة قرّرتُ أُمِّي الذهابَ بي إلى «شيخ» متخصصٍ في القراءة على الناس، وبالرغم من أنّ أُمِّي لم تكن لتطرقَ هذا الباب المجهول أو تفكّرَ به، ليس جَحْدًا بالقرآن وقدرته بإذن الله على شفاء الناس، ولكن شكا بمارسي القراءة وعدم ثقة بهم. في النهاية خضعتُ أُمِّي لضغوط أقاربها وإصرارهم وتوصياتهم العالية بحق هذا الشيخ «الفاضل».

خرجنا مع أبي بعد إلحاح أُمِّي وتوجّهنا إلى شخص كان يُلقَّب بـ «الشيخ العماني» لبدء جلسات العلاج معه. كان أبي يوصلنا إلى منطقة بيوتها من طينٍ لنقطع أنا وأُمِّي المسافة الباقية على الأقدام عبر بيوت قديمةٍ متهاكّة، وقد كانت بيئةً جديدةً عليّ في ذلك الوقت. كانت شوارعها ذات رائحةٍ مميزة. لم أكن أعي في الزيارة الأولى وجهتنا لكن مع تكرار الزيارات كنتُ أحمّس للذهاب لأنّ تلك المنازل الطينية التي مررنا بها كانت تُعجّبي لسبب ما. كنّا ننتظر الشيخ في غرفةٍ صغيرةٍ ممتلئةٍ بالنساء والأطفال ونادرًا

ما نرى رجلاً بينهم، وكان هذا الانتظار يمتدّ إلى فتراتٍ طويلةٍ في زيارتنا الأولى قبل أن تُدرك أمّي الآليّة التي يعمل بها هذا المكان وهي «المال»، فحصلنا على تصاريح مرور VIP في كلّ زيارةٍ بعد إدراك أمّي لهذه الآليّة. كانت الأموال تتدفّق في يد كلّ مَنْ يُوصِلُنَا إلى «الشيخ» بسرعةٍ، وفي نهاية المطاف وبعد عدّة نقاطٍ جمركيّةٍ لا أجلس أمامه إلّا بضع دقائقٍ تحاول فيها أمّي شرحَ حالتي بسرعةٍ والقلقُ بادٍ على وجهها وهو مغمضُ العينين يضعُ يدهُ على رأسي ويتمتّم ببعض الكلمات غير المسموعةِ بوضوح وأنا أنظر إليه بخليطٍ من الخوف والاستغراب، وينتهي اللقاء عادةً بالبصق في وجهي وفي قارورةٍ من الزيت أو الماء وخروجنا بسرعةٍ وعلى عُجالةٍ وكأننا نهرب من مسرح جريمةٍ.

استمرّت زيارات أمّي إلى «الشيخ» واستمرّت جلسات البصق في وجهي حتّى توقّفت أمّي فجأةً عن الذهاب إليه. بصراحة لقد اعتدّت على تلك الزيارات التي كانت تُخرِجُني من المنزل، إذ لم أكن من الأولاد الذين يُسمَحُ لهم بالخروج كثيراً، لذلك كانت تلك المواعيد «العلاجيّة» تغييراً جيّلاً عن الروتين المعتاد.

بعد عدة أسابيع من انقطاع زيارتنا إلى منزل «الشيخ» سألتُ أُمِّي:

«لماذا لم نَعُدْ نذهب إلى ذلك الشيخ يا أُمِّي؟»

فردَّت أُمِّي بِرَدٍّ لم أضحك عليه إلا بعد سنواتٍ عندما كبرتُ واستوعبتُ  
كلامها فقد قالت بحسرة:

«قبضت عليه الشرطة».

لم أتصوّر يوماً أن أُمِّي تلك المرأة المتعلّمة، والتي زارت أكثر من عشرين  
دولةً حول العالم، سيتهي بها المطاف إلى أخذ ابنتها إلى رجلٍ غريب كي  
يُصنق في وجهه وتدفع له مبلغاً مجزياً مقابل ذلك.

دفعني هذا الموقف حين استرجعته في ذاكرتي يوماً إلى التفكير، وأثار ذلك  
في عقلي المتسائل سؤالاً:

لماذا..؟

لماذا فعلت أمي ذلك؟

لماذا ذهبت إلى ذلك الدجال الذي أغرقني ببُصاقه وزيوته..؟

لم أجِدْ إلا جوابًا واحدًا.. «الخَوْف»..

نعم إنه الخَوْف.. الخَوْف جرّدها من عقلها ومَنطِقِها وجرّدها من وسائل الدفاع عن النفس كُلِّها. الخَوْف الذي كان سلاح ذلك الرجل لكي يبتزّ الناس في أموالهم وأحيانًا أعراضهم، ولا يَقْدِرُ أحدٌ على مناقشتِهِ؛ لأنّه كان يلبس عباءةً أعطته الصلاحيات كُلِّها والحصانة التي يحتاجها... (الدين).

بقي هذا الموضوع في ذهني حتّى بلغت العشرين من العمر فأصبح محور اهتمامي، وصرتُ أراقبُ أفراد المجتمع حولي، ووضعتُ نظرية «الخَوْف» للقياس والتجربة أكثر من مرّة ولم تُخَيِّبْ هذه النظرية ظني قَطُّ. حاولتُ أن أوضّح للناس بالنقاش المنطقي أنّ الثقة العمياء التي يهبونها إلى بعض المتنكرين بعباءة الدين تخالفُ غريزة الحذر والخَوْف التي هي من أساسيات البقاء عندهم، لكنّ تأثير اللّحية والثوب القصير وزائحة دهن العود كان

أقوى مني ومن منطقي. مع ذلك تسلّحت بالأمل في أن أحقّق تغييراً في  
نمط التفكير السائد تجاه «التمشيخين»، لكن عند وصولي إلى المرحلة  
الجامعيّة اكتشفتُ أنّ مجتمعي يعاني من سوء فهم لمعنى الفهم.

بمعنى آخر، هناك حكمٌ سابقٌ على عقل الشخص قبل أن يفتح فمه،  
وحكمٌ على أخلاقه قبل أن يتم التعامل معه. لم أفهم هذا النظام ولم أقرأ عنه  
من قبل في أيّ كتابٍ.

تكيّفتُ مع مجتمعي بالتمسّك بمفاهيمي ومبادئ، وأتقنتُ تجاهل مَنْ  
اختر أن يكون جاهلاً.

كان البعض ينتقد استشهادي بأينشتاين لأنّه يهوديّ، ويتّهمني بالغباء  
لأنّني مُعجَبٌ بعقليّة هتلر النازيّ، وكان العُرف المفروض هنا أن كلّ شيءٍ  
خارج حدود جغرافيّة وطني لا يجوز التعاملُ معه إلّا بازدراءٍ وحسرةٍ، فهم  
الضالون ونحن الناجون.

حتى صداقاتي مع معتنقي الديانات الأخرى وأصحاب المذاهب المختلفة كان ينظرُ إليها البعض على أنها خيانةٌ عظمى للمنظمة التي ستدخل الجنة من أوسع أبوابها.

لا أنكرُ أنني حاولتُ تبني هذا الفكرَ في فترةٍ من فترات حياتي من باب التكيف وتجربة الجديد لكن لم أستطع، لأنَّ متطلبات عقلي كانت أكبر، اتُّهمْتُ بالزندقة وازدراء الدين أكثرَ من مرَّةٍ وفي مناسبات عدة من قَبْل عددٍ من المتعالين والتمشيعين لأسبابٍ ليست دينيةً من الأساس.

بدأتُ بعدها بالتفكير حتى توصلتُ إلى قناعةٍ خاصَّةٍ بي وهي أنَّ الأحقَّ مثل العاري أمام الناس وسوف يغطِّي ويسترُ نفسه بأيِّ شيءٍ وبأيِّ طريقةٍ حتى يداري حماقته، فهناك مَنْ يختار الصمت وأنا أحترم هذا النوع، وهناك مَنْ يختار الهجوم على شخصك كي يلتفتَ الناس إليك ويديروا أنظارهم عن عورته المكشوفة وهذا للأسف حال الكثير من أبناء مجتمعي المغيبون.

البعض يخلط بين الجهل والغباء، فيعتقد أنَّ الجهل مذمَّةٌ مثل الغباء، ولا يدرك أنَّنا كلُّنا جاهلون بطريقةٍ أو بأخرى، ولا يعلم العلمُ كلَّه إلا الله، فكلمة جاهل صفةٌ لنقص المعرفة لكنَّ الغباء صفةٌ لنقص القدرة على استيعاب المعرفة وهذا أخطرُ.



في تلك المرحلة من عُمرِي وفي أوج عطشِ عقلي للمعرفة تغَيَّر مجرى حياتي وإلى الأبد. لم أحكِ ما حدث معي لأحدٍ لأنِّي لم أجِد تفسيرًا لتلك الأحداث يقبلُهُ أيُّ عقلٍ في هذا الزمن.

ولكي أكون واضحًا منذ البداية فأنا لا أنتظر القبول أو الرفض من أحد، وسوف أسردُ ما مررتُ به لمجرد التوثيق الزمنيِّ لعلَّه في يومٍ من الأيام بعد أن أرحل عن هذه الدنيا يُنظرُ إلى ما كتبتُه مثلما نُظرَ إلى مؤلفات مَنْ قال أوَّل مرَّةٍ إنَّ الأرض كرويةٌ، فأحرق هو ومؤلفاته ولم تظهر حقيقة ما كتبَ إلا بعد قرونٍ طويلةٍ.

ما سأذكرُه في الصفحات التالية من أحداثٍ وقصصٍ ورواياتٍ لن أطلبَ من أحدٍ تصديقها ولن أدعي أنها حقيقةٌ حفاظًا على نفسي من سَوِّط النقد الجاهل، وكذلك لن أقول إنها روايةٌ من نسج خيالي كي لا أظلمَ جزءًا مهمًّا من حياتي غيَّرها إلى الأبد، لكن سأكتفي بالقول إنها مجرد... إسرائيليات.

## اليوم الذي غير حياتي

كنا في زيارة لأحد الأقرباء، وكان المجلس مكتظاً بالرجال من مختلف الأعمار، وكعادتي كنتُ أناقش الموضوعات الجدلية بحرارة وأصطدم مع أيّ رأي لا يعجبني أو يدخل عقلي، كنتُ أحبُّ أن أسمع عباراتِ الشاء ممَّن حولي عندما أفحِمُ أحدَ المتغطرسين الذين يدعون العلم والمعرفة أمام أفراد المجلس فقط لكونهم يحظون بمكانة اجتماعية أو مادية تؤهمهم بأنهم مخولون بالحديث في أيّ مجال وبكل موضوع.

كنتُ أرتوي بنظرات الفخر والإعجاب من أبي خاصةً وبعض أقاربي ورواد المجلس عامةً وكانت عباراتٌ مثل «أنت سابق سنك» أو «ما شاء الله عليك أفحمتهم» هي التتويج المحبَّب إلى قلبي في كلِّ معركة نقاشية أنتصر فيها.

لا شكَّ أنَّ هناك بعضَ العقول المتحجرة التي كانت تعشش في تلك المجالس كالغربان المسنة التي ترفض وتحرِّم على الطيور الصغيرة الجلوس



فوق غصنٍ هزيلٍ على تلك الشجرة، وتنق في كلِّ مَنْ يحاول الاقتراب منها والتي مهما طرقتها بسندان المنطق ومطرقة الدليل القاطع لن تنفلق أبداً وتعترف بجهلها، لكنها تكتفي بردودٍ وعباراتٍ استفزازيةٍ مضحكةٍ مثل «الحمد لله على نعمة الإسلام» أو «إحنا ما نعرف غير القرآن والسنة» وكأن الذي يتحدث معهم قد جاء للتو من حائط المبكى.

كنتُ معتاداً على هذا الأسلوبِ البائد للهرب من الحوار والنقاش العقلاني، لكنني أستاذ من نظرات التأيد والقبول من بعض الذين ظننت أنهم من العقلاء في المجلس، وكأنهم بهذا التأيد يشتركون واحتهم وينجون بأنفسهم من تصنيفٍ حتميٍّ سوف يعزلهم عن تلك الفئة المسيطرة على مجلسنا «الموقر» ويجعلهم في قائمة ما يسمى في يومنا الحاضر «بالليبرالية»، وهذا المسمى وللأسف استُخدم مع مَنْ ينطبق عليه ومَنْ لا ينطبق، ناهيك عن عباراتٍ مثل «هل ترضاها لأختك» وغيرها من الوسائل المعتادة للهروب من أيِّ نقاشٍ منطقيٍّ.

أكاد أجزم أنَّ بعضكم سيتوقف عن القراءة الآن؛ لأنه قد أصدر عليَّ حكماً بأنِّي أحتقر مَنْ حولي وأنظر إليهم بدونيةٍ، وأحملُ شعلة التحرُّر

والانفتاح لأقوَدَ بها الناسَ، أو على أقلِّ تقديرٍ فاسقٌ أو مزدرٍ للأديانِ،  
مع أنني لم أتطرق إلى الدين نهائياً لكن تحدثتُ عن أشخاص. وهنا تكمن  
المشكلة الحقيقية التي أواجهها بعقلي الذي لا يريد التوقُّفَ عن التفكير؛  
فليس من طبعي تقديسُ الأشخاص أو وضعهم في فئة المعصومين المتزهين  
عن الخطأ، فأقصى ما يمكن أن يحظوا به مني هو الاحترام المتبادل والنقاش  
الراقي، وهذا بحدِّ ذاته حلمٌ بعيد المنال مع بعض المحسوبين علينا  
بالمفكرين والعقلاء، والذين لم يتنزهوا أو يترفعوا إلا عن أبسط أبجديات  
أدب الحوار. ما تسمعه مني ليس صوت «الأنا» بل صوت «من أنتم»  
لتحدّثوا كيف أكون؟

لِنُعُدَّ إلى المجلس الذي امتلأ بدخان البخور معلناً نهاية الجلسة ونظرة  
غضبٍ من عمِّي حين قلتُ : إنَّ إشعال البخور من أهمِّ المكوّنات التي  
يستخدمها الهندوس في الكثير من مراسيمهم وطقوسهم... يجب أن أتعلّم  
ألا أتكلّم في الثوابت في المستقبل.

هممنا بالخروج وقبل وصولي إلى باب المجلس نادى عليّ أحد أقربائي  
من كبار السنّ والذي ناهز السبعين صيفاً. أشار إليّ بيده فذهبتُ إليه؛ لأنني

أَفْضَلُ الْحَدِيثِ مَعَ كِبَارِ السَّنِّ لِأَنَّ لَدَيْهِمْ غَالِبًا قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَعْتَقَةِ  
الَّتِي أَحَبُّ أَنْ أُحْتَسِبَ مِنْهُمْ قَبْلَ فِرَاقِهِمْ لِهَذِهِ الدُّنْيَا.

قَالَ لِي قَرِيبِي الْمُسَنِّ: هَلْ تَرْغَبُ بِالْحَدِيثِ؟

السُّؤَالُ كَانَ غَرِيبًا لَكِنَّ الإِجَابَةَ كَانَتْ: نَعَمْ بِالتَّأَكِيدِ!

قَالَ وَهُوَ يَشِيرُ لِي بِالْجُلُوسِ بَجَانِبِهِ: «أَبْقَ مَعِيَ قَلِيلًا حَتَّى يَخْرُجَ  
النَّاسُ ..»

جَلَسْتُ مَعَهُ حَتَّى رَحَلَ النَّاسُ بِمَنْ فِيهِمْ أَبِي الَّذِي اصْطَحَبَهُ أَخِي  
بَسِيَارَتِهِ الَّتِي تَعَلَّمَ قِيَادَتَهَا حَدِيثًا، لِأَنَّ الْمَنْزَلَ كَانَ مَنْزَلَ ابْنِ الرَّجُلِ الَّذِي  
طَلَبَ الْحَدِيثَ مَعِيَ وَهُوَ مُقِيمٌ مَعَهُ مِنْذُ فِتْرَةٍ.

خَلَا الْمَكَانَ مِنَ النَّاسِ، وَاسْتَأْذَنَ ابْنُ الرَّجُلِ لِلصُّعُودِ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ  
وَقَالَ لِي:

«الْمَكَانَ مَكَانَكَ خُذْ رَاحَتَكَ ..»

نَظَرْتُ إِلَى قَرِيبِي الْعَجُوزِ بِنَظَرَةٍ «هَاتِ مَا عِنْدَكَ» فَبَاغَتَنِي بِسُؤَالٍ وَقَالَ:  
أَتُؤْمِنُ بِالْعَالَمِ الْآخِرِ ..؟

تَفَاجَأْتُ بِسُؤَالِهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ السُّؤَالِ مِنَ الْأَسَاسِ ..

فقال : سمعتك في المجلس وأنت تناقش عبد الرحمن وتقول له «تعلقكم بالخرافات هو الذي جعلكم تفكرون بهذه الطريقة»

- نعم خرافات .. فقد كنا نناقش قصة ذلك الساحر الذي أتى للقراءة على تلك المرأة المسكينة بعد ما أقنع ذويها بأنها محسوسة، وفي نهاية الأمر تحرّش بها حينما اختلى بها.

- وما الخرافة في الموضوع؟ السّحر، أم القراءة، أم ماذا؟

صمتُ .. ومن النادر أن يحدث ذلك وينعقد لساني لعجزي عن الردّ..

قلتُ بشيء من التردد : كنت أقصد أمورًا أخرى..

- مثل ماذا؟

فسكتُ مجددًا وأنا أحدّق في عينيّه اللّتين تنتظران إجابتي، ولم أحبّ الحصار الذي كنتُ فيه فقلتُ بلا تفكير:

«عالم الجنّ والشیاطين والمسّ فهذا الكلام تحديدًا لم يدخل عقلي ..!»

- أتعرف الآية المذكورة في سورة النمل والتي جاء فيها :

«قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿النمل: ٣٩ - ٤٠﴾

- نعم أعرفها.. ما بها؟

- مَنْ الشخصان اللذان يتنافسان على إحضار عرش بلقيس لنبي الله سليمان في الآية؟

- اثنان من الجن طبعًا.

- هل أنت متفقه في الدين أو علم التفسير؟

- بصراحة لا، ولا رغبة لي في ذلك..

- ولماذا؟

- ليس كُرْهاً بالدين والعباد بالله ، ولكن نادرًا ما أرى أو أجِدُ مَنْ

يناقشني في الموضوعات العادية بهدوء، فما بالك بالدين؟

وضربتُ له مثالًا على ذلك وقلت:

كُنْتُ مَرَّةً أُصَلِّي العِشاءَ في شهر رمضان المبارك، وخرجتُ دون أنْ  
أُصَلِّي التراويح، وعدتُ إلى المنزل لإحساسي بالتعب، وبعد انتهاء الناس  
من الصلاة اجتمعتُ مع بعض الأصدقاء وكان أحدهم قد رآني وأنا أخرج  
من المسجد قبل التراويح، وأثار ذلك الشخص الموضوع أمام الجميع بقوله  
«هذاك الله على ما فعلته الليلة»

- وما الذي فعلته؟

- «ارتكبتُ إثماً عظيماً!»

قلت مصدقاً لطرحه الواصل: خيراً إن شاء الله؟

- تركتُ صلاة الجماعة..

- لقد صليتُ العِشاءَ مع الجماعة.

- أنا لا أقصد صلاة العِشاء، بل صلاة التراويح

فضحكُ بلا شعور..

صرخ في قائلاً: أتضحكُ على شرع الله؟!

- لا، بل أضحكُ على جهلك وغبائك.

فغضب وقال كلامًا لا أجرؤ على إعادته، وعندما حاولتُ إفهامه أن التراويح سنة ولا يائثم تاركها والأصل أنها ليست صلاة جماعة ارتفع صوته وقال : «هذا ليس بعذر!!»

وبدأ الهجوم عليّ والحديث معي وكأني قد خرجتُ من الإسلام ولا أريد العودة. بصراحة لا أخفي عليك أن النقاش معه كان مرهقًا جدًا؛ لأنه كالحديث مع أعمى أصم. حتى عندما قلتُ له : «إن صلاة التراويح في المنزل منفردًا لا تقل أجرًا عن صلاتها في المسجد عند بعض الفقهاء، أتهمني بالزندقة ولم يبقَ عليّ تكفيري إلا كلمة أراها قادمة في نهاية الحديث.»

والمضحك المبكي في الأمر تلك المجموعة التي تجمهرت حوله والتي كانت تحاول تهدئته بقولها : «اهدأ يا شيخ!»

كنت أرى نفسي في صراع فكري مع شخص لا يملك فكرًا من الأساس، ومع تكرار مثل هذه الأمثلة والمصادمات العقيمة عندما يكون النقاش متعلقًا بالدين اخترتُ ألا أتفقه أو أتعمق فيه أكثر من حاجتي كمسلم عادي؛ لأن حريتي في قول رأيي مسلوبة منذ البداية، ولن أستطيع الكلام دون أن أمر في حقلٍ من الألغام ما أنزل الله به من سلطان.



سَكَتَ قَرِيبِي الْعَجُوزَ لثَوَانٍ وَهُوَ يَحْدِّقُ بِي ثُمَّ قَالَ:

«هل أفهم من ذلك أنك تُنكِر وجود الجن؟»

أجبتُه باسمًا: لا تتذاك عليّ، فلو أنكرتُ الجنَّ ستقولُ إنِّي أنكرتُ القرآنَ  
وسينتهي النقاش بتكفيري.

- لا لن أفعلَ ذلك..

- ثم إنِّي ذكرتُ لك أنّ مَنْ كانا يتنافسان على إحضار عرش بلقيس لنبي  
الله سليمان هما من الجنِّ فكيف أنكرهم؟

فردَّ عليّ بكلامٍ حوّل محور الحديث معه وغيرَ حياتي إلى لأبد..

- لكنّ الشخص الذي قال لنبي الله سليمان: «أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ  
إليك طَرْفُكَ» لم يكن من الجنِّ..

فسكتُ باستغرابٍ.. ثم قلتُ: كيف لا يكون من الجنِّ؟ ماذا يكون إذا؟



- رجلٌ مثلي ومثلك لكتّه أوتي عِلْمُ الكتاب.

- وما عِلْمُ الكتاب هذا الذي أعطى بشرًا القدرة على التفوق على الجنِّ

وإحضارِ عرش بلقيسَ قبل أن يرتدَّ طَرْفُ نبيِّ الله سليمان إليه؟

- اختلف المفسِّرون في تفسير المعنى، لكنهم اتفقوا أنّه رجلٌ ذو قدرةٍ

وعِلْمُ يفوقُ الجنَّ والبشر، ومصدر قدرته كان عِلْمُ الكتاب. والبعض

الآخر فسَّرَها على أنّ الرجلَ نبيُّ الله سليمان نفسه، وكان الحوار بينه

وبين ذلك الجنِّي.

نظرتُ إليه بتعجب وقلتُ: هل هذا التفسير تفسيرك أنت أم متَّفَقٌ عليه؟

- المفسِّرون أغلبُهم فسَّروها هكذا.

- ما الذي تحاول قوله؟

فقال بوجه بارد: هناك عالمٌ آخر.. عالمٌ لا يعرف عنه الكثير من الناس،

عالمٌ غامِضٌ من الجنِّ والشیاطین والسَّحرة وأبعادٍ أخرى تعيش حولنا

وبيننا، وأمور كثيرة يُنكرُها الناس إمّا خوفًا منها أو جهلاً بها أو كليهما.

- لكنني لا أُصدِّقك، وأنا نادرًا ما أنفي شيئًا قبل التقصي عنه ولكن ما

تقوله جنونٌ.

- هل تريد إثباتاً؟

قلت بأسماً : وماذا ستفعل؟

- سأجعلك تراهم بعينك وتسمعهم بأذنك.

فضحكت وقلت: وأخيراً شخصٌ يعرض عليّ دليلاً ملموساً، تفضل هاتِ ما عندك.

- هل أنت واثقٌ من كلامك؟.. أتريدُ فعلاً أن تدخلَ هذا العالمَ؟

أجبتُه باستهزاء: بل أثقُ إلى ذلك!

نهض قريبي العجوز وقال خلال توجهه لباب الخروج من المجلس :  
حسنًا.. انتظري قليلاً.

عاد الكهل بعد برهة من الزمن وفي يده كتابٌ وضعه في يدي وقال:

«تذكر أن هذا كان قرارك..»

أخذتُ الكتابَ وودّعتهُ شاكرًا له حُسنَ ضيافته، وعند مصافحتي له  
وقبل أن أترك يده شدَّ عليّ يدي بقوةٍ وقال:

«تذكر أنك أنت من اختار..»

تبسّمتُ له بابتسامة خالطها بعض القلق؛ لأنَّ وجهه كان مُقلِّقًا وكأنّه نادِمٌ على إعطائي الكتاب. ركبْتُ سيارتي متوجِّهًا إلى المنزل وأنا أفكّر في كلام قريبي العجوز وفي كلمة (عِلْمُ الكتاب) تحديدًا وكنتُ أقول في نفسي:

«هل يمكن لقراءة كتابٍ أو كتّابين أو حتى بضعة كتبٍ أن تجعل أحد البشر متفوقًا على أحد أبناء الجن؟»

أثناء هذا التفكير والعصف الذهني بدأتُ أسترجع بعض ذكرياتي المحدودة عن قريبي العجوز، تذكّرتُ أنّه كان رجلًا منطويًا وغير اجتماعي وقليل الكلام، ونادرًا ما يناقش ويشارك في الحوارات التي تُرمى في المجلس من وقتٍ إلى آخر، لكنّه إذا تكلم وقرّر المشاركة أفحم وأسكت الحضور، وتذكّرتُ أيضًا أنّه فقدَ أحد أبنائه في حادثٍ مروريٍّ، وأنّه أيضًا كان يتعالج لفترةٍ طويلةٍ داخل البلاد وخارجها من مرضٍ لا أعرفه كان يعاني منه وقتها لكنّه انتقل بعدها للعيش مع ابنه الأكبر بعد ما تُوفيت زوجته قبل سنواتٍ قليلةٍ ماضية.

دخلتُ المنزل وتوجَّهتُ إلى غرفتي مباشرةً، كنتُ مرهقًا جدًّا من يومي الطويل فرميتُ الكتاب على الطاولة وجسدي على السرير وغصتُ في نومٍ عميقٍ، استيقظتُ صباحًا ودخلتُ في الروتين اليومي من استعدادٍ للذهاب إلى الجامعة وممارسة كلِّ ما اعتدتُ القيام به من زياراتٍ مسائيَّةٍ لأصحابي وبعض المناسبات العارضة، ونسيتُ أمر الكتاب الذي أعطاني إياه قريبي العجوز لمدةٍ تجاوزتِ الشهر.

## الليلة المشؤومة

عدت ذات يوم متأخرًا إلى المنزل بعد سهرةٍ مطوّلةٍ مع أصحابي، لكنّ النوم جافاني تلك الليلة ولم أستطع النوم بالرغم من محاولاتٍ عديدة، لمحتُ الكتاب الملقى على الطاولة منذ أكثر من شهرٍ وقد جمع على غلافه غير المعنون بعض الغبار، توجّهتُ إليه والتقطته وقرّبته من شفّتي ونفختُ عنه أثارَ النسيان. استلقيتُ على سريري وبدأتُ بتصفّحه بدافع الملل لا الاهتمام، لم يكن للكتاب اسمٌ مؤلّفٍ أو فهرسٌ أو دارٌ نشرٍ أو حتّى ترقيمٌ للصفحات، كان الكتاب غريبًا بلا عنوان على غلافه أو داخله، ومحتواه كان يبدو كالمُدوَّنة، وكان الورق مائلًا إلى الصُّفرة وأطرافه مهترئة.

فتحتُ الكتاب من المنتصف وبدأتُ أتصفّحه ولم أفهم شيئًا ممّا كان مكتوبًا فيه، لم يكن للكلام المدوّن على صفحاته معنىٌ يشدُّ انتباهي، حاولتُ القراءة بتمعّنٍ وتركيزٍ أكثر لكنّ الكتاب بدا لي عاديًّا جدًّا؛ فقد كان يتكلّم عن الروحانيات والعالم الآخر وأمورٍ كنتُ أراها في ذلك الوقت سخيّفةً ومحضَ خيالٍ لا أكثر، فلم أكمل الكتاب ورميته على المنضدة التي كانت

بجانبي وذهبتُ إلى النوم مباشرة. حلمتُ في تلك الليلة بشخصٍ ذي لحيةٍ  
بيضاءٍ يلبس ثوبًا أبيضَ قصيرًا بلا جيوبٍ وطاقيةً بيضاءَ صغيرةً بالكاد  
تُغطّي رأسه وكان يقول لي:

«أكمل ما بدأت!!»

أخذ يكرّرُها حتى استيقظتُ من النوم بأنفاسٍ ثقيلةٍ ومتسارعةٍ - مع  
أني لم أجزع لتلك الدرجة - حدث ذلك عند الساعة الثانية صباحًا تقريبًا.  
لا أذكر لماذا، ولكنَّ عيني وقعتُ على الكتاب ومع أنَّ الكتاب لم يحتوِ على  
صورٍ شعرتُ بحاجةٍ ورغبةٍ ملحةٍ للبحث فيه عن ذلك الرجل الذي  
عكّر صفو منامي، ففتحتُ الكتاب لم أقرأ الصفحاتِ كلّها، بل تصفّحتها  
كالمجلة حتّى غلبني النعاس ولم أعدُ أستطيع تمييز الكلمات، فعدتُ إلى  
الفرّاش ونمتُ مرّةً أخرى. زارني الشخص نفسه مجددًا في المنام بعد أن  
غفوتُ بدقائقٍ وبدا هذه المرّة غاضبًا ووجهه متجهّمٌ أقربُ إلى وجهي من  
ذي قبل، صرخ بي قائلاً: «أكمل!!»

استيقظت مفزوعاً هذه المرة وتوجّهت نحو باب الغرفة ونزلت مسرعاً إلى الطابق السفلي متجهاً إلى الخارج نحو سيارتي، حاولت تشغيلها بسرعة كي أبتعد عن المنزل لإضاعة الوقت حتى الصباح لكن السيارة لم تعمل - لم أربط وقتها بين ما حدث والحلم - فعدت إلى غرفتي متردداً.

صعدت السلام ببطء ونظري موجّه نحو باب غرفتي، وبدأت أشكك فيما إذا كان باب غرفتي مفتوحاً حين غادرت أو أغلقته، بدأت بالقلق والتفكير بأمور جانبية، كان تركيزي مشتتاً نتيجة الخوف الذي اعتراني، دخلت الغرفة مرّة أخرى ووجّهت نظري إلى الكتاب وقلت في نفسي:

«سأقروء كاملاً هذه المرّة..»

أمسكت الكتاب وقرأته من الغلاف إلى الغلاف، وبعد أن أنهيته وضعته جانباً وأخذت نفساً عميقاً وقلت في نفسي: «لم أفهم شيئاً».

كُتب الكتاب بلغة مبسّطة، وأحياناً بلغة أقرب إلى القصائد المبتورة، لكن السطر الوحيد الذي لفت انتباهي وحيرني قليلاً كان السطر الأخير،



والذي يقول:

«لن ترى العالم الذي تعيش فيه بعد اليوم كالسابق لأنني سأكون معك..»

لم تكن لي تلك العبارة شيئاً في ذلك الوقت لكنها كانت أوضح من غيرها مما ذكر في الكتاب، وانتابني بعد قراءتها مشاعر متناقضة لا أستطيع وصفها، كانت أشبه بخليط من القلق والضيق من المجهول. وضعت الكتاب جانباً وعُدْتُ إلى النوم محاولاً نسيان ما حدث.

استيقظتُ على صوت أذان الفجر في وقتها الذي كان مريحاً ومهدئاً لي، فنهضتُ من فراشي وذهبتُ إلى دورة المياه للوضوء كي أدرك الصلاة، لم أكن محافظاً على صلاة الفجر لكنَّ سماعي للأذان بعدما مررتُ به تلك الليلة أزال الخوف من صدري وجعلني راغباً بالذهاب إلى المسجد. كانت عيناي شبه مغلقتين تبحيان عن مقبض باب الحمام، وكنتُ لا أزال أسمع صوت الأذان بوضوح، ولكن بعد دخولي الحمام وإغلاق الباب بقليل وفي

متتصف الوضوء تحديداً انتبهتُ أن الصوت الذي سمعته لم يكن آتياً من الخارج، بل من داخل غرفتي، نظرتُ إلى الساعة فوجدتُ أن صلاة الفجر قد انتهت منذ ١٠ دقائق، قطعتُ وضوئي ووقفتُ في دورة المياه مفزوعاً حتى انتهى الأذان القادم من غرفتي، وقبل أن أفكرَ بمسكِ المقبض لفتح الباب سمعتُ صوتاً آخر يقول:

### «أقم الصلاة!»

كبرَ صاحب الصوت وبدأ بالقراءة بصوتٍ جهوريٍّ خالٍ من الجمال، جلستُ على طرف المرحاض وأنا أسمع صلاة الفجر تُقام جماعة في غرفتي، وزاد فزعي عندما وصل القارئ لـ "ولا الضالين.." «فردَّ بعدها معه صوت مجموعة بقول: «آمين».

أكملَ مَنْ كان أو كانوا في غرفتي صلاتهم، ولم أقوَ على الخروج من دورة المياه، بقيت فيها ساعة تقريباً، خرجتُ من دورة المياه بعد أن تمكّنتِ

الشمس من السماء واقترب موعد محاضرتي الأولى، ذهبتُ وتجهّزتُ مثل أيّ صباح، وخرجتُ بعدها من المنزل متوجّهاً إلى الجامعة، ركبتُ سيارتي ودار المحرك بسلاسة، لم يخطر في بالي أنّ العطل الذي أصابها أمس كان مصادفةً أم لا، فقد كنتُ مشوّش الذهن، وتوجّهتُ مباشرةً إلى الجامعة حتى نهاية اليوم. عدتُ قبيل المغرب - لأنّي لم أرجع مباشرةً إلى المنزل ذلك اليوم - لما دخلتُ غرفتي تذكّرتُ ما حدث معي بالأمس فضاقتُ صدري قليلاً، ولكنني تجاهلتُ الأمر.

عند التاسعة مساءً قررتُ الخروج من المنزل ككلّ يوم، فتوجّهتُ إلى دورة المياه للاستحمام، وبعد دخولي بلحظاتٍ سمعتُ صوتاً لن أنساه، سمعتُ صوت طفل صغير يبكي، والصوت قادمٌ من غرفتي، وفي هذه اللحظة فقط أيقنتُ أنّ ذلك الكتاب قد فتح عليّ بابَ شرٍّ، وأنّ المسألة ليست محضَ أوهام. توقّف صوت البكاء بعد دقيقةٍ أو أكثرٍ بقليل، فخرجتُ مسرعاً من دورة المياه ومن الغرفة متوجّهاً إلى سيارتي، وأدرتُ المحرك وأنا أقول في نفسي :

«ما الذي يحدث..؟»

كنتُ في طريقي إلى أصدقائي الذين اعتدتُ لقاءهم كلَّ ليلةٍ، ولكنني وجدتُ نفسي متَّجهاً إلى منزل قريبٍ الذي أعطاني الكتاب. طرقتُ الباب ففتح لي ابنه فسألتُ عن والده فقال لي : «إنه نائمٌ..»

طلبتُ منه إيقاظه لأمرٍ طارئٍ ويجبُ عليَّ مقابلته. وافق الابن على مضضٍ ودعاني إلى دخول المجلس، وطلب مني الانتظار حتى يوقظ أباه. دخل قريبِي والنومُ ما زال في عينيه وقال لي : «ماذا تريد؟!» حكيتُ له ما حدث معي من اليوم الأول حتى لحظة قدومي إليه، فردَّ عليَّ ببرودٍ غريبٍ وقال:

«لكنَّ ما تقوله خرافاتٌ..»

أقسمتُ له أنَّ هذا ما حدث معي.

- وما الذي تريده مِنِّي الآن؟

أخبرته أنَّي أريد تفسيراً لما يحدث؛ لأنَّ هذه الأمور لم تحدث إلا بعد قراءتي الكتاب الذي قدَّمه لي.

- أنا لم أُنم في مثل هذا الوقت منذ ٤٠ عامًا، واليوم ولأوّل مرّة أنا  
كالحجر، أنا آسف يا بنيّ، لكنّك الآن ستعيش مع مَنْ عاشوا معي  
تلك السنين كلّها.

صرختُ في وجهه قائلاً: مَنْ تقصد؟!

- لا أقصد أحدًا .. تصبح على خير

ثم قام وتركني وحدي في المجلس ..

خرجتُ وأنا مشوّش ومُرْتَبِكٌ وخائفٌ من العودة إلى المنزل، فاتّصلتُ  
بأهلي وقلتُ لهم:

«أنا لن أعود وسأقضي الليلة عند أحد أصدقائي».

توجّهتُ إلى أقرب فندقٍ، وبِتُّ هناك. وفي الصباح عدتُ إلى المنزل  
لأخذِ مذكراتي والذهاب إلى الجامعة، فوجدتُ غرفتي مقلوبة رأسًا على  
عقب والفوضى عارمة، ولما سألتُ والدي عن سبب تلك الفوضى قالوا:  
«لم يدخلها أحدٌ منذ خروجك بالأمس»

وقفتُ أشاهد فوضى الغرفة وأنا أتذكر كلام العجوز ليلة البارحة،  
وأتذكر نظرة الراحة في عينيه لتخلّصه من همٍّ ومعاناةٍ عانى منها سنينَ  
طويلةً.

بقيتُ أرتّبُ الغرفة ذلك النهار ولم أذهب إلى الجامعة، لم يُكسر شيءٌ  
لكنّ حاجياتي أغلبها كانت مقلوبةً أو مُلقاةً على الأرض ومن ضمنها ذلك  
الكتاب فأخذته وبدأتُ أقلبُ صفحاته، ولكن هذه المرة ولسببٍ لا أعرفه  
بدأتُ أفهم الكلمات وأفهم المعاني وأربطها بعضها ببعض، فجلستُ أقرأ  
فيه بشغفٍ حتّى الظهر، وبعد انتهائي من القراءة أدركتُ ما حدث معي؛  
فقد كان ذلك مذكورًا في إحدى صفحات الكتاب.

ذكرتُ إحدى الصفحات أنّ مَنْ يقرأ هذا الكتاب سيرتبط، ولم يذكر  
بماذا، ولكنه ذكر أنّ الرابط لن يُفكَّ إلّا عندما يقرأ شخصٌ آخرُ الكتابَ  
وهو يريد ذلك بقناعةٍ تامّةٍ. فأدركتُ أنّ الشيء الذي ارتبط بي هو الذي  
جعل ذلك العجوزَ لا ينام طوال تلك السنين. قلّبتُ في الكتاب بحثًا عن  
وسيلةٍ أخرى لفكّ الرابط لكنني لم أجِد شيئًا بين تلك الصفحات المهترئة.  
عدتُ في تلك الليلة إلى قريبي العجوز وجلستُ معه بالرغم من رفضه في

البداية مقابلتي لكنني أصررتُ على ابنه بأن يقنعه بمقابلتي، وعندما خضع  
لإصراري وجلستُ للحديث معه أكَّدتُ لي استنتاجاتي كُلِّها فقلت له:

لماذا فعلتَ بي ذلك؟

- الخيار كان لك وأنا لم أجبرك على شيء.

فسألته عما إذا كان هناك طريقةٌ للتخلص منهم دون أن أُلقيَ بهم إلى  
غيري.

- لقد بحثتُ سنين طويلةً ولم أجِدْ حلًّا لتلك المشكلة..

فاقترحتُ عليه الرُّقية كحلٍّ لهذه المشكلة.

- جرَّبْتُ فالله قادرٌ على كلِّ شيءٍ.

سكتنا دقائق ثم استأذنتُهُ بالخروج، وقبل أن أخرجَ قال لي:

«جرَّبُ القرين..»

فقلتُ بتعجب: وما القرين؟

- شيطانٌ مُلَازِمٌ لك منذ ولادتك وليس له قوَّةٌ عليك أو سلطانٌ غيرُ

الوسوسة، لكن لو أطلقته فقد يطردُ كلَّ مَنْ حولك مِنَ الجنِّ.



قلتُ له ساخرًا: ولمَ لم تُجرب أنت؟

- قرأتُ في أكثر من كتابٍ عنه وعن وحشيَّته عندما يُطلق ويتحرَّر من صاحبه، ففضَّلتُ أن أبقى مع مَنْ معي خاصَّة وأني حينها بدأتُ أعتاد وجودهم.

- كيف أحرَّره؟

- أأنت واثقٌ من طلبك؟

- وهل أملكُ خيارًا آخر؟

- انتظر هنا قليلًا وسأعود إليك.

غاب العجوز مدَّة ليست بالقليلة، وجلستُ أنتظره وأنا أقلِّبُ ذلك الكتابَ الذي فتح عليَّ أبواب جهنم، ثمَّ عاد بعدها وأعطاني كتابًا آخرَ وقال لي:

«لا أنصحُك بقراءته، فأنا لم أجروُ على ذلك لكنَّ أنت حُرٌّ فيما تفعل»

أخذتُ الكتابَ منه وقلتُ: حسبي الله ونعم الوكيل..

توجَّهْتُ إلى المنزل وأنا أفكِّرُ في كلامه وفي الكتاب الأوَّل والكتاب الثاني حتى وصلتُ. ذهبت إلى غرفتي ولم أفتح الكتاب الثاني، استلقيتُ على الفراش مباشرةً، وبعدما غفوتُ بقليلٍ استيقظتُ على صوتٍ يشبه الصغير الخافت في أُذُنِي فقمْتُ فَرَعًا فانقطع الصوت مباشرةً. حاولتُ النومَ من جديد فلم أستطع، وبعد ساعةٍ من المحاولات المتكرِّرة نجحتُ لأستيقظ من جديد على صوتٍ آخرٍ يشبه فحيح الأفعى قادم من تحت سريري، وبالطريقة نفسها انقطع الصوت عندما استيقظتُ، عدتُ إلى النوم ومرتُّ أخرى استيقظتُ على صوتٍ لم أخلد للنوم بعده مجددًا. كان صوت ضحكاتٍ عاليةٍ آتيةٍ من الحمام ولم ينقطع الصوت حتى بعد استيقاظي، كنتُ شابًّا في بداية العشرينات من عمري لم أكن حافظًا للأذكار كلها ولا أقرأ القرآن كثيرًا؛ لذلك لم يخطر ببالي ترديدها أو قراءة شيء منها في ذلك الوقت فبقيتُ في الفراش أحتضن وسادتي فَرَعًا وعيناي تراقبان باب الحمام حتى توقَّف الضحك.

خرجتُ من الغرفة بعد توقُّف الضحك مباشرةً، وتوجَّهْتُ إلى الطابق السفلي فوجدتُ أخي الأصغر واقفًا في منتصف المطبخ ينظر إليَّ مبتسمًا،

كَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَاقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى كَتِفِهِ فَصَعَقْتُ بِشَيْءٍ  
أَشْبَهَ بِالْكَهْرِبَاءِ وَسَقَطْتُ أَرْضًا، وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا عَلَى صَوْتِ وَالِدِي فِي  
الصَّبَاحِ وَهُوَ يَقُولُ : «قُمْ!»

تَوَجَّهْتُ مَسْرِعًا إِلَى غُرْفَتِي فَلَحَقَنِي وَالِدِي وَفِي عَيْنَيْهِ خَوْفٌ مِنَ الْوَضْعِ  
الَّذِي وَجَدَنِي عَلَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ لَهُ : «لَا تَهْتِمُ .. لَا تَهْتِمُ..»

أَخَذْتُ الْكِتَابَ الثَّانِي وَخَرَجْتُ إِلَى فَنَاءِ الْمَنْزِلِ، جَلَسْتُ فِي الْحَدِيقَةِ  
وَفَتَحْتُ الْكِتَابَ وَقَبْلَ أَنْ أَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهُ نَادَتْنِي أُمِّي وَقَالَتْ : «الآن تَذْهَبُ  
إِلَى الْجَامِعَةِ الْيَوْمَ؟»

فَقُلْتُ لَهَا بِصَوْتٍ عَالٍ وَبِنَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ : «لَا!!»

وَهَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي أَكَلَّمُهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَأَنَا لَسْتُ حَادًّا الْمَزَاجِ  
بَطَبْعِي، وَأُمِّي الشَّخْصَ الْوَحِيدَ فِي حَيَاتِي الَّذِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعَارِضَ لَهَا  
كَلَامًا مِنْهَا طَلَبْتُ أَوْ أَرْفَعُ صَوْتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةُ لَمْ يَكُنْ عَقْلِي فِي  
مَكَانِهِ بِسَبَبِ الْخَوْفِ الَّذِي اعْتَرَانِي. نَظَرْتُ أُمِّي إِلَيَّ بِاسْتِغْرَابٍ ثُمَّ ذَهَبَتْ

ولم تعلق، وبالرغم من تأنيب ضميري وندمي في اللحظة نفسها إلا أنني لم أستطع اللحاق بها والاعتذار منها؛ لأنّ ذهني كان مشغولاً بالبحث عن حلّ لما كنت فيه، كنت أشبه بالمدمن الذي يبحث عن جرعة تُوقِفُ الله الذي يُقَطِّعُ أوصاله.

فتحتُ الكتاب على عُجالةٍ وكان كسابقه بلا فهرسٍ أو أرقام صفحاتٍ أو دار نشرٍ وغيرها، لكنّ عدد صفحاته أقلّ وغلافه أسود. الكتاب مكتوبٌ بصيغةٍ غريبةٍ، كان يخاطبُني وكأنّه يعرفُني، وكان يتحدثُ عن قريني وكأنّه أخٌ لي والصاحب الذي يتوق إلى لقائي، وعندما وصلتُ إلى صفحة التحضير وجدتُ في أعلى الصفحة كلمةً شذتُ عن بقية كلمات الكتاب. كانت الكلمة الوحيدة في الكتاب المكتوبة بخطّ اليد مكتوب فيها :

(وجن)

لم أعْرِها في ذلك الوقت أيّ انتباهٍ مع أنّها لفتت نظري، وأكملتُ القراءة، وكانت الطريقة المذكورة في الكتاب لتحضير قريني تستلزم غياب الشمس كأحد عناصر التحضير، فانتظرتُ حتى غابت الشمس، توجّهتُ بعدها

مباشرةً إلى غرفتي ثم دورة المياه وأغلقتُ الباب لأنني كنتُ أحتاج المرأة  
أيضاً كأحد عناصر التحضير كما قال الكتاب، ونفّذتُ بالحرف ما كان  
مكتوباً في صفحة التحضير، وقد كانت العملية متعبةً ومرهقةً، لكن بعد  
الانتهاء منها لم يحدث شيءٌ.

خرجتُ من الحمام وكان الهدوء يعمُّ الغرفة بشكلٍ غير مسبوقٍ فشعرتُ  
بالخوف؛ لأنَّ الهدوء كان على غير العادة، حتّى صوت الشارع الذي اعتدتُ  
أن أسمع من خلاله أصوات الجيران والمارة والسيارات لم أكن أسمعه. لم  
أسمع سوى أنفاسي وضربات قلبي وصوت ريشي الذي ابتلعته من التوتر،  
ذهبتُ إلى الفراش بعدها ونمت بلا إزعاج تلك الليلة. في الليلة التالية  
توقّعت أنني سأواجه ذلك الإزعاج والتحرُّش الذي كان يبدأ بمجرد  
أن آوي إلى الفراش، لكن وللمرّة الثانية لم يحدث شيءٌ. كان الجو هادئاً  
والسكينة تعمُّ المكان، وتكرّر ذلك في الليلة الثالثة أيضاً، واستمرّ الحال  
هكذا شهراً كاملاً حتّى نسيْتُ الموضوع من الأساس.

تذكَّرتُ الأحداث في لحظةٍ عندما بلغنا خبر وفاة قريبِي المسنِّ الذي  
أعطاني الكتَّابَيْن.. بصراحة لم أحزن عليه كثيرًا ..

ذهبنا إلى المقبرة لدفنه وكنت حاقداً عليه كثيراً لما فعله بي لدرجة أني  
لم أدعُ له بالمغفرة خلال صلاة المَيِّت، ولكني ساعته ودعوتُ له بالمغفرة  
عندما رأيتُ جثمانه ينزل إلى الأرض ملفوفاً بقطعةٍ من القماش الأبيض.  
عندما بدأنا نواريه الثرى اصطدم كتفي بكتف رجلٍ غريبٍ الشكل نظر إليَّ  
نظرةً غريبةً وابتسم ابتسامةً أغرب.

بدأ الناس بالرحيل وكان الوقت عصراً، فتوجَّهت مع والدي إلى  
السيارة وقبل أن أركب سمعت نداءً خلفي يقول : «انتظر.. انتظر»

نظرتُ باتجاه الصوت فإذا به ذلك الغريب الذي صادفته عند القبر.  
كان يلوح بيده إليَّ طالباً الانتظار وهو يهرول باتجاهي وعلى وجهه تلك  
الابتسامة الغريبة.. أتذكر بوضوح ابتسامته الصفراء وعينه الواسعتين  
وشماغه الذي لم أر مثله من قبل في حياتي؛ فقد كانت تبدو عليه علامات  
زمنٍ آخرٍ غير الذي نعيش فيه وعلاماتٌ أخرى لم أستطع تفسيرها. لما



وصل الرجل عندي ووقف أمامي وضع يده التي ما زالت تحمل بعض  
تراب القبر على كتفي ونظر في عيني مبتسماً وقال:

«عَظَّمَ اللهُ أجرك في المرحوم!»

نظرتُ إليه باستغرابٍ ولم أَرِدْ عليه، وظللتُ أنظر إليه وأحدق في عَيْنَيْهِ  
اللتين امتلأتا بالعروق الحمراء المتشعبة في بياض عينه المصفّر ولم أستطع  
التوقّف عن التمعّن في شكله الغريب. لقد كان أسمر البشرة بدرجةٍ حالكةٍ  
لكنّ ملامحه لم تكن كبقية مَنْ يملكون تلك الدرجة من السُّمرة؛ فقد كان  
أنفه مسلولاً كالسيف، وشفثاه صغيرتين، ولم يكن يملك شارباً أو لحيةً،  
أمّا رائحةُ عطره فخانقةٌ. أتذكّر أنّ رائحته كانت نفاذةً كالخَلِّ لكنّها أشبه  
برائحة الريحان. ناهيك عن أقدامه الحافية الملوثة بالطين والغبار. ظللتُ  
أحدق في ذلك الرجل حتى أنزلَ يده عن كتفي الذي تلوّث بتراب القبر،  
وابتسم وقال: «أشوفك الليلة!».

ثمّ أدار ظهره ورحل..



وقفتُ بجانب السيارة والباب نصف مفتوح، وإحدى قدمي في السيارة  
والأخرى ارتكزت في الشارع كي أرفع رأسي لأنظر إلى ذلك الرجل وهو  
يرحل. لاحظتُ أنه عاد إلى المقبرة ولم يتجه إلى الشارع أو إلى سيارة، وخلال  
نظري إليه صرخ أبي قائلاً: «هيا بنا لنرحل!»

ركبتُ السيارة وسألتُ أبي عن ذلك الشخص وقلت له: «مَن هذا  
الرجل يا أبي؟»

فقال لي: إنه لا يعرفه ولم يره من قبل لكنّه قد يكون صديقاً للمرحوم،  
فقد كان يسافر كثيراً إلى بلدان كثيرة وبعيدة عندما كان يبحث عن علاج  
للمرض الذي أصابه.

- ممّ كان يعاني قريتنا قبل وفاته؟

- هل سنبقى تحت حرّ الشمس كثيراً؟ شغل السيارة وتحرك وسأحكي  
لك في الطريق.

أدرتُ محرك السيارة وعيني على بوابة المقبرة رغبةً مني في إلقاء نظرة على  
ذلك الرجل الغريب، ولكنني لم أجذ له أثراً عند مروري من أمامها. فتحتُ  
الحوار مع أبي مرة أخرى بسؤاله:

«ما الذي عانى منه قريتنا؟»

قال أبي: بصراحة لم تربطني به علاقة وثيقة، لكن كل ما أعرفه عنه أنه كان رجلاً عصامياً بنى نفسه بنفسه، وكان متفوقاً في دراسته وعمل في وظيفة حكومية حتى زواجه، ثم قرّر فجأة تقديم استقالته والخوض في غمار التجارة.

فقاطعتُ أبي قائلاً: وهل فشل فيها؟

- على العكس تماماً.. لقد نجحت تجارته نجاحاً باهراً في وقتٍ قياسيٍّ وأصبح من الميسورين، وكان في وقت من الأوقات أثري أثرياء الأسرة.

- لكنّ منزلهم الحالي لا يدلّ على ثرائهم.. فهو مقيم مع ابنه ولا يملك منزله الخاص.

- دعني أكمل ولا تقاطعني..

- عذراً.. تفضّل يا أبي

قال أبي: في قمة نجاحه وثروته قرّر قربنا التوسع وفتح فروع لتجارته في بعض البلدان الخليجية، وبدأ فعلاً بتأسيس تلك الفروع والإشراف عليها من وقتٍ إلى آخر بالسفر وحده أو بصحبة زوجته وأطفاله أحياناً. وفي إحدى تلك السفرات التي كان فيها وحده - وحسب ما أخبرت به

زوجته فيما بعد. عاد متغير الطباع، وصار متوترًا وحاد المزاج، وبدأ يُهمل  
تجارته ولم يُعُد يخرج من المنزل كالسابق، ومع مرور الوقت بدأت أعماله  
التجارية بالانهيار لولا أنَّ زوجته حصلت على توكيل منه ثم قامت ببيع  
أصول ثروته كلها ولحقت ما استطاعت من الأموال.

توقفنا في تلك اللحظة عند إشارة ضوئية فالتفتُ نحو أبي وقلت :  
«وماذا حدث بعد ذلك؟»

قال أبي: بقي على حاله، بل زادت حالته سوءًا، وكان يختفي لفترات  
طويلة ويعود فجأة ولا يذكر لأحدٍ عن المكان الذي كان فيه أو ماذا حدث  
له. كبر أبنائه وتقبلوا فكرة أن أباهم قد فقد عقله، وخلال تلك السنوات  
صرفت زوجته أموالًا كثيرة في محاولةٍ منها لعلاجها لكنها لم تجن سوى  
الإفلاس والديون. ولم تخرج من تلك الثروة إلا بذلك المنزل الذي تزوج  
فيه ابنه.

اشتعل ضوء الإشارة الخضراء ولم أنتبه إلا من أصوات منبهات  
السيارات التي خلفي، فتحرَّكتُ بسرعةٍ وقلت لأبي : «وما قصة موت  
أحد أبنائه؟»

قال أبي: في إحدى المرات التي غاب فيها قريتنا عن المنزل جاءهم اتصال وأخبرهم المتصل أن أباهم موجود في دولة خليجية ويريدون منهم الحضور لاستلامه، فخرج ابنه الكبير وحجز تذكرة إلى تلك الدولة، وبعد سفره بساعات دخل أبوهم عليهم في المنزل وكعادته كان سارحاً وفي حالة يُرثى لها وأنكر وجوده في تلك الدولة، وذهب إلى غرفته بكل برود وأغلق على نفسه الباب.

فقلتُ : «وماذا عن ابنه؟»

- اتصل من تلك الدولة وقال لهم: إنه لم يجد أباه، وإن الذين اتصلوا بهم قالوا: إنه رحل فجأة، فأخبرته أمه بأن أباه موجود في المنزل منذ البارحة. طلب منهم الابن عدم السماح له بالخروج حتى يعود؛ لأنه يريد إخبارهم بشيء مهم. فقلت لأبي: «وماذا قال لهم عندما عاد؟»
- لم يقل شيئاً؛ لأنه مات في حادث مروري وهو قادم من المطار.
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وماذا حدث بعد ذلك؟

- لا شيء.. بقي الرجل مع زوجته وابنه الثاني في ذلك المنزل حتى كبر الابن وتزوج واستقل مع زوجته في منزله الخاص وبعد وفاة الأم ببضعة أعوام وانتقل الأب ليسكن معه حينما اضطر لبيع منزله لسداد ما تبقى من ديونه.

## شهيق بلا زفير

عدتُ إلى المنزل وأنا أفكر في كلام أبي عن قريتنا، وصورة ذلك الرجل الغريب الذي قابلته في المقبرة لم تفارق خيالي ولا أعرف لماذا، لكنني وفور وصولنا ودخولنا المنزل بحثتُ عن كتاب القرين، لما وجدته فتحتُه وقرأته مرةً أخرى وانتبهتُ إلى كلمة (دَجَن) المكتوبة في صفحة التحضير بخط اليد، ولم تُقدني إلى شيءٍ فوضعتُ الكتاب وخرجتُ كعادتي في التاسعة مساءً للقاء أصحابي.

في منتصف الطريق تعطلتُ السيارة فجأة فتوقفتُ، ولم أعرف ما بها فتزلتُ وفتحتُ الغطاء لأتفحصها لعلِّي أجِدُ سببًا لذلك العطل، وإذا بصوت يأتي من خلفي ويقول:

«سلامات.. سلامات.. عسى ما شرّ!؟»

نظرتُ خلفي وإذ به ذلك الشخص الغريب الذي رأيته في المقبرة، فجفَّ ريشي وبدأ قلبي بالخفقان، قال لي وهو يتسم : «تبي أساعدك في شيء؟» أجبته بصوتٍ منخفضٍ : لا، شكرًا.. يمكنك الرحيل.. ذابت الابتسامة عن وجهه وبدأ عليه الغضب وقال بنبرة حادة : «من هو أنت عشان تأمرني؟!» نظرتُ إليه باستغرابٍ وتعجبٍ، وقال بالنبرة نفسها : «رُح لربك ولا تتأخر عليهم!!»

رحل الرجل ماشيًا على قدميه الخافيتين، ووقفتُ بعدها متسمِّرا لفترةٍ من الزمن أنظر إليه وهو يسير حتى غاب عن ناظري. جلستُ في السيارة وأمسكتُ المقود ولم أتحرك لفترة ليست بالقصيرة. كنتُ خائفاً من تشغيل السيارة ولم أعرف لماذا، لكنني في النهاية جرَّبتُ إدارة المحرك كمحاولةٍ أخيرةٍ والذي دار فجأةً.

دخلتُ على أصدقائي قبل تمام الساعة العاشرة مساءً بخمس دقائق، وعلى غير عادتي كنتُ هادئًا وقليل الكلام والمشاركة في الحديث، وكان



بعض أصحابي يلعبون الورق وخلال لعبهم التفت إليّ أحدهم وقال : « في واحد سأل عنك قبل ما تحيي... »

- مَنْ؟

سألته وأنا قلبي يخبرني أنه ذلك الشخص الغريب الذي صادفته في المقبرة وعند تعطل سيارتي، وكان ظنّي في محله؛ فقد أخبرني أصدقائي أنّ شخصًا حافيًا غريبَ الشكل والثياب طرق عليهم الباب وعندما فتحوا له سأل عني بالاسم، فأخبروه أنّي في الطريق وطلبوا منه الدخول لانتظاري لكنّه رفضَ دعوتهم ورحل وهو يقول : « أنا أصلاً بشوفه الليلة... »

كان أصدقائي يخبرونني ذلك وهم يضحكون عليه ويستهزئون من شكله ولبسه ويسألونني قائلين : « من وين تعرف هالأشكال؟! »

كنتُ أبتسم مجاملةً لهم وأنا في قلبي خوفٌ من هذا الرجل وظهوره المفاجئ في حياتي وسؤاله عني بهذا الشكل الغريب وهو يعلم أنّي كنتُ بجانب سيارتي المعطّلة.

في نهاية الليلة وكالعادة توجّهتُ إلى المنزل، وعدتُ إلى غرفتي واستلقيتُ على فراشي، وقبل أن أغفو سمعتُ صوتًا قريبًا منّي؛ كان الصوت أشبه



بصوت شيءٍ يتحرك على الأرض، ومع أن المكان كان مظلمًا لكنني أحسستُ  
أنَّ هناك مَنْ يراقبني أو يجلس أمامي.

أغلقت عينيَّ في محاولةٍ مني لتجاهل ذلك الإحساس، ولكنَّ بعدها  
بقليل بدأتُ أشمُّ رائحةً مثل الدخان في الغرفة، فتجاهلتُ الرائحة ولم أفتح  
عينيَّ، لكنَّ الرائحة ازدادت قوَّةً ففتحتُ عينيَّ لأجد الكتاب الثاني يحترق  
أمامي على الطاولة، فقمْتُ سرعًا أحاول إخماده لكنني لم أستطع اللحاق به  
ولم يبقَ منه شيءٌ سوى بعض الرماد وقصاصاتِ الورق المحترقة.

استيقظتُ في اليوم التالي وأنا أفكر في الأحداث التي حدثت منذ أن  
قرأتُ الكتاب الأوَّل، فقررتُ سؤال بعض المشايخ لعليَّ أجد حلًّا أو على  
أقلِّ تقديرٍ تفسيرًا لما يحدث لي عندهم، فبدأتُ بإمام الجامع القريب من بيتنا  
فلم أجد عنده الحلَّ أو الجواب الشافي، واكتفى بتذكيري ببعض الأذكار،  
فقررتُ تجربة مسجدٍ آخر ولم أجد شيئًا حاسمًا لمشكلتي أيضًا.

تابعتُ البحث في أغلب المساجد التي أعرفها، ودبَّ اليأس في صدري،  
وعدتُ ذلك اليوم إلى المنزل مرهقًا أبحث عن السرير لأنام عليه وأنسى  
عناء ذلك اليوم، لكنني لم أنم تلك الليلة لحظةً واحدةً.

فما إن وضعتُ رأسي على الوسادة حتّى أحسستُ يدًا قويّةً تُحكِم قبضتها  
على عنقي وتمنع الأنفاس عني.

بدأتُ أنفاسي بالتناقص، وبدأتُ عيناï تغرقان بالدموع، وكنتُ أسمع  
طقطقة فقرات عنقي الذي كاد ينكسر من القوّة التي أطبقتُ عليه، وأيقنتُ  
وقتها أنّي هالكٌ لا محالة.

اختفى الضغط عن عنقي فجأةً فنهضتُ من فراشي أبحث عن الهواء  
كالغريق الذي خرج من الماء تواءً، وكنتُ أبحث بعينيّ الدامعتين حولي عن  
مصدر هذا الاختناق لكنني لم أر شيئاً.

بعد أن هدأتُ والتقطتُ أنفاسي حاولتُ النوم مرّةً أخرى لكنّ الضغط  
على عنقي عادَ وبشكلٍ أقوى من السابق، وظللتُ في هذا الصراع فترةً  
تجاوزتُ في مدّتها الهجمة الأولى، وكنتُ أرفس الهواء بقدميّ عدّة مراتٍ  
طالباً النفس حتّى ظننتُ أنّ هذا الشيء لا يريدني أن أعيش، بل عازمٌ على  
قتلي.

تكرّرت الهجمات طوال الليل وخاصة عندما أحاول النوم، وقبل الفجر بدقائق حدثت الهجمة الأخيرة، ولكن هذه المرة وخلال عملية الخنق وقبل ترك عنقي بثواني سمعتُ صوتًا يهمس في أذني قائلاً:

«لا تذهب إلى المساجد فأنت لست بعباد»

وانتهت بذلك الهجمة الأخيرة ونمتُ مباشرةً من شدة الإرهاق والتعب.

استيقظتُ قبيل المغرب وكان على عنقي وأكتافي آثار الهجمات في الليلة السابقة، جلستُ على طرف السرير حزينا على حالي أفكر في صمت. بعد مدة من التفكير توجهتُ إلى الحمام واغتسلتُ ثم خرجتُ من المنزل متجهاً صوب البحر الذي يقع خارج حدود مدينتنا ويبعد مسافة عنها لأجلس أمامه وأفكر حتى أصبحت الساعة الحادية عشرة ليلاً تقريباً.

لم أكن أريد العودة إلى المنزل لأن ما حدث معي البارحة لم يكن بالشيء اليسير، وما تزال آثاره النفسية والجسدية حية في ذاكرتي ومرسومة على جسدي، فقررت في لحظة يأس أن أعود وأن أذهب إلى منزل قريبي العجوز

الذي توفي. وصلتُ منزله عند منتصف الليل تقريبًا، ترددتُ في طرق الباب في تلك الساعة المتأخرة لكنَّ خوفي من العودة إلى غرفتي دفعني إلى طرُق الباب حتَّى فتح لي ابنه، وعندما قابلته افتعلتُ قصَّةً لأدخلَ غرفة أبيه، وقلتُ له : «إِنَّ أباه كان قد استعار مِنِّي بعض الكتب وأريد استعادتها»، فسمح لي بالدخول على مضضٍ.

توجَّهْتُ إلى غرفة قريبي العجوز وبدأتُ البحث فيها كالمجنون، بحثتُ في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ زاويةٍ، ولم أكن أعرف عمَّ أبحث، ولكن لم يكن بوسعي فعلُ شيءٍ آخرَ، فواصلتُ البحث حتى وقعتُ عيني على صندوقٍ تحت كومةٍ من الملابس، سحبتهُ إلى منتصف الغرفة فوجدته غير مُقفَلٍ فقامتُ بفتحه، كانت فيه مجموعةٌ من الكتب وبعض الأوراق والرسومات الغريبة، وكانتِ الكتب الموجودة داخل الصندوق كُلُّها على نفس هيئة الكتب التي أعطاني إياها سابقًا.

كنتُ أريد أن بعضها لكنِّي لم أعرف أيَّ منها سينفعني وأيَّ منها سيضرُّني، فقررتُ الرحيل دون أخذِ شيءٍ منها. وقبل خروجي من منزل ابن الرجل العجوز قال لي بنبرة متهمكة :

«لماذا لا تحصل على غيرها من المكان نفسه الذي اشتراها أبي منه؟»

قلت له بنبرة يائسة : أتمنى معرفة ذلك المكان.

ردًا باستغراب وقال: كنتُ أظنُّك تعرف مصدر هذه الكتب.

سألته بتوتر: أرجوك أخبرني بسرعة من أين لأبيك هذه الكتب؟

فأخذ ورقة وكتب عليها اسم بلدٍ خليجيٍّ ثم مزَّقها بعدما رفعها أمام ناظري ..

- لماذا فعلتَ ذلك؟

- أنا لست أحقَّ كي أدخل عالمكم ..

- أيّ عالم؟

- أنت تعرف أيّ عالم أقصد .. لقد أخبرتك بالمكان الذي تردد عليه أبي للحصول على تلك الكتب الخبيثة ولم يعد لك شيء عندي وأتمنى أن يكون هذا آخر لقاء بيننا

تركني بعدها وقال قبل رحيله : «تثبت من إغلاق الباب عند  
خروجك...»

خرجتُ من منزله وعدتُ إلى البيت وأبلغتُ والدي أنني مسافرٌ  
لفترةٍ قصيرة، وبالرغم من محاولاتها منعي من السفر إلا أنني لم أستجب  
لتوسلاتها، لكنّها استطاعت في النهاية إجباري على قطع وعدٍ لها بآلا أناخَرُ  
وأن أعودَ في أسرع وقت. ذهبتُ إلى غرفتي وأخذتُ معي الكتاب الأول  
وبعض الملابس البسيطة وخرجتُ فوراً باتجاه المطار.

لم يعلم أبي بخروجي لأنّه كان نائماً، وكذلك أخي، ولو لم تكن أمي  
مستيقظةً بالمصادفة لما أخبرتها، فلم أكن أنوي إعلام أحدٍ برحيلي، لأنني  
عقدت العزم على الذهاب والعودة بسرعة في فترةٍ لا تتجاوز ثلاثة أيام.  
توجّهتُ إلى المطار مباشرةً وحال وصولي حجزتُ أوّل طائرةٍ متّجهة إلى  
الدولة التي كتبها ابن الرجل العجوز في تلك الورقة قبل تمزيقها أمامي.  
رحلتي كانت فجرًا وبعد ما يقارب الساعتين من التحليق في الجو وصلتُ  
مطار عاصمة تلك الدولة الخليجية أول الصباح. نزلتُ المطار وبعدما  
أنهيتُ الإجراءاتِ كلّها خرجت من بوابة القادمون وأدركتُ أنني لا أملك

عنوانًا أو دليلًا أو أي شيء يقودني إلى مصدر الكتاب، لا أملك إلا الكتاب الأول الذي جلبته معي فقط، فتوجهتُ إلى أقرب فندقٍ وبيتٍ فيه.

لم أنم بشكل عميق فقد كان عقلي متوترًا ومشوشًا جافًا معي النوم، ومع حلول أول العصر خرجتُ أتجولُ في تلك المدينة والكتاب معي ولا فكرة لدي عن الخطوة التالية التي يجب أن أتخذها. بعد مدةٍ من التجوال خطرتُ في بالي فكرةُ التوجه إلى أي مكتبةٍ لعلها تعرف دار النشر التي نشرت الكتاب أو لديها فكرةٌ عن مؤلفه. وفعلاً بحثتُ عن أكبر مكتبةٍ هناك وتوجهتُ إليها وقدمتُ الكتاب إلى أحد المسؤولين في المكتبة الذي نظر بدوره إلى الكتاب وتصفحه قليلًا ثم نظر إلي وقال : «من أين لك هذا الكتاب؟»

فحكيتُ له معظم قصتي ..

سكتَ مسؤول المكتبة قليلًا وتغيرت ملامح وجهه ثم خرج عن سكونه وقال:



«لن تجد لهذا الكتاب مؤلفاً أو ناشراً.. لكن يمكنني أن أدلك على مَنْ  
قد يساعدك في مسعاك»

أعطاني بعدها وصفاً لمكتبةٍ بعيدةٍ عن العاصمة في مدينةٍ أخرى يمكن  
أن أجِدَ فيها ضالّتي، فقمْتُ باستئجار سيارةٍ كي أذهب إلى هناك لكنني  
كنتُ أسأل طوال الطريق لجهلي بالمنطقة. غطّت الشمس في الأفق وتغيّر  
لون السماء إلى الاحمرار وبدأ الليل يبسط عباءته، لقد أضعت الكثير من  
الوقت بسبب أسئلتني المستمرة خلال الطريق ولم أكن قد وصلتُ بعد،  
ولكنني في النهاية وبعد عناءٍ انتهى بي المطاف في تلك المدينة الصغيرة، وفيها  
وجدتُ مَنْ دلّني على تلك المكتبة، وبعد دخولي إليها وجدتُ على رفوفها  
كتباً مشابهةً للكتب التي وجدتُها في صندوق قريبي العجوز، لكنَّ صاحب  
المكتبة كان رجلاً ضيق الخُلق ورفضَ الحديث معي بخصوص الكتاب  
الذي كان معي، واكتفى بإرشادي إلى منزل شخصٍ قال إنّه قد يفيدني في  
هذا الخصوص، وبالرغم من التعب والإرهاق قرّرتُ إكمال المشوار وعدم  
التوقف، فسألت أحد المارة عن الطريق فأرشدني وقال:

«الطريق الذي يجب أن تسلكه جبليٌّ ووعرٌ وخطرٌ في مثل هذا الوقت من الليل».

وحذّرني كذلك من شيءٍ لم أفهمه .. قال : «خلال الطريق ستجد أناسًا قامتهم طويلة أو قامتهم قصيرة وسيلوّحون لك للوقوف، إياك أن تقف لهم .. إياك»

أكملتُ طريقي باتجاه المكان الذي وصفه لي صاحب المكتبة، ولم أشاهد أحدًا في طريقي تلك الليلة ..

وصلتُ المكان المنشود فجرًا، كان سفح جبل يشقه طريق لا يمكن تجاوزه إلا سيرًا على الأقدام فركنت السيارة وبقيت أتأمل بنظري قمة الجبل تحت ضوء القمر حتى لمحت منزلٍ بسيطٍ على سفح ذلك الجبل المغطى بالخضرة، كان المنزل بلا جيران، وهو أقرب للكوخ منه إلى المنزل. وخلال تأملي له اندفع ظهري للوراء والتصق بمقعد السيارة صاحبه الم في عنقي وتشنج في جميع أطراف جسدي وكأن تيارًا كهربائيًا مر خلاله.

بقيت على تلك الحالة لبضعة دقائق قبل أن تنفك عني ويسقط رأسي على مقود السيارة ويرتطم به. أصابني الجزع وقتها وفكرت جدياً بالعدول عن الاستمرار والعودة من حيث أتيت لكنني تراجعته عن تلك الفكرة حينما لمحت في الأفق بوادر ولادة اليوم الجديد.

انتظرت في السيارة حتى أشرقَت الشمس بالكامل وانات المكان من حولي. أخرجت الكتاب من حقيبتني ثم نزلت بعدها وأكملت طريقي صعوداً عبر الممر الصخري الوعر حتى خرجت لساحة عشبية خضراء استقر عليها ذلك الكوخ الطيني فسرت حتى وقفت أمامه وطرقْتُ بابه الخشبي المتهالك، ففتح لي شخصٌ ناهز الستين من العمر ذو لحية حمراء يخالطها بعض الشَّيب يلبس على رأسه عمامة ملوَّنة وقال:

لماذا تأخرت ..؟

ارتبكت من سؤاله ولم أفهم المقصد منه لذا أجبتُه اجابهُ عفوية لم أفكر بها

وقلت :

الطريق إلى هنا لم يكن سهلاً فقد كنت ..

قاطعني وقال وهو ينظر للكتاب بيدي :

تذكر قبل أن تدخل .. أنك لن تخرج ..

قلت وأنا مشوش من كلامه غير المفهوم :

هل تهددني ..؟

نظر إليّ بتجهم، ثم وجه نظره وكأنه يشاهد شيئاً خلفي وقال:

« ادخل أنت فقط أما هو فليبق في الخارج .. »

دخل الرجل بيته وترك الباب مفتوحاً، نظرتُ خلفي فلم أرَ أحداً، فتبعته  
بتردد وأنا مرتبكٌ لأنَّ المنزل كان مريباً، كان الأثاث أغلبه من الخشب،  
وكان السقف عاليًا بعض الشيء، ورائحةُ المكان غريبةٌ تشبه التفاح المتعفن  
جميلةٌ ومقيمةٌ في الوقتِ ذاته.

دخلت وأغلقت الباب خلفي جلستُ أمامه وقبل أن أنطق تكلم قبلي قائلاً:

« لن تتخلص منه بسهولة .. لماذا استدعيته؟ »

صمتُ وأنا أنظر إليه ولم أعرف ماذا أقول..

سألني بنبرة متأففة : أين مخطوطته ؟

مددت له الكتاب الذي كان بحوزتي فأخذه وتصفحه بوجه عابس ثم

رماه في وجهي وقال بسخط : ما هذا ؟ أين مخطوطته ؟

فغضبتُ ونهضت من أمامه وقلتُ له : لا أريد منك شيئاً !!

توجَّهْتُ إلى الباب وأمسكتُ المقبض وفتحته بقوة، وضعتُ قدمي على عتبه للخروج، فقال الرجل ضاحكاً:

«يا الله .. أنت لا تعرف شيئاً عن عالمنا أليس كذلك؟»

فصرختُ فيه وقلتُ: ولا أريد أن أعرف !!

قال لي بهدوءٍ بعدما ألتقط الكتاب وبدأ يتصفّحه : «أبعدُ قدمك عن

عتبة الباب يا فتى، فلو خرجت الآن من الباب دون معرفة اسمه سوف  
يفصل رأسك عن جسدك في لحظة.

- مَنْ تقصد؟

- الشيطان الذي استدعيته ينتظرك في الخارج، ويعرف الآن بعد منعي  
له من الدخول معك أنك تبحث عن طريقة للتخلص منه، وهو لن  
يبرح مكانه حتى يقتلك.

- ولماذا يقتلني؟

- لأنك أتيت إلى المكان الذي يمكن أن يجعلك تسيطر عليه وتتخلص  
منه.

- أخبرني إذا عن الطريقة التي أستطيع بها التخلص منه

- لا أستطيع دون المخطوطة التي استعملتها لاستدعائه، ومهما حاولت  
فلن تستطيع الخروج من هنا دون معرفة الطريقة الرادعة لذلك  
الشيطان؛ لأنه سيبقى في الخارج ينتظرك دون أن يتعب أو يغلبه  
النعاس .. صيفاً وشتاءً.. حتى لو استغرق الأمر منه أن ينتظرك مئة  
عام فلن يُبارح مكانه حتى يقتلك.

- أهذا قلت بأنني لو دخلت لن أخرج؟

- لا لم يكن ذلك ما قصدته لكن الآن وقد اتخذت قرار الدخول إلى هنا

فخروجك لن يكون دون ثمن .. أما بالمعلومة أو حياتك

بلعت ريقِي وأنا أنظر إلى الخارج من خلال الباب المفتوح، وبدأتُ بالتراجع إلى الوراء مبتعداً عنه بعد أن كنتُ على بُعد خطوة واحدةٍ منه فقط، وقلت للرجل وأنا أصدق إلى الخارج بصوتٍ خافتٍ يعتريه الخوف :  
«وما العمل الآن..؟»

قال لي وهو يشير لي بالعودة والجلوس بجانبه :

«تعال هنا يا فتى واجلس بجانبِي ..»



## قاع الزجاجاة

جلستُ مع الرجل عدّة ساعاتٍ أحكي له حكايتي وكيف انتهى بي المطاف إلى عتبة بابه.. فسكتَ قليلاً ثم قال : «ليس أمامك إلا حلٌّ واحدٌ..»

- ما هو؟

قام الرجل من مكانه وأشار بيده نحوي للحاق به، ذهبْتُ خلفه إلى غرفةٍ كبيرةٍ كلّها كتبٌ ومجلداتٌ ضخمةٌ كانت أشبهَ بالمكتبة العامة، وكانت رفوفها مرتفعةً وبعضها يستلزم سلماً قصيراً للوصول إليه، فقال لي وأنا أحدّق بتلك المكتبة الضخمة بفمٍ مفتوحٍ وأعينٍ متسعةٍ:

«هل تحبُّ القراءة..؟»

فقلت له وفمي ما زال مفتوحاً وعيناي تحدّقان بتلك الرفوف العالية:

«أحبّها لكن ليس بالدرجة التي تحبّها أنت..»

ضحك الرجل وقال : ابحث عنه بين هذه الكتب وستجده وتجد اسمه

وعندها ستعرف كيف تتخلص منه.

أغلقتُ فمي ونظرتُ إليه وقلت: لكن.. من أين أبدأ؟

قال وهو يسحب كرسيًا خشبيًا ويضعه خلفي:

لا يهم من أيّ كتابٍ تبدأ، فلن يشكّل ذلك فرقًا لأننا لا نعرف عنه شيئًا  
فأنتَ كما يُقال تبحث عن إبرة في كومة قش.

جلستُ على الكرسيّ أحرق في تلك المكتبة الضخمة، وفي أثناء تحديقي  
بها وضع الرجل يديه على كتفيّ وقال:

«لا تضيع الوقت، فالأمر قد يستغرق بعض الوقت..»

ابتسمتُ وقلت: لقد وعدتُ أمي بأنّي لن أتأخر ولا أنوي ذلك..

رفع الرجل كفيّ عن كتفيّ وهمّ بالخروج من المكتبة وقال:

فلتبدأ إذا !

بدأتُ بالقراءة وكنْتُ أظنُّ أنّ الأمر سيستغرق ساعاتٍ أو على أكثر  
تقديرٍ بضعة أيامٍ، لكنّ الأمر استغرق ٣ سنواتٍ كاملةً لم ينقص منها إلّا  
بضعة أسابيع، وفي كلّ مرّةٍ حاولتُ فيها الخروج -حين أُصاب بحالةٍ

يأس - كي أطمئن أهلي وأمي بالذات كان الرجل يحذرنى من الخروج،  
ومما قد يفعله بي ذلك الشيء الواقف في الخارج إذا خطوت خطوة واحدة  
خارج الباب.

عشتُ بين تلك الكتب اللعينة التي تحدثت عن كل شيء يخص العالم  
الآخر. أصبحت ملماً بالكثير من علومهم لكن لم أعرف شيئاً عن شيطاني  
الذي يقف عند الباب.

نمت بيني وبين الرجل علاقة صداقة على مرّ تلك السنوات، وبدأ يُشفق  
على حالي، وكان دائماً يردّد كلمة لن أنساها ما حييتُ كان يقول:

«اصبر على ذنبك..»

لم أكن أعرف معناها.. لكن كنتُ أحبُّ سماعها منه، وأرتاح عندما  
يقولها. خلال تلك السنوات الثلاث قرأت أكثر من ثلثي المكتبة التي كانت  
عبارة عن مجموعة من الكتب والمدونات والأوراق المنفردة، بالإضافة إلى  
بعض الرموز الغريبة التي كانت تحمل معانٍ مجهولة لم أفهم معناها إلا  
بشرح من ذلك الرجل. وفي يومٍ لا أنساه كان المطر يهطل فيه بغزارة على

سفوح الجبل الأخضر قرأتُ هذا السطر:

«تسليط من سوادِ ضاحكِ الشجر «دجن»  
ينهمض من ترابٍ وسيته يبكي في عدن»

تذكرتُ كلمة «دجن» التي كانت مكتوبةً في الكتاب الأسود بخط يدٍ مختلفة، وبدأت بالبكاء بلا شعورٍ حاملاً الكتاب إلى الرجل لأضعه بين يديه، مشيراً إلى ذلك الاسم اللعين بإصبعي وأنا أبكي كالطفل وكأني مسجونٌ استلم صكَّ براءته. نظر إليَّ الرجل والكتاب مفتوحٌ أمامه وقال:

«هل هذا هو شيطانك يا فتى؟»

فأشرتُ برأسي بـ «نعم»؛ لأنَّ صوتي سُرق منِّي من شدة البكاء.

أجلسني الرجل بجانبه وحكى لي قصة (دَجَن) القرين المتمرد بالتفصيل. بعدما فرغ الرجل من رواية قصته قال لي: إنَّ الكتاب الذي قرأته لم يكن عن القرين، بل كان خدعةً لاستحضار (دَجَن)، وهذه حيلةٌ يستخدمها

بعض السحرة والمشعوذين لإطلاق شياطينهم وتمكينهم من الوصول إلى  
عامّة الناس لإيذائهم.

فقلت له وأنا أبتسم بحسرة : أعرف هذه المعلومة الآن .. فقد قرأت عن  
هذا الموضوع في أحد كتبك منذ عدّة أشهر.

وقف الرجل وأغلق الكتاب وقال لي : هل أنت جاهز للرحيل ؟  
فقلت بخليط من الانتشاء والراحة : منذ أوّل يوم دخلتُ فيه منزلك ..  
وقبل أن أخرج قال لي الرجل : ردّد اسم (دجن) كي تحبسه في مكانه إلى  
الأبد ويجب أن تنطقها قبل أن تخرج ؛ لأنّه قد يقتلك قبل أن تنطقها بشواقي.

خرجتُ من الكوخ الطيني وأنا أردّد:

«دجن» .. «دجن» .. «دجن» ..

توقفتُ عن ترديدها عندما ابتعدتُ عن البيت أمتاراً قليلة ولم  
يحدث شيء.

أدرتُ نظري نحو المنزل لأجد الرجل واقفاً عند بابه مبتسماً. عدتُ

إليه وودعته وشكرته بحرارةٍ على حِلْمه وصبره معي طيلة تلك السنوات،  
وعلى مساعدته لي في التخلّص من ذلك الشيطان الذي عكّر صفو حياتي،  
وتوجّهتُ مسرعًا باتجاه الطريق المؤدي لسيارتي أسفل سفح الجبل والتي  
ظلتُ مركونةً ثلاث سنواتٍ وكلّ ما يدور في بالي هو: «هل ستعمل؟»  
وقبل نزولي من القمة عبر الطريق الصخري الوعر قال لي الرجل  
بصوتٍ عالٍ من أمام شُرْفَةٍ منزله:

«عندما تعود في المرّة القادمة أحضِرْ لي بعض التين من بلدك!»

فضحكتُ وقلتُ له بصوتٍ أعلى وأنا الوح له مودعًا: لن أعود أبدًا أيّها  
الرجل الطيّب!

فقال ضاحكًا: ستعود.. صدّقني ستعود!

وقد كان معه حقّ..

## قصة (دَجَن) كما رواها لي الرجل

حينما رأيتُ اسم (دَجَن) في ذلك الكتاب وأخبرتُ الرجل بأنه الشيطان الذي يطارُدني، أخبرني بدوره عن قصة الشيطان (دَجَن) القرين المتمرّد. قال لي: إنّ (دَجَن) كان قرينًا للساحر (نجد)، فتذكّرتُ أنّي قرأتُ في أحد كتبه أنّ اسم القرين يكون عكس الاسم الأوّل لصاحبه نطقًا وليس بالكتابة، ولو غيّر صاحب الاسم اسمه سيبقى اسم قرينه عكس اسمه الذي وُلد به.

عاش ذلك الساحر في عدن قبل مئات السنين، وكان دائمًا يعذب بالناس بتجريب السحر والطلاسم عليهم، وقد تأذى منه الكثير ولم يردعه أحد عن أفعاله. وفي يوم من الأيام عندما حاول فيه إيذاء أحد المارة في السوق وجد نفسه مشلولًا لا يستطيع الحراك، وأحسّ معها بألم شديد في صدره، سقط على إثرها أرضًا وهو يصارع الألم وعدم القدرة على التحرك. وعندما كان الساحر (نجد) في هذه الحالة اقترب منه الرجل الذي كان يريد إيذائه وقال له:

«اخترتَ الشخص الخطأ لتؤذيه هذه المرة يا (نجد)»



قام الرجل بقراءة بعض الطلاسم التي حرّرت قرين الساحر (نجد) وأمر الرجل القرين بتعذيب صاحبه حتى يموت ثم يأتي إليه. وفعلًا قام (دَجَن) بتعذيب الساحر بشكلٍ وحشيٍّ حتى فارق الحياة. ذهب القرين المحرر إلى الرجل كما أمره بعدما انتهى من قتل وتعذيب (نجد)، وأنّضح أن الرجل كان ساحرًا متمكنًا ومعروفًا بين السحرة الكبار، وكان يفوق بقوّته (نجد) بمراحل، فأخبر الساحر (دَجَن) بأنّه حرّ ليفعل ما يشاء بشرط ألا يقتل أحدًا من الإنس إلا من يتعامل بالتحضير والشعوذة وقال له أيضًا: «سوف أكتب لك كتابًا.. كلّ مَنْ يقرؤه يحقُّ لك قتله بعد ما تتسلّى به لفترة لكن احذر أن يعرف أحد اسمك فلو نطق به ستُحبَس في مكانك حتى يحضرك غيره»

بعدها افترق الاثنان واستمرّ كتاب (دَجَن) يلفّ من الشرق إلى الغرب يقتل كلّ مَنْ يقرؤه حتّى وقع في يد امرأةٍ من أهل الحجاز كانت تريد أن تعرف عن تحضير القرين، وقرأت الكتاب فخرج لها (دَجَن) ليقتلها لكنّه منذ أن رأى شعرها الأسود وقامتها القصيرة - وهي من الصفات الفاتنة للشياطين - وقع في حبّها ولم يؤذها، وظلّ يزورها كلّ ليلةٍ متشكلاً بصورة بشريّة تقبل وجوده حولها.

وبعدما فرغ (دَجَن) من رواية إحدى قصصه ذات ليلة، فتح قلبه لها وظلّ يتحدث عن ماضيه مع الساحر (نجد) والساحر الذي حرّره، وعن الذين حضّروه قبلها وقتلّه لهم جميعاً، وأخبرها كذلك بأنّ نطق اسمه هو الطريقة الوحيدة لإيقافه وتجميده.

فسألته: وما اسمك؟

فقال ضاحكاً: وماذا تريد من اسمي؟

قالت: بما أنّ حبّي لك عظيمٌ، ولن أقدر على نطقه كي لا أفارقك أريد سماعه .

فقال وهو مخموراً بحبّها: (دَجَن).. اسمي (دَجَن)

فوضعتْ ظهر يدها على خدّه وقالت:

«وداعاً (دَجَن)..»

وبنطق اسمه حبسته مرّةً أخرى، وبسبب محاولاتها المتكرّرة والفاشلة في التخلّص من الكتاب بحرقه وتمزيقه، قرّرت كتابة اسمه في صفحة تحضيره

بخطّ يدها كي يعرف الناس سرّ التخلّص منه. هنا قاطعتُ الرجل قائلاً:

- لماذا لم تستطع المرأة التخلّص من الكتاب بتمزيقه أو إحراقه؟

فرّد علي: هل حاولتَ أنتَ فعل ذلك من قبل؟

- لا

- حتى وإن حاولتَ، كان الكتاب سيعود كما كان.

- لكنّ الكتاب احترق في غرفتي وأمام عيني.

- هذا بفعل (دَجَن) لأنّه علم ما صنعه المرأة، ولا يريد لأحد أن يجسه.

أرادَ أن يبقى حرّاً إلى الأبد، فأحرق الكتاب ليمنعَ أحداً من تجميده

مرّةً أخرى، وعندما قمتَ بتحضيره كانت تلك فرصته لفعل ذلك

وتحرير نفسه إلى الأبد.

بعد ما انتهى الرجل من سرد حكاية (دَجَن) سألتّه: «كيف عرفت هذا

كلّه؟»

سكتَ قليلاً ثم قال: نحن السّحرة نتعامل مع الكثير من الجنّ

والشياطين، وأخبارُهم تصلنا دائماً منهم بسرعة البرق، فنقوم بتدوينها في

كتبٍ ومدوّناتٍ وهذا جزءٌ من اتفاقنا معهم، لكنّ أخبار (دَجَن) انقطعت

منذ فترة، ولم يسمع عنه أحدٌ حتى قمتَ أنتَ بتحضيره وإطلاق سراحه.

- لماذا إذا قلتَ لي إنك لا تعرف اسم شيطاني؟

فقال وهو يبتسم: هناك المئات، بل الآلاف من الشياطين الذين يُذكرون في المدونات يوميًا، هل تظن أنك الوحيد؟ أو أن (دَجَن) هو الوحيد الذي تم تناقل أخباره؟ ثم إن الأخبار كانت عنه وليست عنك.

سكتَ قليلًا ثم سأله سؤالًا أخيرًا، قلت:

«هل سيبقى (دَجَن) محبوسًا إلى الأبد إذا نطقتُ اسمه؟»

- نعم.. فكتاب تحضيره أُحرق، والشخص الوحيد الذي يعرف طريقة تحضيره وتجميده وما زال على قيد الحياة هو أنت وأنت فقط، وبموتك يموت (دَجَن) لأنه لن يجد أحدًا ليحرّره.

فابتسمتُ وودّعتُ الرجل وخرجتُ لأحبسَ (دَجَن) إلى الأبد..

## رحلة العودة إلى بلادي

لن أدخل في تفاصيل ما حدث معي وصعوبة العودة إلى بلادي؛ فخلاصة ما حدث هو أنني قمت بالتوجه لسفارة بلدي التي تولت إجراءات ترحيلي حيث أنه كان هناك بلاغٌ مسجل للبحث عني كشخصٍ مفقودٍ في تلك الدولة مقدّم من أهلي، وعلى أثره طُلب تسليمي أمنياً إلى دولتي والتحقيق معي لفترة وجيزة. هذه أمورٌ يطول شرحها لذلك سأبدأ من لحظة وصولي إلى المنزل ودخولي الباب بعد ٣ سنواتٍ من الغياب.

كان استقبال أهلي خليطاً من الفرح بعودتي والحزن والغضب من رحيلي، كان أخي وقتها قد بلغ العشرين من عمره وأنا قد ناهزت السادسة والعشرين، وأمّي قد بدا عليها التعب والمرض. بكّت أمّي كثيراً وهي تقبّلني، أمّا أبي فكان يدعو لي وعليّ في وقتٍ واحدٍ وأخي يبتسم ودموعه في عينيه وأنا بينهم أبتسم مرتاحاً لأنّ كلّ شيءٍ قد انتهى، وفي تلك اللحظة قرّرت نسيان الماضي واستعادة زمام حياتي.

فُصِّلْتُ من الجامعة، لكن الشفاعات في بلدي لها مفعول كالسحر  
فعدتُ إلى مقعد الدراسة خلال أيام، وبدأتُ الدراسة مثل أي طالبٍ آخر،  
وعادتُ حياتي إلى طبيعتها حتى دخل عليّ أخي غرفتي في أحد الأيام وكان  
الوقت بين المغرب والعشاء، وأخذ يبكي بخوفٍ ويقول :

«ساعدني يا أخي لم أعد أستطيع التحمل!»

قلت بنبرة قلقة : ما بك ؟!

- بعد رحيلك واختفائك المفاجئ بحثنا عنك في كل مكان ولم نجد لك  
أثرًا، سألنا عنك أقرباءنا جميعهم ولم يخبرنا أحدٌ بشيءٍ يدلُّنا عليك  
إلا قريبنا ابن الرجل العجوز (كان يقصد ابن الرجل الذي أعطاني  
الكتابين) فقد قال لي إنك أتيتَ إلى منزله في الليلة التي اختفيتَ فيها،  
وبحثتَ في غرفة أبيه، وقرأتَ بعض كتبه ثم خرجتَ منها مسرعًا..  
فطلبتُ منه أن يعطيني تلك الكتب.

وقبل أن يكمل جملته صرختُ فيه وقلتُ: هل أخذتَ تلك الكتب؟  
رد باكياً:

«نعم وقرأتُ كتاباً واحداً فقط، ومنذ ذلك الوقت لا أستطيع النوم،  
أرجوك ساعدني يا أخي!»

قلتُ له: أحضر الكتب جميعها بما فيها الكتاب الذي قرأته.  
أحضر أخي الكتب جميعها، وبسبب خبرتي وعلمي الواسع الذي  
اكتسبته من مكتبة الرجل فرزتُ الكتب إلى ثلاث فئات:

**كتب تحضير حقيقة**

**كتب تحضير وهمية**

**كتب سحر وربط**

طلبتُ من أخي أن يشير إلى الكتاب الذي قرأه وقلبي يتمنى أن يكون  
من كتب التحضير الوهمية، لكن للأسف فقد خاب ظني، لأن الكتاب  
الذي اختاره كان كتاب تحضير حقيقياً مسؤولاً عن تحضير شيطان اسمه  
(يعرم) وهو شيطانٌ علويٌّ قويٌّ جداً يعذب من يحضره بالكوابيس والعبث



بجسده حتى يملّ منه ويقتله. (يعرم) هذا ليس بشيطانٍ سهلٍ فقد قرأتُ  
عنه من قبل؛ وهو يملك قوّةً غير اعتياديّة، وينحدر من قبيلة «الأباطنة»  
وابنٌ لأحد ساداتها.

طلبتُ من أخي المغادرة وطمأنته أن كلّ شيءٍ سيكون على ما يرام،  
ثم قمتُ بتصفُّح الكتب المتبقية؛ ولأني امتلكتُ الخبرة الكافية كنت أعلم  
مسبقاً أن أقرأ الطلاسّم بذهني لا بشفتيّ كي لا يقع عليّ أثرها المباشر،  
لأنّ بعضها لا يكون له تأثيرٌ إذا لم تنطقه بشكلٍ مسموع، وخلال تقليبي  
الكتب وجدتُ كتاباً لتحضير القرين وقد كان حقيقياً ولم يكن فخاً كما كان  
مع كتاب (دَجَن)، وحسب ما قرأتُ في محتواه فإنّ القرين المحرّر يمكن  
السيطرة عليه وتسخيره ببعض الطلاسّم التي حفظتها من المكتبة، والقرين  
المحرّر يكون أقوى من الكثير من الشياطين بما فيها (يعرم) نفسه؛ لذلك  
قرّرتُ تحضيره للتخلص من الشيطان المتربّص بأخي، ولو كنتُ أعرف ما  
سيحدث بعدها لما فعلت، ولكن نظراً لصغر سني في تلك الفترة، وضعف  
وازعي الدينيّ، وجهلي بالحلال والحرام فيما يخصّ هذا العالم، وما مرت  
به في السنوات الثلاث الماضية من تلويث لعقلي، كان لذلك كلّ تأثيرٌ على

قراراتي، لذلك لم أفكر حينها بالأضرار التي قد تنجم عن العبث في هذا العالم. نفذت كل ما ذكر في صفحة التحضير بالحرف فظهر قريني أمامي متشكلاً بشكلي، لكنه كان مختلفاً قليلاً وكان دون إحدى عينيه وقال لي:

«شكرًا يا أخي سأُتخلص من (يعرم) لأجلك الآن»

ثم اختفى..

بعد فترة لم تتجاوز الدقائق المعدودة سمعتُ صوت صراخ قويٍّ يأتي من غرفة أخي، هرعْتُ على أثرها إلى غرفته فوجدته على سريرهِ غارقاً في بركة من الدماء يبكي وسطها، ولم يكن يعاني من أي جروح، فقلت له وأنا أتفحص جسمه بسرعة: «ماذا حدث؟!»

قال وهو في حالة من التشتت والذهول: لا أعرف، أنت دخلت وطلبت مني أن أغمض عيني ففعلت. عانقتُ أخي مُدركاً أن (يعرم) قد مات على يد قريني، وهذه الدماء التي تغطي المكان ما هي إلا دماء ابن سيد الأباطحة».

انتهت مشكلة أخي مع (يعرم) وعادت حياته إلى طبيعتها، وأنا بالمثل  
عدت مع أصدقائي وأهلي وزملائي في الدراسة كما كنت سابقاً، وبعد سنة  
تقريباً من هذه الحادثة زارني قريني في المنام وقال لي :

«دَيْنُكَ يَنْقُضِي الْيَوْمَ يَا أَخِي..»

استيقظت وأنا أفكر في تلك الجملة لكنني لم أفهم معناها، وفي اليوم التالي  
وبعد ذهابي باكراً إلى الفراش واستغراقي في النوم بضع ساعات استيقظت  
مرعوباً من صرخةٍ مدوية كانت قريبة جداً من أذني، سمعت صوتاً يشبه  
صوتي قادمًا من داخل غرفتي لكنني لم أستطع رؤية وجه المتكلم، وكان  
الصوت يردد اسم مكانٍ معروفٍ في مدينتنا.

اختفى الصوت فقررتُ الذهاب إلى تلك المنطقة وكانت الساعة  
الواحدة صباحاً تقريباً، ركبْتُ سيارتي متوجّهاً إلى هناك، وبدأتُ التجوال  
فيها وبين بيوتها ومحلاتها حتى رأيت شخصاً يُشير إليّ بيده لأقف. في  
السابق لم أكن لأقف لمثل هذا الشخص الغريب وفي مثل هذه الساعة في

هذا المكان المجهول نسيًا بالنسبة إليّ، لكن يبدو أنّ قلبي قد مات خلال  
السنوات الأربع الماضية.

توقّفتُ وفتحتُ النافذة سائلًا عما يريدُه الرجل مِنّي، فعاتبني لأنّي  
تأخّرتُ سنة كاملة عن الموعد وطلب مِنّي دخول منزله. نزلتُ من السيارة  
وأنا محتارٌّ بين اللحاق به أو الانصراف، فأثّرت الدخول. وقف الرجل عند  
مدخل المنزل وأشار لي بالتقدم وسطه. كان منزلًا صغيرًا بممر ضيق يقود  
لغرفة مكتومة، وشممتُ خلال تجولي به رائحةً تشبه الرائحة التي شممتُها  
في بيت الرجل الذي مكثتُ عنده ثلاث سنوات .. رائحة التفاح المتعفن.  
دخلتُ الغرفة المضاءة بشكل طفيف وسمعتُ صوتًا ينادي من أحد أركانها  
ويقول: «مَن هنا»

مشيتُ باتجاه الصوت فوجدتُ شخصًا جالسًا على الأرض يشبه في  
لبسه وهيئته صاحبي الذي مكثتُ عنده في الجبل الأخضر، وكان الشخص  
الذي فتح لي الباب وقتها قد تبعني ودخل الغرفة حاملاً بيده كأس لم  
أستطع رؤية محتواه لأنّه لم يكن شفافًا وسار حتى وقف خلف صاحبه الذي

حدثني. وطلب مني الجلوس أمام الرجل الآخر ففعلت ثم قال : **الرجل أنت جاهز؟**

- جاهز لماذا بالضبط؟

- للمرحلة الأخيرة من تنصيبك؟

- تنصيب؟ .. عمّ تتحدث؟

تجهم الرجل الجالس وصرخ بي قائلاً: هل أتيت لتسخر مني؟

صرختُ في وجهه قائلاً: هل أنت مجنون؟!

وضع الرجل الذي كان واقفاً الكأس على الأرض وأنهضني بسرعة

وأخذني إلى الخارج وهو يقول: ما بك؟ ما الذي تفعله؟! لما تحاول تخريب

كل شيء؟!

صرختُ فيه وقلتُ: ماذا بك أنت؟! ماذا تريد مني؟!

ردّ بغضبٍ واستغرابٍ: تُنهي الشروط الصعبة جميعها وعندما تصل إلى

المرحلة السهلة تقف؟!

لم أفهم منه شيئاً فقلتُ: أنا سوف أرحل، يبدو أنني أتيتُ إلى المكان الخطأ.

وقبل أن أخرج أمسك الرجل بذراعي وقال:

«لن يسمحوا لك بالهروب منهم بهذه السهولة، أنت واحدٌ منهم الآن  
ويجب أن تُتمّ مراسم التنصيب.»

تفَلَّت منه وخرجتُ وركبتُ سيارتي عائداً إلى المنزل لأجد أخي في حالة  
خوفٍ وهو يقول لي إنّ أُمِّي صرختُ فجأةً ثم سقطتُ على الأرض فنقلوها  
إلى المستشفى. ذهبتُ مسرعاً إلى هناك، أخبرني الطبيب أنّها في غيبوبةٍ  
وصارحني بأنّه لا يعرف سبب الحالة. دخلتُ إليها مسرعاً فشاهدتُ  
عليها علاماتٍ لم يرها الطبيب وكنت قد قرأتُ عنها في أحد الكتب في تلك  
المكتبة اللعينة، كانتُ كلّها تشير إلى تعرّضها لمسٍ شيطانيٍّ مرسلٍ وليس  
مختاراً، أي أنّ هناك من أرسل لها شيطاناً ليعبثَ بها، لم يخطر ببالي إلا ذلك  
الرجل المجنون ومساعدته، فركبتُ سيارتي متوجّهاً إلى منزله بغية الانتقام  
وكان وقتها الفجر قد اقترب، طرقتُ الباب بقوةٍ ففتح لي رجلٌ لم أره من  
قبل، فقلتُ له: أين الذي يسكن هنا؟!

- أنا من يسكن هنا



- أنت كاذب!

تشاجرتُ مع ذلك الغريب واجتمع علينا الناس الذاهبون إلى صلاة  
الفجر ففرّقوا بيننا، ركبْتُ سيارتي ورحلتُ. في طريقي إلى المنزل كنتُ أقود  
سيارتي بسرعة وفي لمح البصر ظهر قريني معي في السيارة جالسًا في المقعد  
المجاور للسائق وقال بصوتٍ مرتفع:  
«دَيْنُكَ اليوم ينقضي!!»

فزعتُ منه ففقدتُ التحكم بالمقود ووقع لي حادثٌ شنيعٌ نُقلتُ على أثره  
إلى المستشفى، لم أعانٍ من أيّ كسورٍ أو جروحٍ مع أنّ السيارة قد تحطّمتُ  
تمامًا، دخل عليّ الطبيب وكانت الساعة السادسة صباحًا تقريبًا وقال:  
نجوتَ بأعجوبةٍ وستخرج من هنا غدًا بإذن الله. زارني أخي في المستشفى  
وأوصيته أن يشغل سورة البقرة بجانب أمي وأن ينام معها تلك الليلة  
ويمسحَ على جبينها من ماء زمزم.

رحل أخي ونمتُ قليلًا حتّى العصر وعندما استيقظتُ أحسستُ  
ببرودةٍ شديدةٍ فطلبتُ من الممرضة إطفاء المكيف لكن لم يتغير شيءٌ، طلبتُ  
منها غطاءً إضافيًا فلم يُجدِ ذلك نفعًا، فحاولتُ النهوض من السرير لكنني



لم أستطع؛ لأنني أحسستُ بشيءٍ ثَقِيلٍ على صدري، شيءٌ كاد يَحْطِمُ أضلعي،  
وأخذ الثَّقَلُ يزداد تدريجيًّا حتى ثَبَّتَنِي تمامًا على السرير.

حاولتُ الصراخ لكنَّ شيئًا ما كَمَمَ فمي، عرفتُ وقتَها أَنه قريني الذي  
حرَّرتَه وَأَنه عاد لِيُحْصَلَ ذلك الدَّين الذي يتحدَّث عنه. حين خَفَّ الضغط  
عن فمي بعد خمس دقائق تقريبًا استطعتُ تحريك لساني فقلتُ : «ماذا  
تريد؟!»..

لم يرد عليَّ أحدٌ، فكَرَّرتُ العبارة رافعًا صوتي في كلِّ مرَّةٍ حتَّى عاد  
الضغط على فمي مرَّةً أُخرى، فسمعتُ همسًا بصوتي في أذني يقول:  
«أريد أن أتواصل معك، أريد أن تستجيب لهم، أريد أن تراني»

لم أفهم كلامه، وظلَّ مُطَبِّقًا على صدري وبدأ يضربني ضربًا مبرحًا حتَّى  
أُغمِيَ عليَّ. استيقظتُ صباحًا على صوت الطبيب وهو يقول لي:

«ماذا فعلتَ بنفسك؟!»

لم أعرف قصده حتَّى رأيتُ الضمادات تغطِّي صدري وذراعي ولفافةً  
ملفوفةً على رأسي. نهضتُ ببطءٍ من الفراش والطبيب يحاول إمساكي وأنا

أتفلتُ منه، وفي النهاية نجحتُ في الخروج من المستشفى، وتوجّهتُ  
إلى المنزل. قابلتُ أخي وأخبرته أنني يجب أن أسافر، فأمسكني وقال:  
«لن تسافر مرةً أخرى!!»

- يجب أن أسافر وإلا فلن أسامح نفسي لو أصاب أمي مكروه!

- وما علاقة سفرك بها؟

- لا عليك فقط انتظروني.

توجّهتُ إلى الباب وأخي يتذمّر منّي ومن الذي سيحدث لأبي بسبب  
غيابي للمرة الثانية، لم أردَ عليه إلا بسؤالٍ واحدٍ عندما أمسكتُ مقبض  
الباب خارجاً من المنزل، قلتُ له:

«هل نحن في موسم التين؟..»

## ٣١ سنوات التي قضيتها

### محبوساً في المكتبة

الرجل الذي قضيتُ معه ثلاث سنواتٍ من عمري رغماً عني ودون اختياري كان اسمه (عمار) كما حكى لي فيما بعد. منذ أول يوم قضيته معه كنت ثائراً وساخطاً على حالي؛ خاصّةً عندما طال البحثُ عن (دَجَن) في كتبه. كنتُ حبيسَ المكان، ضحية لهواجس عقلي المتكررة .. أسيراً لأوهامي. بات عقلي سجنًا ضيقاً قضبانه أفكار متضاربة ومتناقضة رمت بي في غياهب جب عميق لا قاع له. أمّا هو فكان يخرج بحرية وقتها وكيفما شاء. وغالبًا يحدث ذلك حينما يريد التزود بالمؤن أو لإحضار الطعام والماء. بيته كان معزولاً عن العالم وسط تلالٍ خضراء، كثيرًا ما شعرتُ بالملل والقلق على حال أهلي بعد رحيلي، وبالغضب منه لأنّه رفض التواصل معهم وطمأنتهم عني، لكنّي تفهّمتُ سبب خوفه فيما بعد.

الفترة التي قضيتها مع (عمار) لم تكن بسيطةً وأثّرتُ على شخصيّتي وسلوكياتي كثيرًا، وفي مرحلةٍ متأخرةٍ أبعدتني عن ديني وإنسانيّتي وخلقّت مني شخصًا مختلفًا.

## الدقيقة الأولى في بيت (عمار)

كانت تلك الدقيقة مملوءة بالانبهار والاستغراب من شكله وشكله  
الذي كان بسيطاً ومكوناً من دَورٍ واحدٍ فقط، ليس به غرفٌ كثيرةٌ ومسقفٌ  
مغطى بالأخشاب مع أنَّ المنزل كان من الطوب.

لم أتحدَّث في هذه الدقيقة لكنِّي أدركتُ أنَّي دخلتُ عالماً مختلفاً.. عالماً  
يختلفُ كلياً عن العالم الذي أتيتُ منه، ومنذ تلك الدقيقة ورغبةُ الخروج  
من منزله تراودني.

## الساعة الأولى في بيت (عمار)

هي الساعة التي قدَّم لي فيها (عمار) مفتاح خلاصي، وفي اللحظة نفسها  
رماه في بحرٍ عميقٍ وقال لي: اذهب وابحث عنه، وأنا لا أجيد السباحة  
قضيتُ ساعتِي الأولى في بيته وأنا أقرأ على عُجالةٍ كي أدرك طائرِي قبل  
إقلاعها.. لم أعرف حينها أنَّ الرحلة سوف تؤجِّل بعض الوقت لأهل

غير معلوم. حينها أعطاني (عمار) الخيار لأبدأ بأيّ كتابٍ لم أفكر وقتها في الاختيار بشكلٍ محدّد، بل مددتُ يدي نحو أوّل كتابٍ وقعت عيني عليه ورأيتُه أمامي وفتحتُه وبدأتُ القراءة فيه بلا هوادةٍ أو تركيز. كنتُ أبحثُ عن شيءٍ لا أعرفه لذلك لم أجده. قلبتُ الصفحاتِ وفي معظم الوقت لم أفهم شيئاً؛ لأنّ تلك الكتب كانت تتحدّث مع القارئ وكأنه يعرف المقصود من الكلام والرموز المدونة في صفحاته، لذلك ذهبت إلى (عمار) بعد نصف ساعةٍ من القراءة وقلت له:

«لا أفهم شيئاً تماماً هو مكتوب.. ولا أظنني أستطيع الإكمال..»  
قال: لن تفهم شيئاً في البداية لكن استمرّ وأعدّك أنّك ستفهم مع مرور الوقت

أغلقتُ الكتاب ووضعتُه على المنضدة التي كانت بجانب (عمار) وأخذتُ نفساً عميقاً وقلت:

«لا أستطيع..»

فقال: هل تنوي البقاء هنا إلى الأبد؟

سكتُ وأنا أنظر في عينيهِ اللتين كانتا تحدّقان بي بجديّةٍ ثم قلتُ: أصدقك

القول.. لا أستطيع..

نهض (عمار) من مكانه حاملاً الكتاب بيده اليسرى وبيده اليمنى أمسك  
كتفي وهزني وقال بنبرة صارمة:

«استطعت قراءة كتاب تحضير ذلك الشيطان وسوف تستطيع إيجاد  
الكتاب الذي يخلصك منه!»

مددت يدي وأخذت الكتاب بشمالي وأنا أقول: «ليتني لم أقرأ ذلك  
الكتاب..»

بعد ذلك نهضت من مكاني عائداً إلى المكتبة وأكملت قراءة الكتاب..

### اليوم الأول مع (عمار)

بقيت أقرأ في المكتبة حتى غابت الشمس ولم أشعر بالوقت حتى دخل  
عليّ (عمار) بمصباح زيتي في يده وقال: هل وجدت شيئاً؟

فقلت زافراً بخيبة: لا.. ولم أفهم شيئاً أيضاً..

ضحك وقال: توقّف عن القراءة الآن وتعال لتأكل

- لا أستطيع يجب أن أجِدَ ما أبحث عنه

- لا أريدك أن تقرأ وقت الغروب

- ولماذا؟

- لا تسألني الآن سوف أخبرك عن السبب يوماً ما.

نهضتُ من مكاني متوجّهاً إلى غرفة المعيشة لأجدَ (عمار) جالساً ومعه إناءٌ واحدٌ فيه خليطٌ غريبٌ أشبه بالهريسة وقال لي:

«تفضّل تناول معي طعام العشاء..»

لم أرغب في البداية بتناول ذلك الطعام؛ فقد كان الأكل الذي أحضره (عمار) غريباً لا يشبه الأكل الذي تعودتُ عليه، وحين سألتُه عن نوع الطعام ومصدره قال لي:

«كُل ولا تسأل»..

ترددتُ في البداية لكنّ جوعي أرغمني على التذوّق. لاحظتُ أنّ (عمار) لم يُسمِّ وكان يأكل بيده اليسرى لكنني لم أعلق على ما لاحظتُه. بعد الانتهاء من الطعام سألني (عمار): كيف وجدتَ الطعام؟

- لقد كان جيّداً..



قلتُ ذلك من باب الذوق والمجاملة، لكنَّ الحقيقة أن الطعام بلا نكهة  
أو طعم تقريباً ولم يكن به ملحٌ أو أيّ مصدرٍ للتذوق، لكنني لم أريد أن أكون  
وقحاً وفظاً مع مَنْ فتح لي باب منزله.

عدتُ إلى القراءة بعد تناول الطعام مباشرةً مع أن (عمار) حاول إقناعي  
بتأجيل ذلك إلى الغد لكنني لم أريد تضييع الوقت، فرحلتني في المطار كانتُ  
بعد يوم. دخلتُ المكتبة وكانت مظلمةً فبحثتُ عن مصدرٍ للكهرباء كي  
أشعل الإضاءة لكنني لم أجده، تذكرتُ وجود إضاءةٍ في غرفة المعيشة حين  
تناولنا الطعام، فعدتُ إلى غرفة المعيشة فوجدتُ (عمار) جالساً يكتب في  
إحدى مدوّناته، رفعتُ نظري باحثاً عن مصدر النور في الغرفة، فوجدته  
المصباح الزيتي ذاته الذي دخل به عليّ سابقاً معلقاً على الجدار فتعجبتُ  
وسألتُ (عمار):

ألا تملك كهرباء في هذا المنزل؟

لم يُجب (عمار) عن سؤالِي واستمرّ بالكتابة ..

كثرتُ السؤال عليه أكثرَ من مرّةٍ لكنّه كان يكتب بتركيزٍ وكأنّه لا يعي شيئاً مما حوله. عدتُ إلى المكتبة وبدأتُ البحث عن مصدر للضوء فيها، وخلال بحثي دخل عليّ (عمار) وفي يده مصباحٌ آخرًا غير المعلق في غرفة المعيشة وقال:

«خُذْ.. استخدم هذا المصباح ..»

◦ - ما الذي حدث قبل قليل؟ .. لماذا لم تردّ عليّ؟

تجاهل (عمار) سؤالِي وسار حاملاً المصباح في يده قائلاً:

«تعال سأريك شيئاً..»

لحقتُ به ونسيتُ أمر سؤالِي. جلس (عمار) على الطاولة التي كانت تتوسط المكتبة ووضع المصباح في المنتصف، ثم أحضر كتابين ووضعهما بجانب بعضهما البعض وقال: افتح الكتابين ..

سحبت كرسياً آخر وجلستُ بجانبه وفتحتُ الكتاب الأوّل فوجدتهُ شبيهاً بالكتب التي قرأتها ذلك اليوم، ثم فتحتُ الكتاب الثاني فوجدتهُ

مختلفًا فقد كان مكتوبًا بخط اليد فقلتُ له :

«ما الذي تريد قوله لي؟»

قال: هناك نوعان من الكتب.. الكتب المطبوعة وهي كتب جيدة لكن ليست نادرة وعلمها متداول ويوجد منها عدّة نُسخ، لكن الكتب المكتوبة بخط اليد لا يوجد منها إلا نسخة واحدة أو على أكثر تقدير نسختان في هذا العالم، وأنا أملك منها خمسة.

- ولماذا تخبرني ذلك؟

- لا تقرأ الكتب المكتوبة بخط اليد

- لماذا؟

- لست مستعدًا لها بعد.

- لكن ربما خلاصي موجود بين طيّاتها.

- لا تقلق أنا أدري بمحتواها وهي لا تحتوي على شيء يفيدك.

خرج (عمار) ولم أجادله كثيرًا؛ لأنِّي لم أكن حريصًا على قراءة المزيد من  
كتبه، بل في الواقع كنتُ سعيدًا؛ لأنَّ الكتب التي يتوجب عليَّ قراءتها الآن  
قد نقصتُ خمسة.

بعد ساعاتٍ من القراءة تحت ضوء المصباح دخل عليَّ (عمار) قبل الفجر  
وقال:

«يجب أن تنام الآن ..»

- لا أستطيع .. يجب أن أجِدَ ضالتي

- هذا ليس طلبًا، بل أمرٌ

- أنا متعبٌ على أيِّ حال .. أين سأنام؟

دخل (عمار) غرفة المعيشة ثم عاد ومعه لحافٌ متينٌ، أعطاني إيَّاه وقال:

«ستنام هنا على الأرض ..»

- ألا تملك وسادة؟

- لا تحتاج لها

خرج بعدها وأغلق عليَّ الباب ..

## الأسبوع الأول مع (عمار)

الأيام الأولى في منزل (عمار) كانت الأصعب؛ فقد كنتُ مثل السجين الذي يريد أن يخرج من سجنه ويُنهى معاناته، حالتي النفسية غير مستقرّة، كنتُ شديد العصبيّة خاصّة بعد أن فوّتُ رحلتي التي كانت ستأخذني إلى بلادي. قرأتُ بسرعةٍ وعلى عجلةٍ بين الكتب كي أصِلَ إلى هديّ المجهول بأسرع وقتٍ ممكن، وتجاهلتُ نصائح (عمار) بالتروّي والتدبّر في الكلمات المكتوبة، وألّا أُمّرَ عليها مرور الكرام. لم أستمع إلى كلامه وتابعتُ القراءة بطريقتي، ولكنّ دون جدوى؛ فلم أفهم ما قرأت، ولم أعرف عن ماذا أبحث، فقد كنت في دوامةٍ، ناهيك عن بعض الكلام المقرّر المكتوب في تلك الكتب من تمجيدٍ للشياطين. كانت تلك الكتب أشبه بتلك الهريسة المقرّفة التي تناولتها مع (عمار) في اليوم الأوّل، والتي اتّضح لي فيما بعد أنّها طعامه اليوميّ، ولا يأكل غيرها، ولم يكن أمامي خيارٌ غير أكلها معه.

لقد فرض عليّ نظام حياةٍ جديدًا ومختلفًا عن نظام حياتي. كان (عمار) يُقفل باب المكتبة عليّ من المغرب وحتى شروق الشمس، ولا يترك معي إلّا المصباح وقليلًا من الزيت يكفي لساعتين من القراءة، ولم أكن أعرف

السبب لفعله ذلك.. قلتُ في نفسي وقتها «لعله لا يريد تحمّل نفقات الزيت المُكَلِّفة».

واجهتُ (عمار) في اليوم الرابع تقريبًا، وسألته عن سبب إغلاقه باب المكتبة عليّ في المساء فقال : «ولماذا تريد الخروج؟»

قلتُ: لا أريد الخروج لكنّي لا أريد الإحساس بأنّي سجينٌ فيها.

- أنت بالفعل سجين فيها وعندما تدرك ذلك سترتاح.

صرختُ في وجهه قائلاً: الموت أهون ممّا أنا فيه!

- الموت ينتظرك في الخارج، وأنا لم أمنعك من معانقته

سكتُ، وأنزلتُ بصري إلى الأرض وعدتُ إلى المكتبة لإكمال القراءة..

## الشهر الأول مع (عمار)

قد تكون هذه الفترة هي أصعب مرحلة قضيتها مع (عمار)، فقد كنتُ مستاءً جدًّا فيها ومللتُ من القراءة والطعام ومن كلّ شيءٍ. مرضتُ في هذه الفترة مرّتين وكان (عمار) وقتها يسقيني شرابًا غريبًا خلال مرضي، ومع أنّ

مرضي في المرتين كان مختلفاً إلا أنه سقاني الشراب نفسه. لم أمانع طعمه المر  
لأنه كان تغييراً لطيفاً عن تلك الهريسة المقرفة. خلال ذلك الشهر تعرّفتُ  
أكثرَ على روتين (عمار) اليومي، وانتبهتُ إلى غرابة نمط الحياة التي كان  
يعيشها؛ فقد كان قليل الخروج من المنزل ويكتب أكثر مما يقرأ، وكان يتمم  
أحياناً بعض الكلمات التي لم أفهمها ناهيك عن التحدّث مع نفسه من  
وقتٍ لآخر. ومع ذلك لم يحرص (عمار) على إخفاء أسلوب حياته الغريب  
عني؛ فقد كان يتعامل معي وكأنني غير موجودٍ أو معتادٌ على هذه الأمور،  
وبالفعل مع الوقت تعودتُ على ما كنت أراه.

يتألف المنزل من غرفة للمعيشة، وغرفة نوم صغيرة جداً كان (عمار) يأوي  
إليها في المساء، بالإضافة إلى المكتبة التي احتلت المساحة الأكبر من المنزل،  
ولم أكتشف عدم وجود دورة للمياه إلا بعد اليوم الأول حين احتجتها  
فقال لي (عمار):

«أنا أقضي حاجتي في الخارج..»



- وما العمل.. أنا لا أستطيع الخروج من هنا

فضحك (عمار) بقوة، فقلتُ له: هل هذا وقت الضحك؟

- عذرًا لكنَّ حالتك الآن مضحكة!

- أعطني الحلَّ واضحك كما تشاء.

خرج (عمار) إلى الخارج وعاد ومعه دلوٌّ معدنيٌّ وقال:

«ستكون هذه دورة المياه الخاصّة بك طيلة فترتك هنا.»

لم أجادله، ودخلت المكتبة وقضيت حاجتي ثم عدتُ وقلتُ له:

أحتاج الماء كي أغتسل.

- الماء شحيحٌ هنا، والبيئر التي أحضر منها الماء ليست قريبةً.

- أرجوك لا أستطيع البقاء دون الاغتسال.

تعاطف معي (عمار) في المرّة الأولى وأحضر لي الماء لكنه لم يكررها بعد

ذلك..

تلك الفترة كانت صعبةً وشاقّةً؛ فقد سلبتُ منّي الكثير من رفاهيات

الحياة التي كنتُ أعتبرها من المسلّمات، كان الاستحمام مرّةً في الشهر،

وشيثًا فشيثًا أقنعتُ (عمار) بتوفير ماء الاستحمام مرّة في الأسبوع على الأقل، ولكن عندما حلّ الشتاء القارس وصار الماء شبه متجمّد لم أستحم لأكثر من ثلاثة أشهر.

لم أشرب غير الماء، أمّا (عمار) فكان يحتسي مشروبًا ساخنًا من وقتٍ إلى آخر وسألته مرة:

هل هذا شايٌّ أم قهوةٌ؟

- هل تريد بعضه؟

- أريد أن أعرف محتواه أولًا

ردّ وهو يأخذ رشفة أخرى: صدّقني لا تريد أن تعرف.

كنا في الشتاء وعلى مشارف الربيع، وكنتُ أستمع أحيانًا بالطبيعة الخلابة التي استرقّ النظر إليها من خلال نافذة غرفة المعيشة؛ فالغرف الأخرى لم يكن بها نوافذ.

سألتُ (عمار) يومًا عما إذا كان بمقدوري فتح النافذة لاستنشاق الهواء فقال:

لا بأس فالشيطان بالخارج لن يدخل منها إلى المنزل، ولكن كن حريصًا  
ألا تُطلَّ برأسك.. قالها وهو يضحك

فتحتُ النافذة واستنشقتُ بكلِّ قوَّتي عبق الحرِّية الذي افتقدته، كانت  
رائحة زهور الربيع اليانعة زكيَّة ونسيم الجبل باردًا وعليلًا. أحسستُ  
بالسعادة لأوَّل مرَّة منذ دُحولي لهذا المنزل. لكن خلال استنشاقِي لهذا العبير  
الزكيِّ صُدمتُ برائحةٍ كريهةٍ جدًّا أشبه بالبيض المتعفن المختلط برائحة  
الدخان، فكتمتُ أنفاسي وأغلقتُ النافذة فسألني (عمار) : «ما بك؟!»  
قلت: شممتُ رائحةً كريهةً جدًّا كالجيفة المحترقة.. هل قمتَ بحرق

شيءٍ في الخارج؟

ضحك (عمار) وقال: الرائحة التي وصفتها هي رائحة شيطانك.. يبدو  
أنه اقترب من النافذة جدًّا على أمل أن تُخرج رأسك.

سكتُ وأنا أنظر إلى الخارج من خلال النافذة وأقول في نفسي:

«سأجذك بين تلك الكتب»..

## السنة الأولى مع (عمار)

استمرّت القراءة واستمرّت نوبات غضبي بالازدياد، لكنّ (عمار) كان صبوراً وحليماً معي بشكلٍ غريبٍ، آمن بي أكثرَ من إيماني بنفسي ولم أعرف السبب وراء ذلك، ولكنّ مع مرور الأيام بدأتُ أعود شيئاً فشيئاً على نظامه الغذائي والحياتي. قلّت الأوقات التي كنّا نتحاور فيها؛ لأنّي لم أعد أسأل كالسابق، فالكتب أصبحت مألوفةً، وبعضها بدأ يترابط مع الآخر في ذهني، ولم أستعين بـ(عمار) إلا في الأمور المستعصية. كنت أتوقّف عن القراءة في موعد الوجبة الوحيدة ذلك اليوم وهي تلك الهريسة المقيّنة التي كان يصرّ (عمار) على تناولها يوميّاً بالرّغم من محاولاتي المتكرّرة لإقناعه بالتغيير ولو لفترةٍ بسيطةٍ لكنّه كان يرفض بشدّة.

بعد عدّة شهورٍ من البحث في الكتب بدأ (عمار) يتحدّث معي ويمازحني، ونمتُ بيننا علاقةٌ جيّدةٌ دفعتهُ إلى مساعدتي في البحث من وقتٍ إلى آخر، تعلّمتُ منه أشياء كثيرةً غير المكتوبة في الكتب كان رجلاً طيباً مع أنّه ساحرٌ خبيثٌ. أذكرُ مرّةً أنّي قلتُ له:

«ألا تدرك يا عمار أن الساحر كافر؟»

فضحك وقال: وماذا عمّن يأتيه؟

فسكت ولم أفتح معه الموضوع مرّة أخرى..

طلبتُ منه يومًا أن يُحضِر لي أدوات حلاقة؛ لأنّ شعر رأسي وذقني وجسمي بدأ يزعجني، فرفض وقال كثرة الشّعْر على الساحر مصدر قوّة له.

أجبتّه بانزعاج: أنا لستُ ساحرًا يا (عمار) ولا أريد أن أكون ساحرًا!

- الأمر لم يُعد خيارًا، أنت منّا وستبقى كذلك.

- أنا هنا مُجبرٌ ومتى أتخلّص من شيطاني هذا فسأُتخلّى عن هذا العالم اللعين.

قال لي وهو يضحك:

«هذا العالم له بابٌ واحدٌ وهو للدخول فقط»

لم يعجبني كلامه وقاطعته أسبوعًا كاملاً، بعدها جاء ليصالحني وقال

لي: لقد أرسلتُ رسالةً لنام أمّك ليطمئنّها عليك.

قلت له بلهفة: كيف؟!

وضع في يدي كتابًا وقال: اقرأ وتعلم.

رفضتُ وقلت له: لن أقرأ كتابًا من كتبكم لغير حاجة، وأمّي مؤمنةٌ  
ستصبر على بُعدي حتّى أعود.

كنتُ في السنة الأولى من بقائي معه أصلي، ولم يرفض (عمار) لكنّه كان  
يخرج من المكان حين أقوم بذلك. ولكن وللأسف في السنتين الأخيرتين  
أهملتُ الصلاة بسبب ما كنت أقرؤه في تلك الكتب اللعينة.

حلّ شهر رمضان خلال السنة الأولى، وهي المرة الأولى التي بدأتُ  
فيها ملاحظة بعض التغيّرات في الروتين اليوميّ، فقبلَ الشهر المبارك بأيامٍ  
أحضر (عمار) كمّيّة كبيرة من الأرز وبعض المُون وقال:

«سوف نغيّر نوعيّة الأكل في رمضان من أجلك»

فرحتُ في البداية لكنّي لم أكن متيقّناً من صدق كلامه حين قال إنّ  
التغيير من أجلي، وما زادني يقينًا التغيّرات الأخرى التي حدثت، مثل

تخزين كمية كبيرة من الماء داخل المنزل في براميل وكأنه يستعد لغارة جوية سوف تنزل عليه من السماء. عندما انتهى (عمار) من استعداداته جلس بجانبه والعرق يتصبب من جبينه بعد حمل تلك البراميل الثقيلة وقلت له: «ماذا يحدث؟.. ولا تخبرني بأنك تفعل ذلك من أجلي.»

(عمار): لا يمكننا الخروج خلال رمضان..

- أنا محبوس هنا طوال السنة على أي حال ، فما الفرق؟

(عمار): الفرق أنني سأكون محبوسًا معك، ولن نحصل على الطعام أو الماء.

- أخبرني لماذا؟

فنهض (عمار) ولم يردّ على سؤالي..

رمضان كان شهرًا قاسيًا على (عمار) وكنت أحسّ أنّ قواه تضعف أو تزول فيه، ولم أنتبه إلا في السنة الثانية أنّه كان يحضّر طعامًا يكفينا شهر رمضان بأكمله لكيلا يخرج، وفي السنة الثالثة فهمتُ أنّ قدرته تضعف بسبب ربط شياطينه خلال الشهر الكريم، سألتُه مرّة:

«لماذا لا أخرج في رمضان فالشياطين تُربط في السماء بما فيها ذلك

الشیطان الذي يتظرني؟» فقال لي : «اذهب وجرب فأنا لن أمنعك»



لم يكن إيماني قويًا في تلك الفترة لذلك لم أجرب، لكنني أعرف اليوم أن قول الله حق وأن ذلك الشيطان كان يُربط معهم طوال شهر رمضان المبارك ولو خرجت لما أصبت بأذى، لكن وجودي مع (عمار) وكتبه جعلني أفقد إيماني وجعلني أسيرًا لهم.

كان (عمار) يقفل الباب عليّ عند المغرب ولا يفتحه إلا مع الشروق، لكن خلال شهر رمضان لم يقم بذلك، بل كان يطلب مني ترك المكتبة والجلوس معه للحديث دائمًا خلال الليل. ومن تلك الأحاديث المطولة كلّ ليلة أخذتُ علمًا كثيرًا منه لم أجده في تلك الكتب، بل في الواقع أجباني عن تساؤلات كثيرة لم أجدها تفسيرًا خلال القراءة. كان (عمار) مختلفًا خلال رمضان بدا متعبًا ومريضًا أو غمورًا. لم أسأله كثيرًا عن حالته لأنني أعرف أنه لن يجيب. أخرج (عمار) في إحدى الليالي علبة سجائر وبدأ بالتدخين، وهذه كانت المرة الأولى التي أراه فيها يدخن. مدّ إليّ سيجارة وقال: خذ واحدة..

- أنا لا أدخن.. ثم ألم تختَر غير هذا الشهر الفضيل كي تبدأ بالتدخين؟

(عمار): ومن قال لك إنني لا أدخن من قبل؟

- لم أرك تدخن من قبل..

(عمار) : أنا لا أدخن إلا في الليل عندما تكون محبوبًا في المكتبة.

- لم تحبني يا (عمار) عن سبب حبسك لي داخل المكتبة من الغروب إلى الشروق من قبل.. لماذا؟ هل تظن أنني سأهرب؟

فضحك (عمار) بقوة ورفع رأسه ونفخ سحابة من الدخان وقال: إلى أين ستهرب وذلك الشيطان في الخارج؟

- لماذا إذا.. لماذا تُغلق الباب؟

(عمار) : هناك أحداثٌ تحدث في الليل لا أريد منك أن تراها.

- مثل ماذا؟

(عمار) : ما زال الوقت مبكرًا كي تعرف

- ولماذا لا تدخن إلا ليلاً؟

(عمار) : التدخين في النهار يضر ب(الهالة).

وكانت هذه أول مرة أسمع بمصطلح (الهالة) فقلتُ له: وما (الهالة)؟

(عمار) : أحد مصادر قوتي التي جعلتني أوقف ذلك الشيطان في

الخارج.. كل إنسان يملكها إلا أن قوتها تختلف من شخصٍ إلى آخر.

- وكيف تعرف إذا ما كانت هالتك قويّة أم لا؟

(عمّار) : بفحصها من قبل شخصٍ هالته مفعّلة.

- مفعّلة؟

(عمّار) : نعم مفعّلة.. الهالات كلّها القويّة أو الضعيفة تكون في طور

الخمول ويجب عليك تفعيلها كي تستفيد منها.

- هل تستطيع فحص هالتي؟

(عمّار) : هالتك قويّة جدًّا ولا حاجة إلى فحصها.

- كيف عرفت؟

(عمّار) : عندما تفعل هالتك تستطيع الإحساس بالهالات الأخرى

بسهولة.. هل ترغب بأن أفعل هالتك؟

- لا أعرف.. ماذا سأستفيد؟

(عمّار) : سترى العالم بشكلٍ مختلفٍ.. ستتضاعف قدراتك الحسيّة

والذهنيّة والجسديّة.. ستصبح قادرًا على القيام بأمورٍ لم تكن تستطيع القيام بها من قبل.

سكتُ ولم أَرِدْ عليه..

أكمل كلامه وقال: وفوق ذلك كله سوف تجد سهولة أكبر في قراءة تلك الكتب وفهمها، ولن تُصاب بالإرهاق والرغبة في النوم كثيرًا، حتى إنك مع قليلٍ من التدريب ستتحكّم بأحلامك، وفي مراحل متقدمة أحلام غيرك.

- أهذه الدرجة؟

(عمار): وأكثر من ذلك بكثير.

- وما المطلوب منّي القيام به؟

(عمار): هالتك قويّة وتفعيلها لن يستلزم الطرق المعقّدة التي نستعملها مع الهالات الضعيفة، لذلك لا أحتاج منك إلا القبول.

- قبول ماذا؟

(عمار): قبولك بأنّ أفعل هالتك.

- أقبل ذلك..

فنهض (عمار) من مكانه ووضع كفه على جبينني وأنا أقول في نفسي:

«هذا الرجل يتسلّى بي ويريد أن يضيّع الوقت قليلاً ..»

ولكن عندما وضع يده على رأسي سمعتُ صوتًا لن أنساه جعلني ألتفتُ  
يمينا ويسارًا مما دفع (عمار) لسؤالي : «ما بك...؟ هل سمعت شيئًا؟»  
- نعم طنينًا قويًا وكأنه طنين ذبابة تطير.

ضحك (عمار) ورفع يده عن رأسي، وجلس يشعلُ سيجارةً وقال:  
«مبارك لقد تفعلت هالتك والذبابة هي الدليل».

- أعتقد أنّ الذباب دليلٌ فقط على أننا لم نستحمّ لفترةٍ؟  
فضحك (عمار) بقوة أكبر وأخذ يسعل ويكحّ من شدة الضحك ثم  
قال:

الصوت الذي سمعته هو ذبابة تطير في آخر الغرفة.

فسكتُ بتعجبٍ ثم قلت:

«ما هذه الذبابة العجيبة التي تطنّ بهذه القوّة؟»

(عمار) : الذبابة طبيعيّة لكن أنت الآن لم تعد طبيعياً وحواسك كذلك.

- هل هذا من فعل الهالة؟

(عمار) : نعم.. وسوف تبدأ من الآن ملاحظة أشياء غريبة فلا تجزع،  
وتذكّر أنّ قدراتك الآن اختلفت.

لم أفهم معنى كلامه حتّى حان وقت السحور، فوضع (عمار) أمامي  
الطبق اليومي المعتاد، حساء مع قليل من الأرز، لا أعرف محتواه، ولكنّه  
كان تغييراً إيجابياً عن تلك الهريسة. لكن هذه المرّة عندما تذوّقت الحساء  
كان طعمه مختلفاً. كان ألذّ وكانت النكهات واضحة ويمكنني تمييزها  
قلّْتُ له:

«ماذا وضعت في الحساء اليوم.. طعمه ألذّ بكثير من السابق؟»

(عمار) : لم أضع شيئاً، إنّهُ الحساء نفسه الذي نتناوله منذ بداية رمضان.  
- مستحيل.. الطعم مختلف تماماً.

(عمار) : أخبرتك أنّ تفعيل هالتك سيغيّر أموراً كثيرة في حياتك وهذا  
الحساء أبسطها.

أخذتُ رشفةً ثانيةً من طبق الحساء ثم قلت:

«بصل.. ملح.. قليل من الفلفل.. وعنصر غريب لا أعرفه..»

فقال (عمار): صحيح.. هذه مكوّنات الحساء.

- كيف يمكنني معرفة ذلك الآن؟

(عمار) : يبدو أنك لا تدرك معنى تفعيل الهالة.. انس الموضوع الآن

ولنذهب إلى النوم.

لم أنم مباشرة تلك الليلة، وعدتُ إلى المكتبة لقراءة كتاب كنتُ قد بدأتُ فيه منذ أيام، لاحظتُ أن فهمي للكلمات والمعاني صار أعمق، وقدراتي على القراءة تطوّرت إذ أنهيتُ صفحات أكثر في وقتٍ أقصر بكثير. وكنتُ أحفظُ وأستوعبُ كلَّ كلمةٍ بطريقةٍ أخافتني في البداية، ولكن بمرور الوقت اعتدتُ على قدراتي الجديدة واستمتعتُ بها. أخبرني (عمار) في إحدى ليالي رمضان أنني يجب أن أخفي اسمي واسم أمي عن أيّ ساحر كي لا يؤذيني، فقلت له: أنا أعرف اسمك.

فقال: (عمار) ليس اسمي، إنه الاسم الذي اخترته ليمثلني أمام بقية السحرة، وأنت يجب أن يكون لك اسمٌ غير اسمك؛ كي لا يصلوا إليك عندما تصبح منّا.

صرختُ فيه بقوةٍ قائلاً: لن أصبح ساحراً!!

ردّ بهدوء: اختر اسماً حتّى وإن كنت لا تريد أن تصبح ساحراً..

سكتُ.. ثم قلت: كيف أختار اسماً لي؟



(عمّار) : ما شعورك الآن؟

- أشعر بالخوف..

(عمّار) : اسمك من الآن فصاعدًا (خَوْف) ولن أناديك بغيره.

ومنذ ذلك الحين وأنا في عالمهم معروفٌ باسم (خَوْف).

لكنني اكتشفتُ لاحقًا أنّ (عمّار) هو اسمه الحقيقيّ بالفعل ولم يكن يُخفيه  
عن أحد، وما زلت إلى هذا اليوم لا أعرف لماذا أخبرني بأن اسمه الحقيقي  
ليس بـ(عمّار).

انتهاء شهر رمضان المبارك كان عيدًا حقيقيًّا لـ(عمّار)، فقد خرج من  
الباب صباح العيد وهو مسرورٌ جدًّا وكأنه قد خرج من السجن. كنتُ  
أراقبه من النافذة وأحسده على تلك الحرية. عاد (عمّار) إلى المنزل وغير  
ملابسه ليخرجَ فقلتُ له: إلى أين؟

(عمّار) وهو يلبس عباءةً بيضاءَ جديدةً:

هذه المرة الأولى التي تسألني فيها مثل هذا السؤال.. هل أصبحت وليّ

أمري الآن؟

- لا تراوغ يا (عمار) أين ستذهب؟

توجه (عمار) نحو باب الخروج وهو يضع عمامته ويقول:

لن أتأخر.. عُد وأكمل القراءة حتى أعود.

خرج من المنزل وتركني في صباح العيد الأول، لم أرغب بالقراءة في ذلك الوقت لكنني لم أعرف كيف سأقضي وقتي. لاحظتُ أن (عمار) رحل ولم يُغلق الباب، ولم أستطع إغلاقه لأن المقبض كان خارج المنزل ولم يمكنني الإمساك به دون الخروج عن حدود المنزل، فتركْتُ الباب مفتوحًا. بعد عدّة ساعاتٍ دخل عليّ رجلٌ أسمرُ البشرة طويل القامة وقال: أين (عمار)؟!!

- خرج

قال: إلى أين؟

- لا أعرف..

فغضب وقال: أخبره أن (فاطمة) تبحث عنه!

- حسنًا

خرج الرجل وأغلق الباب في طريقه..

عاد (عمار) بعد خروج الرجل بساعةٍ تقريبًا. فلما دخل أخبرته بما قاله لي ذلك الرجل، فلم يهتم. وضع (عمار) أمامي قِدرًا مُغلقًا وقال:  
«افتح القِدر ففيه مفاجأة..»

تبسّمتُ ومددتُ يدي نحو غطاء القِدر ورفعته وأنا ابتسم، ولكن سرعان ما تبدّلت ابتسامتي إلى حزنٍ حين رأيتُ تلك الهريسة المقرّفة مرّةً أخرى وقلت غاضبًا: ما هذا يا (عمار)؟

(عمار) باسمًا: طعامنا المفضّل.. يمكننا العودة الآن لتناوله بعد انتهاء رمضان.

فقلت له بعد ما رميتُ الغطاء على الأرض ونهضتُ من أمامه:

الطعام المفضّل لك أنت وليس لي !!

دخلتُ المكتبة وبدأتُ القراءة بغضبٍ وبعد دقائق دخل (عمار) المكتبة وقال:

المغرب اقترب.. هل أنت واثقٌ أنّك تريد البقاء دون طعام الليلة؟  
فقلت له دون الالتفات إليه: لن آكل من هذه الهريسة مرّةً أخرى لقد سئمتُ منها.

لم يردّ (عمّار) وخرج وأغلق الباب..

مضت الأيام والشهور وانقضت سنةٌ أخرى مع (عمّار) وأصبح يومي روتينيًا لا يوجد فيه إلّا الكتب وبعض الحوارات الجانبية مع (عمّار)، بالإضافة إلى تلك الهريسة المقيّنة التي خضعتُ لها عندما فتكّ الجوع بأحشائي مع أنّ طعمها تحسّن قليلًا بعد تفعيل هالتي.

### السنة الأخيرة مع (عمّار)

السنة الثالثة والأخيرة مع (عمّار) كانتِ الأجل بين تلك السنين، فقد اعتدتُ كثيرًا على نظام حياته، وبدأت خلالها الاستمتاع بالقراءة لأنّ علمي قد تعمّق وصار غزيرًا، ممّا دفعني إلى تعلّم المزيد والمزيد، حتّى أنّي بدأت أستسيغ تلك الهريسة والتي بعد تفعيل هالتي لم تكن بذلك السوء.

خلّت السنة الأخيرة من الأحداث المميّزة، ولكن أذكرُ أنّه في إحدى الليالي وخلال سهري على أحد الكتب سمعتُ أو توهّمتُ أنّي سمعتُ أحدًا يتكلّم مع (عمّار)، فنهضتُ عن الكرسيّ ووضعتُ أذني على باب المكتبة

لأسمع بوضوح أكثر، فتوقّف الحوار بين (عمّار) والصوت الآخر والذي بدالي وكأنّه صوت أنثوي، لكنّي لم أكن متأكّداً أنّها كانت امرأة في ذلك الوقت، ولم أكن متيقّناً أنّي سمعتُ حواراً من الأساس، لذلك عدتُ لمتابعة قراءتي للكتاب الذي كان بين يديّ.

في الليلة التالية تكرّر ما حدث معي في الليلة السابقة، لكنّ هذه المرة تبيّنتُ أنّ (عمّار) كان يتحدث مع امرأة لكنّ حديثهما لم يكن واضحاً. حاولتُ الإنصات قدر المستطاع لكنّي لم أسمع شيئاً، فاستغربتُ كثيراً لأنّي بعد تفعيل هالتي كنتُ أسمع أدقّ الأصوات لكنّي لم أستطع سماع ذلك الحوار الذي يدور بينهما. قرّرتُ في اليوم التالي مواجهة (عمّار) وسؤاله عمّا سمعتُ فأنكر وقال:

يبدو أنّك تتوهّم.. أخبرتك أنّ تفعيل هالتك سيجعلك تسمع أشياء غريبة، ولكن هذه المرّة أنت تتوهّم.

- أنا لا أتوهّم وأنت كنتَ تتحدّث مع امرأة.. لماذا تُخفي عنيّ هذه

المعلومة، ماذا تظنّ أنّي سأفعل؟

(عمّار): لا يوجد امرأة وافعل ما شئت.

خرج (عمار) من المنزل بعد هذه الجملة غاضبًا لكنني لم أكرث، وبدأتُ البحث في أرجاء المنزل عن آلة حادة، كنتُ أريد إحداث ثقب في الباب كي أرى بعيني مع مَنْ يتحدث. بعد بحثٍ طويلٍ وجدتُ مسمارًا صغيرًا، ولكن رأسه حادٌّ ورحتُ أحفرُ الباب. عاد (عمار) قبل أن أنتهي من إحداث الثقب اللازم، فخبأتُ المسمار في جيبِي وقررتُ أن أقوم بالحفر كلَّ يومٍ عندما يخرج. تكرّر الحوار تلك الليلة، ولكن هذه المرة لم أنهر كي أسرق السمع وبقيتُ مكاني أقرأ، سمعتُ هذه المرة ضحكات المرأة مع (عمار) وجاءني إحساسٌ أنهما يضحكان عليّ.. لا أعرف لماذا لكن كان ذلك إحساسي في تلك اللحظة.

تابعتُ الحفر لعدة أيام حتى أحدثتُ الثقب اللازم في الباب وكنت متشوقًا لكشف (عمار) ومواجهته بالحقيقة. عند حلول المساء بدأتُ بالقراءة لكن قلبي كان معلقًا بمعرفة هوية تلك المرأة التي كان (عمار) يقضي معها الليلة بطولها. انتظرتُ وطال انتظاري ولم أسمع شيئًا.

توقّعتُ أنها كانت مشغولة تلك الليلة وستحضر في الليلة التالية، لكنّها لم تحضر ولم أسمع صوتها مرةً أخرى.

## الشهر الأخير مع عمّار

لم أدرك أنّ أيامي في ذلك المكان المعزول فوق قمة الجبل الأخضر قد شارفت على الانتهاء، وكنتُ في تلك المرحلة قد انغمست وتمكّنتُ كثيرًا من علوم لم أظن يومًا أنّي سأبحر فيها بهذا الشكل حتّى أنّ (عمّار) عرض عليّ أن أكون مساعدًا له في حال وجدتُ ما أبحث عنه في كتبه، لكنني رفضت بشدّة وقلتُ:

لقد أخبرتك من قبل أنا لستُ بساحرٍ يا (عمّار) ولن أكون كذلك أبدًا! (عمّار) : ولكنك تملك الآن من علومهم ما يجعلك أستاذًا عليهم جميعًا. - لكنّ هذا لا يكفي كي أبيع نفسي وديني.

(عمّار) متهكمّا: أيّ دين؟!، أنا لم أشاهدك تصلّي منذ سنتين.

- أعترف بتقصيري لكنّ هذا ليس سببًا يجعلني أندفع نحو الهاوية.

أنهى (عمّار) الحديث بابتسامةٍ عندما أدرك أنّني لن أسلكَ طريقه باختياري أبدًا.



قرّر بعدها الخروج من المنزل لإحضار الطعام فقلتُ له:  
كيف تستطيع الخروجَ وذلك الشيطان في الخارج، ألا تخشى أن يؤذيك؟  
فضحك وقال: هل تستطيع النملة أن تؤذيك؟!

- لا

(عمار): شيطانك هذا بالنسبة لي أقلُّ من نملة.

قلتُ ساخراً: ومن أين لك كل هذه الثقة؟!

(عمار): هل تريد إثباتاً؟

- وكيف ستثبت لي ذلك؟!

(عمار): وهو يتسم: سأسمح له بالدخول عليك الآن.

فسكتُ وبدأ قلبي بالخفقان، قلتُ له: لا تتأخر على مشوارك.

ضحك بصوتٍ مرتفعٍ وخرج..

الأسبوع الأخير مع عمار

لم يكن هذا الأسبوعُ خارجًا عن المألوف، ولكن حدثت فيه أحداثٌ غريبةٌ لم أشهدها من قبل، أبرزها أنّ (عمار) تركني لمدة ثلاثة أيام وحدي دون أن يخبرني بأنه سيغيب كلّ تلك المدة، لذلك عندما عاد قلتُ له غاضبًا:

لماذا لم تخبرني أنّك ستغيب هذه المدة كلّها؟! كدتُ أموتُ من الجوع!

(عمار) بكلّ برود: لكنك لم تُمِتْ.. وقد تركتُ لك ما يكفيك من الماء.

فقلت بغضب: لماذا لم تخبرني؟!.. ماذا كنت ستخسر؟

فضحك وقال: هل تريد بعض الهريسة؟

### اليوم الأخير مع (عمار)

قد أكون واهمًا، ولكنني أحسستُ بطريقةٍ ما أنّي سأرحل عن هذا المكان في أيّ لحظة. حتّى (عمار) كان يتعامل معي في تلك الآونة بطريقةٍ مختلفةٍ وكأننا سنفترق قريبًا، لم أعرف أنّ ذلك اليوم هو اليوم الذي سأجدُ فيه مفتاحَ خلاصي. مددتُ يدي إلى أحد الرفوف -كعادي- في صباح ذلك اليوم وسحبتُ كتابًا كبيرًا مغلفًا بطبقةٍ جلديّةٍ سوداءٍ نصحني (عمار) بقراءته، وضعته على الطاولة ففتحته وبدأتُ القراءة. كان (عمار) يجلس في

غرفة المعيشة يدخن في النهار على غير عادته.

## الساعة الأخيرة مع عمّار

كنتُ أقرأ متوسِّدًا يدي وأنظر في تلك الصفحات الكبيرة، راح المطر  
يهطل بغزارةٍ وهذا ليس غريبًا في تلك المنطقة، عمّ الهدوء المكان فلم أسمع  
إلا نفخاتِ (عمّار) لسيجارته وكنتُ أقول في نفسي:  
«لماذا يدخن الآن؟!.. لم أره من قبل يفعل ذلك في وَضَح النهار»

أكملتُ قراءتي ولم أفكر كثيرًا في سبب تدخين (عمّار)، كان الكتاب  
يتكلّم عن تاريخ السّحر في جنوب الجزيرة، ولم يتضمّن الكثير من  
المعلومات العمليّة، لذلك شعرت بالملل في أثناء القراءة وفكرتُ أكثر من  
مرّة في إغلاقه والبحث عن كتابٍ آخر، لكنني تذكّرتُ كلمةً قالها لي أبي في  
صِغري عندما بدأتُ القراءة أوّل مرّة:

«لا تُغلق كتابًا أبدًا إذا بدأتَ بقراءته حتّى تنهيه»

أكملت القراءة حتى وقعت عيني على ذلك النص:

«تسلط من سواد ضاحك الثغر «دجن»  
ينهض من تراب وسيده يبكي في عدن»

### الدقيقة الأخيرة مع عمار

لم يكن (عمار) شخصاً عاطفياً بطبعه كما هو الحال مع معظم الرجال، لكن الدقيقة الأخيرة التي قضيتها معه كانت في عناقٍ طويلٍ لم نتحدث خلالها، لم يقل إلا جملةً واحدةً عندما أنهى عناقه لي:

«سأفتقدك يا (خوف)..»

توجّهت بعدها إلى تلك السيارة التي ظلّت مركونةً ثلاث سنوات..

## رحلة العودة إلى (عمار)

توجّهتُ إلى المطار بعدما اشتريتُ بعض التين المجفف؛ لأنّي لم أجد تينًا في ذلك الوقت إذ لم يكن موسمُه، ركبْتُ أوّل طائرةٍ متّجهةٍ إلى بلد (عمار)، وخلال الرحلة أحسستُ بضيقٍ في التنفّس أكثرَ من مرّةٍ؛ الأولى حينما كنتُ في طريقي إلى المطار، والثانية عند ركوبي الطائرة، والأخيرة حين خرجتُ من بوابة المطار بعد وصولي.

بحثتُ عن سيارةٍ أجرةٍ لتأخذني مباشرةً إلى مكان إقامة (عمار)، لكنّ السائق رفضَ وقال: لن أوصلك إلّا إلى المدينة المجاورة لهذا العنوان، فوافقتُ على مضضٍ، وسار بي إلى المكان الذي اتفقنا عليه. قررتُ استئجارَ سيارةٍ من تلك البلدة الصغيرة، ولكن وبعد رحيل سائق الأجرة اكتشفتُ أنّ تلك المدينة لا يوجد بها سياراتٌ للأجرة، لأنّها أقرب إلى القرية منها إلى المدينة. تجوّلتُ فيها بحثًا عن أحدٍ يستطيع إيصالي إلى وجهتي لكنّي لم أجد من لديه الاستعداد للقيام بذلك. بدأتُ أسأل الناس عن إمكانيّة توصيلي، بعضهم رفضَ وبعضهم وافقَ لكنّه غيرَ رأيهِ حين عرف وجهتي، لم يبقَ على المغرب الكثير حين شعرتُ أنّي في ورطةٍ حقيقيّةٍ.

ذهبتُ إلى المسجد وصليتُ المغرب وبقيتُ في المسجد أفكرُ في مَخْرَجٍ من  
هذا المكان، فاقترَب مني رجلٌ وجلس أمامي وقال لي:  
«هل تبحث عن شيء؟ تبدو غريبًا ولست من هنا»

أخبرته عن رغبتِي بالذهاب إلى منزل (عمار) دون ذكر اسم (عمار)؛ لأنه  
حذرنِي من نطق اسمه لأحدٍ، فقال لي الرجل: «هل تعرف أحدًا هناك؟»  
ترددتُ في الإجابة وقلت: نوعًا ما..

فقال: هل تبحث عن (عمار)؟  
فسكتُ..

قال لي: يا بني (عمار) هذا إنسانٌ سيئٌ ولا أنصحك بالذهاب إليه.  
فحكيتُ له حكايتي فقال لي: أين إيمانك بالله؟!  
قلت: ونعم بالله لكنْ....

قاطعني قائلاً: لا يوجد «لكنْ» مع الإيمان بالله.. راجع نفسك يا بني  
فهذا الطريق آخرُهُ هلاكٌ.

فسكتُ ولم أستطع الإجابة..

مضى الرجل في طريقه، وخرجتُ من المسجد وأنا أنتظر الفرج لكنني لم  
أجد حلاً، رُفِعَ أذان العِشاء فصليتُ وشاهدتُ الرجل الذي كلمني ينظرُ  
إليّ بنظراتٍ حادة من بين جموع المصلّين الذين بدؤوا بالخروج من المسجد،  
لم أحبّ تلك النظرة. خرجنا من المسجد فرأيتُ شخصاً يركب سيارته،  
فذهبتُ إليه مسرعاً وعرضتُ عليه استئجارها منه، فرفض، وعندما  
ألححتُ عليه قال : « لا أريد منك مالاً! »

- ماذا تريد إذا؟!

قال: أن ترحل من هنا، فإذا أردتَ أن أعود بك إلى العاصمة فقط  
فسأخذك إلى هناك.

رفضتُ فغادر الرجل وأصبح الشارع خالياً من الناس وعمّ الهدوء  
المكان. كان الظلام شبه دامسٍ ماعدا إنارة المسجد الخفيفة التي كانت  
معكّرةً بسبب بعض الحشرات الطائرة التي التصقت بنورها، وكان صوت  
جنادب الليل الصوت الوحيد حولي، حينها أحسستُ بضيقٍ في التنفس  
يصاحبه صداغٌ شديدٌ جعلني أنزل من شدّة الألم على ركبتيّ، بعدها  
سمعتُ ضحكاتٍ تأتي من الظلام المحيط بي.



زاد الألم حتّى أُغمي عليّ، استيقظتُ في الصباح في منزلٍ لا أعرفه  
فخرجت دون أن أعرف من حملني إليه، وقررتُ الذهاب إلى منزل (عمار)  
مشيًا على الأقدام فالمسافة لا تزيد على عشرة كيلومترات. انطلقتُ باتجاه  
منزله لكنّ الطريق كان شاقًا؛ لأنّه كان يرتفع تدريجيًا ولم يكن مستقيمًا.  
عندما انتصفتُ بي الطريق سمعتُ صوتًا قريبًا منّي، فالتفتُ، فوجدتُ  
خيال رجلٍ يقترب منّي، لما وصل ذلك الخيال عندي رأيتُ أنّه كان من  
حدّثني في المسجد.

قال لي: سوف أمشي معك حتّى تصل.

- لا، وشكرًا لا أريد العودة.

- لا تقلق سوف أوصلك إلى حيث تريد، فأنا لا أريد أن تموت هنا في  
هذا الطريق الموحش بسببي.

صاحبني الرجل إلى وجهتي وتحدّث معي طوال الطريق، وحاول  
إقناعي بالعودة لكنّي لم أستجب له، وعرفتُ أنّه من أخذني إلى بيته البارحة،  
فشكرته على ذلك. عندما وصلنا بيت (عمار) ضاق صدري قليلًا؛ لأنّي  
تذكّرت تلك السنوات التي كنتُ فيها حبيس مكتبته، وتذكّرتُ (دجّن)

الواقف خارج داره مشلولاً لا يقوى على الحراك منذ أكثر من سنة. ودّعتُ الرجل، فسألني إن كنتُ أريده أن ينتظر، فقلتُ له: شكرًا، لقد كنتُ عونًا كبيرًا ولا أريدك أن تغيب عن منزلك أكثر.

قبل أن يرحل الرجل نظر إلى بيت (عمّار) بطريقة غريبة وكأنه يرى كومة من القمامة المكشوفة وقال:

«سيأتي يومٌ ونقتصُّ فيه منك أيّها المشعوذُ»

توجّهت إلى باب بيت (عمّار)، وقبل أن أطرق سمعتُ صوته من وراء الباب يقول:

«هل أحضرتَ التين؟!»

فابتسمتُ ودخلتُ منزله..

دخلتُ منزل (عمّار) ومددتُ يدي لمصافحته لكتّه قابلني بعناقٍ  
وترحيبٍ حارٍّ دفعني إلى الابتسام رغم ضيقي. قدّمتُ له التين فضحك  
وقال: ألم تنسَ؟!

جلستُ معه وحكيْتُ له ما حدث معي ومع أخي وأمّي.. فتعجَّهم وقال:  
«القرين المحرَّر من أقوى الشياطين، يكون ضعيفًا إذا كان مقيدًا  
بصاحبه، ولكن عندما يتحرَّر يصبح أقوى وأشرس من أيِّ شيطانٍ آخر.  
- ألا تستطيع إيقافه؟

(عمّار): قرينك لم يأتِ معك وهذا دليل على أنّه يريد أن يُلحق الأذى  
بأهلك.

- وما العمل يا (عمّار)؟

سكتَ (عمّار) قليلًا ثمّ قال: الحلّ الوحيد الذي أراه لن يُعجبك.

- سأقبل بأيّ شيء يا (عمّار)، أمّي في خطرٍ وكلُّ دقيقةٍ أتأخّر فيها  
أُعرّض حياتها إلى خطرٍ أكبر.

(عمّار): لا يمكنك قتلُ قرينك لأنك ستموتُ معه.

- لا يهمّ، المهمّ أن أنقذ أمّي منه.

(عمار): إذا كنت تريد المخاطرة فعلاً فجرّب الحلّ الذي أراه.  
- وما حُلُّكَ؟

(عمار): لا يُوقَفُ القرينَ المحرّر إلا قرينٌ محرّر آخرٌ يكبره عُمرًا.  
- ومن أين لي بقرينٍ محرّرٍ وأكبرُ عمراً من قريني؟

فأشار برأسه إلى الخارج وهو صامتٌ ..

فصرختُ فيه: (دَجَن)؟!

(عمار): ليس أمامك إلا هذا الحل

- مستحيل .. كيف يساعدنِي بعدما حبسْتُهُ؟!

(عمار): تكلمْ معه فهو يستطيع سماعك، وحاول أن تعرّضَ عليه صفقةً

لا يستطيع رفضها، فالشياطين تؤمن بالعطاء مع مُقابل.

- وأي نوع من الصفقات يمكن أن يعقدها الإنسان مع الشياطين؟

(عمار): لا تقلل من شأنها فهي ليست غبيّة ومصلحتُها تهمّها بالدرجة

الأولى، و(دَجَن) الآن مكسورٌ ومحطّمٌ وعلى يقينٍ أنّه هالكٌ، ستكون أنتَ

بالنسبة إليه طوق النجاة وليس حبل المشنقة ..

- وكيف أعرف إن قَبْلَ عَرَضِي أو لا قبل أن أحَرِّره؟  
(عمّار) : لن تعرف يجب أن تخاطر

فجلست أفكر مدّة تجاوزت الساعة و(عمّار) جالسٌ أمامي يأكل التين  
الذي أحضرته له.

قلتُ لـ(عمّار) بعد سكوتٍ طويلٍ: وماذا سيحدث إذا حررتُه ورفض  
العَرَضُ؟

فردّ (عمّار) بكلّ برودٍ وفي فمه قطعةٌ من التين : سيقْتلك طبعًا..  
نظرتُ إليه مدهوشًا، ثم قال: ماذا.. هل تريد منّي أن أكذبَ عليك؟  
- سأخرج له

(عمّار) : هل أنت واثقٌ؟

- لا، لكن ليس أمامي خيارٌ آخر.

خرجتُ بعد أن طلبتُ من (عمّار) أن يُعيد جثتي إلى أهلي ولا يدفني هنا  
إذا أصابني مكروهٌ فقال: تفكيرك غريبٌ يا (خَوْف)

- هل تَعِدُّني بذلك؟

(عمّار) : لا تقلق لن أدفّنك هنا.

خرجتُ وبدأتُ التحدّث في الهواء قائلاً:

«(دَجَن).. أنا (خَوْف) الذي حبّسك وأنا فقط مَنْ يستطيع أن يحرّرك،

هل توافق أن تكون تحت أمري إذا حرّرتك؟»

لم أعرف ماذا أقول بعد هذا الكلام، لكن هذا ما خطر في بالي تلك اللحظة، ثم أضفت قائلاً:

لكن قبل تحريرك أريدك أن تُعيد تقييد قريني وهذا ثمن حرّيتك، والآن سوف أقوم بتحريرك..

أحضرَ (عمّار) مرآةً، وضعها خارجاً ودخل المنزل، فانتظرتُ ثمّ قمتُ بتنفيذ طريقة التحضير بعد غياب الشمس، وما إن انتهيتُ حتى وجدتُ نفسي ملتصقاً بالجدار وعنقي يكاد يتحطّم من الضغط، وصوت أنفاس غاضبة تَفحُّ في أُذني، وبعد ثوانٍ قليلةٍ من هذا الحصار الخانق سمعتُ صوتاً في أُذني يقول : «مُطاع!»

سقطتُ بعدها مباشرةً على الأرض ..

خرج (عمار) وهو يضحك وفي فمه آخرُ حبةٍ من التين الذي أحضرته له  
وهو يقول : «مبارك..»

ثم رمى (عمار) كيس التين الفارغ عليّ وقال: رافقتك السلامة!

توجّهتُ إلى القرية مشيًا على الأقدام، وحرصتُ على المرور بمنزل ذلك  
الرجل الذي رافقني إلى منزل (عمار) لأشكره وأودّعه؛ لأنّ استقباله كان  
لطيفًا جدًّا، وقد ساعدني أكثرَ من مرّة. أرسلني الرجل بعد وداعي له إلى  
منزل شخصٍ قام بإيصالي إلى المطار ومن هناك عدتُ إلى بلادي على أول  
رحلة.



## عودة (دَجَن)

وصلتُ مطار مدينتي عند منتصف الليل.. المطار كان هادئًا.. ركبت سيارة أجرة.. توجهت إلى المنزل.. دخلت.. ذهبت مباشرة إلى غرفتي ونمتُ ولم أقابل أحدًا ذلك اليوم. استيقظتُ ظهر اليوم التالي وكنتُ مرهقًا جدًّا، فتحتُ عينيَّ فرأيتُ أمامي منظرًا مزعجًا، رأيتُ دجن جالسًا أمامي ومتشكِّلًا بهيئة ذلك الرجل الغريب الذي التقيت به عند المقبرة في الماضي. نهضتُ وتوجهتُ إلى دورة المياه محاولًا عدم الاكتراث به؛ لأنِّي أذكرُ أنَّ (عمار) أخبرني من قبل أنَّ الشياطين تضعفُ أمام من لا يخاف منها أو يجزع لرؤيتها، دخلتُ الحمام غير مبالي بوجوده، مع أنَّ رؤية وجهه بعد هذه المدة أعادتُ إليَّ ذكرياتٍ لم أرغب بتذكرها قط. (دَجَن) من الشياطين القليلة التي تملك الجرأة للتشكُّل بكلِّ راحةٍ لمحادثة إنسانٍ بلا تكلفٍ في وضوح النهار، لغته عربيَّةٌ لكنَّ لهجته كانت خليطًا غريبًا من اللهجات المحليَّة.

بعد ما خرجتُ من الحمام قال لي (دَجَن): نعيمًا!

في تلك اللحظة نسيْتُ أو تناسيتُ أنَّه شيطان وقلتُ له: ماذا تريد؟..

ومنَ سمح لك بالدخول؟

(دَجَن): إحنا بينا اتّفاق..

فقلت له وأنا أغير ملابسي: وما المطلوب منّي الآن؟

(دَجَن): اعتبر موضوع قرينك منته، والموضوع ما راح يأخذ منّي ثوان،

وراح أربطه لك، لكن ما تكلمنا عن الاتّفاق الجديد؟

- أيّ اتفاق؟

(دَجَن): باقي شيطان ثاني.. ما تبي أخلصك منه؟

- عن أيّ شيطان تتحدث؟

(دَجَن): الي جالس فوق رأس أمك المسكينة، وجالس يأكل من

صحتها كل يوم، ومنتظر بس إشارة من الساحر عشان يقتلها..

سكت قليلاً ثم قلت: أليس قريني من يهدّد حياة أمي؟

(دَجَن): لا يا حبيبي أمك مرسل لها شيطان ثاني وقرينك عنده مشاغل

ثانية وما هو فاضي لك أنت وأمك.

- تخلص منه أيضاً..

(دَجَن) وهو يبتسم: آسف الاتّفاق كان على واحد بس!

أدركت وقتها أنّ (دَجَن) ينوي البقاء معي بأيّ شكلٍ، وسيفتعل  
المشكلات كي يضمن بقاءه حولي وعدم تجميدي له بعد أن ينتهي من  
مهمّته، يبدو أنّه يريد تعليق مصيره بمصيري؛ لأنّ ذلك هو الضمان الوحيد  
لبقائه حرّاً طليقاً. حاولتُ أن أراوغه كما كان يراوغني فقلتُ له: ماذا  
تقصد.. واحدٌ فقط؟

(دَجَن): اختر شيطاناً واحداً بس.. قرينك أو المرسل إلى أمك..

لم أفكر كثيراً، أعطيته الأمر بالتعامل مع الشيطان الذي يهدّد أمي حتى  
أفكر في حلٍّ أتعامل فيه معه ومع قريني المحرّر. اختفى (دَجَن) في ثانية بعد  
أن أخذ الإذن، وبعد دقائق عاد وعلى وجهه تلك الابتسامة اللعينة وقال:  
خلاص تمّ!

وقبل أن أسأله عمّا قام به بالتفصيل انقضّ عليه شيءٌ ما وبدأ (دَجَن)  
العراك معه بشراسةٍ، أحدثَ هذا الصراع فوضىّةً عارمةً في غرفتي، ما  
دفعني للجوء إلى دورة المياه هرباً من تلك الفوضى. أقفلتُ باب الحمام  
وجلسْتُ أسمع الصراخ والعيول العالي القادم من الغرفة، وبعد دقائق

توقّف الصوت وعمّ الهدوء أرجاء المكان، فجأة اهتزّ باب الحمام بسبب ضرب قويّ وارتطام متكرّر عليه، ثم انقطع الضرب وعاد الصراخ والعيول داخل الغرفة بصورةٍ أشدّ. لحسن الحظّ أبي وأخي لم يكونا موجودين في المنزل ذلك الوقت. عندما توقّف الصّوت نهائيّاً خرجتُ وأنا أسحبُ خطواتي عبر هدوء عمّ الغرفة التي انقلبَت رأساً على عقب. نظرتُ حولي فلم أجِد أثراً لـ (دَجَن) ولكن بعدها بقليل سمعتُ صوته المرهق يقول بأنفاسٍ متقطعة:

«قرينك هذا لعينٌ وأنا ربطته لك على حسابي هذه المرّة.. ومن اليوم ورايح أنت لي وإلى الأبد».

بقيت مع (دَجَن) بعد حادثة القرين فترةً نلتقي فيها وقتها يشاء هو، وكان يحاول في كلّ مرة إثارة الرعب في قلبي، لكنني لم أعد مهتمةً أو متأثراً بحركاته فقد اعتدّت عليها، قال لي (دَجَن) في أحد الأيام: «ما تخاف إني أموتك في أيّ لحظة؟»

فرددتُ عليه ببرود: وأنت؟.. ألا تخشى أن أنطق اسمك وأشلك في أيّ لحظة؟

غضب (دَجَن) وصرخ صرخةً كانت تشبه صرخة الحيوان وقال: أنتَ

عبدِي!

- أنا عبدُ الله وحده وأنتَ لستَ سوى خَلْقٍ من خلقه.

فدفع بي إلى أقصى الغرفة فارتطمتُ بالجدار وفقدتُ وعيي.

قد يتساءل البعض عن سبب عدم نطقي لاسمه في تلك اللحظة،  
بصراحة.. أردتُ اختبار نفسي معه لأنِّي في ذلك الوقت قد سئمتُ الخوف،  
سئمتُ الاختباء، كنتُ أريد كسرَ خوفي معه ومع غيره، وهذا ما حصل لي  
لاحقًا.

لم أستغرب عدم قتلِ (دَجَن) لي؛ فهو كان يريد أحدًا من الإنس ليعخدمه  
مع أنني لم أكن ساحرًا، لأنَّ هذا دورُ السحرة مع الشياطين غالبًا؛ لذلك أراد  
أن يستعبدني كبقية السحرة لينتقمَ منِّي لما فعلته به في السابق، ويسخرني  
لتسهيل رغباته في المستقبل. استمرَّ ترويع (دَجَن) لي وأذاه فترةً تجاوزتِ  
الشهر، كنتُ صابرًا نفسيًّا لكنني بدأتُ أتعب جسديًّا. وبعد مدَّةٍ تجاوزتِ

الشهر من ظهوره الأوّل لي بعد عودتي من عند (عمار) ظهر لي في إحدى الليالي وقال : «والنهاية معك؟!»

فأجبتُ بعفويةٍ لأنّي كنتُ نائماً فقلت: أهلاً دجن؟!!

فلم أسمع صوتاً أو ردّاً فعدتُ إلى النوم مباشرةً.

عندما استيقظتُ في الصباح تذكّرتُ ما حدث البارحة وأدركتُ أنّي قد جمّدته مرّةً أخرى، انتظرتُ المساء بكلّ هدوءٍ وأحضرتُ المرأة وحضرتُه مرّةً أخرى. لم يهاجمني (دجن) بعد التحضير، ولم أسمع منه لعدّة أيام حتّى ظننتُ أنّ التحضير لم ينجح، فأحضرتُ المرأة وهممتُ بتحضيره مرّةً أخرى، لكنّي سمعتُ صوتاً يأتي من خلفي يقول: وقّف.. أنا هنا موجود..

فقلت ببرود: جيّد..

بدأت أستعد للنوم عندما تيقّنتُ أنّي قد حرّرتُه مجدّداً، فأخذ يكلمني باستغراب ويقول:

ليه رجعتني؟!.. وش تبي منّي؟!!

- لا أريد شيئاً منك..

(دجن): طيب ليه حرّرتني؟!!



- لَأَنِّي لَسْتُ خَائِفًا مِنْكَ.

(دَجَن): وش الهدف من اللي أنت قاعد تسويه؟

- كي أثبت لك أَنِّي لَسْتُ عَبْدًا لَكَ أَوْ لِحَوْفِي. فسكت ورحل..

مع مرور الأيام أصبح (دَجَن) بعدها يعود ضاحكًا متشكِّلاً بهيئة ذلك الرجل الغريب، وكان يتحدث معي كثيرًا حتَّى لو كنتُ أتكلَّم مع غيره، أحسستُ أَنَّهُ يريد أَن يتواصل معي بشكلٍ أكبرَ وأكثرَ. لم أعرف سبب هذا التقرب المفاجئ، لكنِّي لم أكن متفاعلاً معه كثيرًا، وصرتُ أتجاهله في أغلب الأحيان. لما أحسستُ أَنَّهُ لم يعد يخيفني، بل على العكس بدأ يزعجني قرَّرتُ تجميده إلى الأبد. في اليوم الذي قرَّرتُ فيه تجميد (دَجَن) كان كعادته يتحدَّث عن أشياء كثيرة في الوقت نفسه، وأنا أيضًا كعادي معه لم أركِّز في كلامه أو أنصتُ له وخلال كلامه المتطاير في الهواء بلا أذن صاغية قرَّرتُ في نفسي نطق اسمه؛ لَأَنِّي أحسستُ أَن وجوده لم يفيدني وأنَّ حاجتي له انتهت بعودة قريني وموت الشيطان الذي هدَّد أمِّي، وكذلك تفاديًا لأيِّ تهوُّرٍ منه فهو يبقى في النهاية شيطانًا مجهول النوايا. قرَّرتُ ألاَّ أمهد الموضوع وأن أنطق اسمه وهو يتكلَّم معي فجأة. اقتربتُ منه وهو



يتكلم في موضوع لم أكن منصتاً إليه في بدايته لكنني سمعتُ في كلامه عندما اقتربتُ منه شيئاً جعلني أقول له : «أعد ما قلته قبل قليل..»

(دَجَن) : كنتُ أقول لك (عمار) كان مرسل شيطان قوِّي لأملك هذيك الأيام لكن كان صغير وما أخذ معي وقت..

فقلت بنبرة غضبٍ : (عمار) ؟!

(دَجَن) : إي (عمار) .. وش فيك؟

فقلت بغضبٍ يخالطه الهدوء : هل أنت متيقن أن (عمار) هو من أرسل الشيطان لأمي وهو من طلب منه إيذاءها؟

(دَجَن) : إي متأكد

- هل صحيح أن الشياطين تنقل الإنس إلى أي مكانٍ في لمح البصر؟

(دَجَن) باسمًا : وين تبي تروح؟

- بيت الخبيث (عمار) ..

# الشيطان الذي حملَ غصن الزيتون

في لمح البصر وجدتُ نفسي أمام منزل (عمّار) وكان (دَجَن) قد تشكّل  
بهيئة البشريّة عندما وقفنا أمام مدخل البيت، وقبل أن أتوجّه إلى الباب  
أمسكني (دَجَن) من ذراعي وقال بصوتٍ خافتٍ:

وش ناوي عليه؟

- لا أعرف

(دَجَن): أنا عندي فكرة

- ما فكرتُك؟

(دَجَن): (عمّار) ما هو ساحر عاديّ وأنا وأنت مجتمعين ما راح نقدر

عليه

- أنا أريد التحدّث معه فقط

(دَجَن): لو دخلتُ معك راح يشكّ فينا (عمّار) ولو ما دخلتُ معك

راح يسألك عني وأنت بترتبك وبتفضحننا!

- وما الحل برأيك؟

(دَجَن) : جَمَدني

- ماذا؟

(دَجَن) : مثل ما قلت لك.. جَمَدني

- ولماذا أفعل ذلك؟

(دَجَن) : لو جَمَدتني راح يشوفني وأنا متجمّد قدامه وراح يشق إنك ما

زلت عدوّي.

فكررتُ السؤال عليه: وما الهدف من ذلك؟

(دَجَن) : حرّرتني في الليل وهو نائم وقبل كذا حطّ عند رأسه غصن

زيتون.

- ومن أين لي بغصن زيتون؟

وفي لحظةٍ مدّ يده وأعطاني الغصن وقال: رح ووعدنا الليلة..

دخلتُ على (عمار) بعدما جَمَدْتُ (دَجَن) فضمّمني ورَحَّب لي وسأل عن

حالي وقال وهو يضحك: أرى أنّ قرينك عاد بجانبك!

- نعم

(عمار) وهو مبتسم: هل كان هذا من صنع (دَجَن)؟

- نعم

(عمّار) : وأين هو الآن؟

- جمّده قبل أن أدخل عليك.

فضحك بقوة وقال: يا لك من خبيث بدأت تفهم أصول السحر!  
فسكت واكتفيت بالابتسام وعيني على الشمس أنتظر الغروب.

دعاني (عمّار) إلى منزله وقال مبتسمًا: أنت محظوظ فقد انتهيت من إعداد  
هريستك المفضلة توّأ.

- أما زلت تُعدُّ تلك الهريسة المقرّفة يا (عمّار)؟

(عمّار) : لا أستطيع الاستغناء عنها أبدًا!

تناولتُ العشاء معه وانتظرته حتّى ينام لأضع غصن الزيتون الذي  
أعطاني إياه (دَجَن) عند رأسه، لكنّه أطال الحديث والسّمَر معي حتّى  
غلبني أنا النوم.

تنبّهت قبل الفجر فقمّتُ مسرعًا لأجد (عمّار) قد غلبه النوم أيضًا،  
فوضعتُ غصن الزيتون عند رأسه وأسرعْتُ إلى المرأة وحضرت (دَجَن)

وفي لحظة انتهائي من التحضير طار رأس (عمار) أمامي وتناثر دمه في أرجاء الغرفة، لَطَّخَ جزءٌ من تلك الدماء ملابسي، وخرج (دَجَن) بهيئته البشرية مبتسماً يقول:

«سقط (عمار) ساحر السلطان وسقط مع رأسه هيبة السُّحَّار»

لم أفهم كلام (دَجَن) الذي كان ينظر بابتسامةٍ مخيفةٍ إلى جثة (عمار) الملقاة على الأرض والدماء ما زالت تنبع من عنقه المفصول حديثاً عن رأسه، فصرختُ فيه بقوةٍ قائلًا: لماذا قتلته؟!!

(دَجَن): إحنا جاين نلعب؟

- لم أُرِدْ قتله!!

(دَجَن): لو ما قتلناه كان قتلنا هو!

سكتُ من هول الموقف ولم أتكلَّم.. حزنْتُ على (عمار)، لكنْ كلَّما تذكَّرتُ ما فعله بأمِّي خفَّ حزني عليه.

بعد مضيِّ دقائق قال (دَجَن): مشينا بس؟

- انتظر أريد أن أزور أحداً قبل أن نرحل.

(دَجَن) : وهذا وقته؟ .. مين طيب؟

- لا عليك.. انتظر هنا حتى أعود.

(دَجَن) وهو يضحك: لا تتأخر ترا أنا ما أعرف أطير بالليل.

ذهبتُ إلى منزل ذلك الرجل الذي أوصلني إلى منزل (عمّار) في زيارتي الأخيرة، سلكْتُ الطريق نزولاً عبر المعبر الذي يقودني إلى القرية. وصلتُ بيته مشياً على الأقدام وكان الصباح قد أشرق، طرقتُ الباب ففتحت لي ابنته الصغيرة، فقلتُ لها: أين أبوك؟

فسكّنتُ ودخلتُ بسرعة وبعد دقائق من الوقوف أمام الباب المفتوح خرج لي شخصٌ غير الرجل الذي أوصلني فسألته عن الرجل، فقال: لا رجلٌ في هذا المنزل غيري.

- مستحيلٌ أنا واثقٌ من أنّ هذا المنزل هو منزله.

قال: تفضّل فتش المنزل..

- لا أبداً، العفو، لكنني واثقٌ أنّ ذلك الرجل يعيش هنا.

- ما اسمه؟



- لا أعرف

- صف لي شكله

فوصفتُ له ملامح الرجل فقال باستغراب: هذا أبي..

- ألم أقُلْ لك إنِّي كنتُ محقًّا؟.. يبدو أنه في تلك الفترة كان يزورك..

أخبرني عن مكان منزله وسوف أذهبُ إليه بنفسِي.

- اتبعني..

مشيتُ مع ابن الرجل الذي أبحث عنه مدّة من الزمن حتّى توقّف عن

المشي عندما بلغنا مكانًا بسورٍ كبيرٍ وممتدّ وقال لي قبل أن يرحل: أبي موجودٌ

خلفَ هذا السور، اذهب وتحدّث إليه.

- وكيف سأعرفه؟

- اسأل عن (سالم)

لم أجد للسور بابًا فمشيتُ حتّى وصلتُ بوابةً كبيرةً عليها حارسٌ منعني

من الدخول فقلت له:

أريد أن أقابل (سالم)..

- تفضّل بالدخول، إنه موجودٌ في الداخل



فدخلتُ وصدمتُ من المنظر.. فقد رأيتُ مجموعةً من القبور.. وكان  
فبر الرجل بينها.. لقد كنتُ في مقبرة القرية والرجل ميّت منذ عشرة أعوام.  
سألتُ حارس المقبرة عن الرجل الذي رأيته، وسألته كيف مات فحكى لي  
قصته.

### قال حارس المقبرة:

(سالم) كان رجلاً تقيّاً وصالحاً أهل القرية كلّهم يحبّونه، في شبابه  
كان هو وأخوه الأكبر مسؤولين عن مسجد القرية ويتناوبان على الأذان  
والإمامة فيه، كان الناس يثقون بهما جدّاً حتّى ذلك اليوم الذي جاء فيه إلى  
القرية رجلٌ غريبٌ واشترى أحد المنازل التي كانت معروضةً للبيع وسكن  
فيه. في البداية لم يعرف الناس أنّه ساحرٌ؛ فقد كان يدعي الصّلاح والورع،  
عرضَ على الناس خدماته كعلاج السحر والربط والقراءة على المرضى  
والمسوسين، ولكن لم يكن أحدٌ في القرية يعاني من تلك الأمور لذلك لم  
يكن أحدٌ يزوره أو يطلب خدماته.

وبعد مضيّ عدّة أشهر بدأت تظهر على بعض الناس أعراضٌ لأُمراضٍ  
غريبةٍ ومشكلاتٍ نفسيّةٍ لم يجد الطّب لها حلولاً، وبعد يأسهم وقلة حيلتهم

بدأ البعض يذهب إلى ذلك الرجل، وكلما ذهب إليه أحد خرج معافى،  
ومع مرور الوقت ذاع صيته بين أهل القرية. لم يُعجب ذلك الوضع (سالم)  
وأخاه الأكبر لأن ذلك الرجل كان يستغلّ الناس ويستنزف أموالهم دون  
وجه حقّ فقرّروا الذهاب إلى منزله والتفاهم معه.

طرق (سالم) الباب ففتح لهما الساحر وقال: ماذا تريدان؟

فرد عليه (سالم) بغضب: اخرج أنت وخزعبلاتك من القرية !

فضحك الساحر وقال: ومن أنت لتطرّدني؟

فقال (سالم): أنا شيخ القرية وأنت ترتكب إثماً عظيماً بحقّ نفسك وبحقّ

أهل القرية، ولن أسمح لك بالاستمرار في هذا الفجور !

قال الساحر: أنا وأهل القرية أدرى بشؤوننا فلا تتدخل فيما لا يعنيك.

أغلق الساحر الباب في وجه (سالم)، فغضب أخوه الأكبر وطرق الباب

بقوّة فلم يفتح الساحر، فكسر أخو (سالم) الباب ودخل على الساحر عنوة،

فلحقه (سالم) ليجدا الساحر بين مجموعة من الطلاسّم، وكانت رائحة

المكان كريهة، صرخ فيهما الساحر:

« اخرجوا من هنا قبل أن تندما ! »

فنهجا عليه وضرباه حتّى كاد يموت وسحباه إلى وسط القرية والدماء تسيل  
من وجهه وثيابه ممزّقة، واجتمع الناس حولهم، فقال (سالم) بصوت مرتفع:  
«إنّ هذا الرجل ساحرٌ ويخدعكم، وهو الذي تسبّب في مرضكم كي  
تلقّوا إليه..»

غضب الناس وطرده من القرية، وأحرقوا المنزل الذي كان يقطن فيه.  
بعد طرد الساحر بأيام بدأت فتيات القرية بالاختفاء بمعدّل فتاة أو اثنتين  
في الأسبوع، كنّ يختفين فقط في منتصف الليل، ومهما حاول أهلهنّ إغلاق  
الأبواب وحمايتهنّ كنّ يختفين، وفي بعض الحالات يسمع الأهل صراخ  
ابنتهم قبل اختفائها. مع تكرار حالات الاختفاء اجتمع (سالم) وأخوه  
الأكبر مع كبار أهل القرية ليلبحثوا في الأمر ويجدوا حلًّا لهذه المشكلة التي  
بدأت تؤرّقهم.

بعد اجتماع مطوّل في بيت (سالم) استتج كبار أهل القرية أنّ هذا قد  
يكون من عمل الساحر الذي طرده انتقامًا لما فعلوه به، فاقترح أحدهم  
أن يذهب (سالم) إلى العاصمة بحثًا عن مساعدة، فوافق (سالم) لكن أخاه  
رفض وقال: «أنا من سيذهب.. القرية وأهلها يحتاجونك..»

فشدَّ أخو (سالم) رِحالَه إلى العاصمة وعاد بعد أسبوع، عاد ومعه رجل غريبٌ يلبس عباءة سوداء ويغطي رأسه بخرقة حمراء، لحيته طويلةٌ ويده مغطاة بالخواتم والحلي. طلب أخو (سالم) الاجتماع بأهل القرية وقال:

«لقد اكتشفنا الفاعل وهذا الرجل الطيب سيخلصنا منه ..»

فسأل الناس: ومن الفاعل؟

ردَّ الرجل الغريب بصوتٍ هاديٍّ: إنه (جسار) ..

سكتَ الجميع .. وبدؤوا يتهامسون فيما بينهم ثم قال (سالم):

ومن (جسار) هذا؟ ولماذا يهاجم قريتنا؟

حكى لهم الرجل قصة الشيطان (جسار)، وكيف قام الساحر الذي طرده أهل القرية بتسليطه عليهم. بعدما سمع الناس حكاية (جسار) دبَّ الرعب في قلوبهم لكنَّ أخا (سالم) طمأنهم وقال:

لا تخافوا فهذا الرجل سيخلصكم منه لكنه يحتاج منكم بعض المساعدة ..

فقالوا: ليطلب ما يشاء المهم أن يُنقذ بناتنا .. !

طلب منهم الرجل قطعة من لباس كلِّ شخصٍ في القرية وإحضارها إلى المسجد قبل صلاة المغرب، فتفرَّق الناس لتلبية طلبه.

عندما خلا المكان من الناس ولم يبقَ إلَّا (سالم) وأخوه والرجل الغريب،  
أخذ (سالم) أخاه الأكبر جانبًا وقال: من هذا الرجل؟ وأين وجدته؟  
فقال أخوه:

كنتُ أعرضُ على إمام أحد المساجد المشكلة التي كنَّا نواجهها فجاء هذا  
الرجل وأخبرني أن لديه حلًّا لمشكلتنا.

(سالم) بصوتٍ غاضبٍ منخفضٍ: وكيف تثق بشخصٍ لا تعرف عنه  
شيئًا؟!

فرد أخوه وقال: لقد أثبت لي أنه يعرف الحل.

(سالم): وكيف عرفت ذلك؟!

قال أخوه: لقد ذكر لي أسماء الفتيات المُختفيات كلهنَّ، كما ذكر أعمارهنَّ  
ووصف أشكالهنَّ

(سالم) بغضبٍ وصوته قد بدأ بالارتفاع قليلًا وقال:

هذا شيءٌ يثير الشكَّ وليس الثقة!!

فقال أخوه: ماذا تقصد؟

فقاطع الرجل الغريب حوارهما وقال: هل هناك مشكلةٌ؟



(سالم) بغضبٍ: نعم!.. هناك مشكلة!

فرد الرجل: وما هي؟

(سالم): كيف عرفتَ هذه المعلومات كلّها عن فتيات القرية؟

فرد الرجل بهدوءٍ: لأنّي ساحرٌ..

صُدِمَ (سالم) وأخوه الأكبر وقالا: ساحر؟!

- نعم ساحر.. وسوف أخلّصكم من (جسار) وسيّده بمبلغٍ من المال،  
وإذا كنتم لا تريدون ذلك فسوف أرحل.

وهمَّ الرجل بالرحيل فأمسكه أخو (سالم) من يده وقال: «اهدأ يا شيخ!»

صرخ (سالم) في وجه أخيه: أيّ شيخ؟!.. هذا ساحرٌ كافرٌ!!

فقال الساحر: احفظ لسانك!

فصرخ (سالم) وقال: لن نتعامل مع ساحر، حتّى لو اختفت بنات القرية

كلهنّ!

فقال الرجل: كما تشاء..

خرج الساحر من بيت (سالم)..  


فقال أخوه الأكبر: ماذا فعلت يا (سالم)!!؟

(سالم): فليذهب إلى الجحيم، لن نكفر كي ننجو قاله هو الحافظ!

خرج أخو (سالم) وراء الرجل يستجديه ويطلب منه البقاء، ويحاول  
تبرير ما قاله أخوه، لكنَّ الرجل رفض ورحل. جاء المغرب وأحضر الناس  
ما طلب الرجل منهم لكنهم لم يجدوه فقال (سالم) للناس المجتمعين عند  
بابه: «النصلُ المغرب ثم لتحدث في الأمر في المسجد».

بعد الصلاة اعتلى (سالم) المنبر وشرح لأهل القرية الموقف، كانت ردود  
فعل الناس متفاوتة بين مؤيدٍ ومعارضٍ، صرخ رجلٌ من بين الحشود  
الغاضبة وقال:

أنت لا تهتم لأنَّ ابتك ما زالت في أحضانك!

(سالم): «والله لو استطعتُ لقدمتها فداءً لبناتكن»

فقال بعض الناس بصوتٍ واحدٍ: «آمين»

خرج بعدها الناس من المسجد وبعضهم يتذمَّر من موقف (سالم)  
وتقرَّده برأيه. بقي (سالم) وأخوه في المسجد وهما يفكران في حلٍّ لهذه



المشكلة، ولم يخرجوا حتى اقترب وقت صلاة العشاء، وقبل الأذان بقليل  
دخل عليهما أحد أهل القرية وهو يصرخ بفرح:

«عادت ابنتي يا (سالم) لقد عادت!»

تكرّر المشهد مع شخص آخر ثم آخر حتى اجتمع كل أهل القرية في  
المسجد وهم يهللون ويكبرون فرحين، فرح (سالم) كثيراً، وبين تهليل الناس  
وتكبيرهم أذن أخو (سالم) لصلاة العشاء، صلى الناس جماعة وبعضهم  
بكى في الصلاة من شدة الفرح. بعد انقضاء الصلاة تفرّق الناس، وذهب  
(سالم) وأخوه إلى المنزل وكان (سالم) متزوجاً أما أخوه الأكبر فكان أعزب  
وكانا يسكنان في المنزل نفسه مع والدتهما وزوجة (سالم) وأطفاله الأربعة.

دخل سالم وأخوه وسمعا بكاء أمّهما وزوجة (سالم) فسألها (سالم): ما

بكيا؟!

فردّت زوجته وهي تبكي بشدة:

ابنتك اختفت يا (سالم)!!

سقط (سالم) على الأرض من شدة الصدمة وهول الموقف، التقطه أخوه  
وأخذه إلى السرير وكان (سالم) يصرخ: أنا السبب في اختفائها!  
ذهب أخو (سالم) إلى زوجة أخيه مسرعًا وقال لها: «سأخرج للبحث  
عن مساعدة أبقى معه..»

ذهب أخو (سالم) إلى العاصمة ليلاً، ويبحث عن ذلك الرجل الذي  
طرده (سالم) من بيته حتى وجدته، وحكى له القصة ما حدث بعد رحيله،  
فقال الرجل وهو يبتسم بسخرية:

«لقد أخذ (جسار) ابنة أخيك وأعاد البقية لأن أباهما دعا عليها، ولعلها  
كانت ساعة استجابة، فليتحمل ما أصابه».

نزل أخو (سالم) على ركبتيه وتوسل إلى الرجل كي يساعده، لكنه رفض  
وقال:

أخوك أهانني ولن أساعده، حتى لو خرّ ساجداً عند قدمي..

قال أخو (سالم): اطلب ما تريد لكن.. أعد ابنة أخي له. فصمت الرجل  
قليلاً ثم قال:

سأفعل.. لكن بشرط واحد فقط

أخو (سالم): اطلب ما تشاء!

الرجل: أن تكون خادمًا عندي إلى أن يموت أحدنا.

فوافق أخو (سالم) بلا تردد وقال:

«أعد ابنة أخي إلى أهلها وسأكون خادمك إلى الأبد.»

ابتسم الرجل وقال: لقد عادت الفتاة قبل أن تنهي حديثك.

شكر أخو (سالم) الرجل، وطلب منه أن يودّع أهله للمرة الأخيرة قبل أن يقضي بقية حياته خادمًا له، فوافق الرجل وأمهله يومًا واحدًا فقط. عاد أخو (سالم) مسرعًا إلى أهله، ووجد ابنة أخيه بين أحضان أبيها فسعد بذلك وفرح وودّعهم قائلًا لهم: إنّه وجد عملاً في العاصمة وسيغيب فترة من الزمن. عانق (سالم) أخاه، فبدأ أخوه بالبكاء بحرارة؛ لأنه كان يعرف أنّها آخر مرة سيرى فيها وجه (سالم)، كان عناقه له قويًا وعناقه لأمّه أقوى. سأل (سالم) أخاه عندما رآه بهذه الحالة: ما بك؟!

قال أخوه: لا شيء.. لكنني سأشتاق إليكم..

(سالم): كيف تقول لا شيء وأنت تودّعنا بقوة وكأنك لن ترانا مرة

أُخْرَى ١٩ . لا تذهب إلى هذا العمل إذا كنت لا تقوى على فراقنا.

قال أخو (سالم) وقد مسح دموعه:

لا عليك يا أخي فأننا لم اعتد على فراقكم أكثر من أسبوع من قبل.

هل أخو (سالم) أمتعته وسار نحو الباب، فلحق به (سالم) وأمسك

بكتفيه وقد فاض الدمع من عينيه وقال:

« لا تغب طويلاً يا (عمّار) فالمسجد يحتاجك... »

## قصة الشيطان (جسار) كما رواها الرجل الغريب

(جسار) هو الابن الأصغر للقرين المتمرد (مازع)، وهو من أكبر الشياطين المتمردين الذين راح ضحيتهم الكثير من السحرة الذين حاولوا تحضيره.

الشيطان (مازع) خرج عن سيطرة صاحبه عندما حاول تحضيره لرؤيته، وبمجرد تحرره قام (مازع) بقتل صاحبه وكل أسرته، ومنذ ذلك الوقت وهو يتسلط على الناس ولم يستطع أحد إيقافه.

انضم (مازع) لقبيلة (الكثبان)، وتمكن من تولي قيادة العشيرة بعد وقت قصير من زواجه من ابنة زعيم القبيلة، فأنجب سبعة أولاد أكبرهم قدراً وأحبهم لقلبه كان (جسار)؛ لأنه يشبه أمه التي رفعت من شأن (مازع) بين معشر الشياطين، وبدوره كذلك رفع (جسار) اسم أبيه عالياً بين أسياد الشياطين بقوة وشجاعته التي أظهرها في حروب القبيلة مع القبائل الأخرى، فبقي (جسار) قرّة عين أبيه حتى ذلك اليوم الذي عشق فيه



(جسار) فتاة من الإنس، وكان هذا مُحَرَّمًا في معشر الشياطين لكنه كان مسموحًا للأسياد، ومع هذا كان الأسياد -الذين يعتبر (جسار) وأهله من بينهم- يترفعون ويتجنبون عشق البشر أكثر من غيرهم؛ لأنهم يرون في ذلك تدنيسًا لعرقهم وهبوطًا في مستواهم القبلي.

منع (مازع) ابنه (جسار) من زيارتها، لكن (جسار) خالف أمر أبيه وعاد لزيارة تلك الفتاة، لكن أمره انكشف وحُكِمَ بالنفي مدى الحياة، وسُلبت منه حصانته ضدَّ السحرة الصغار والمبتدئين كي يتحكموا به ويجعلوا منه خادمًا لأغراضهم، ويقال إنه أُصيب بضرب من الجنون بعد نفيه، بقي (جسار) خادمًا ذليلاً يتنقل من ساحر لآخر لقضاء حوائجهم، ولم يكن يستطيع فعل شيء لمنعهم بسبب الربط الذي ربطه أحد كبار الشياطين عليه.

وفي يوم قام شاب صغير لا يتجاوز العشرين، وكان في بداية تعلمه السحر، وحضر (جسار) بهدف البحث عن الثراء بواسطة السحر، وعندما ظهر له (جسار) قال له الساحر الصغير أريدك أن تُحضر لي الأموال الكثيرة. (جسار): أنت لا تفهم الغرض مني.

فردَّ الساحر الصغير: وما هو الغرض منك؟

(جسار): أنا أَسَلَطْتُ على الجسدِ، وأُذِيبُ العقلَ وأَسْكُنُ المنامَ فقط.

سَكَتَ السَّاحِرُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: ولماذا لا تُخَنِّرُ ما تريدُ فعله؟

فحكى (جسار) للساحر قصته،

فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: وكيف تتحرَّزُ؟

(جسار): بموتِ الشَّيْطَانِ الذي ربطني.

فَقَالَ السَّاحِرُ: وكيف ذلك؟

(جسار): بأنْ تُحْضِرَهُ مُقَيَّدًا، وتحْضِرَ معه شَيْطَانًا آخَرَ وتأمِره بقتله.

السَّاحِرُ: وما فائدتي مِنْ ذلك؟

رَدَّ عَلَيْهِ (جسار): أموالُ الدنيا وأكثرُ ستكونُ تحتَ تصرُّفِكَ، فقط

حرِّزْني وسأحقِّقْ لكَ كُلَّ ما تريدُ.

فَبَحَثَ السَّاحِرُ عَنْ كِتَابٍ لِتَحْضِيرِ الشَّيْطَانِ الَّذِي رَبطَ (جسار)، وعنى

كِتَابَ لِتَحْضِيرِ مَنْ يَقْتُلُهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فَقَالَ (جسار): لَمْ أَجِدْ ما تريدُ لذلك

لَنْ أَستطيعَ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ (جسار): ستجدُهما عندَ ساحرٍ اسمه (نَجْد) يسكنُ (عَدَنَ)،

فأذهبْ إليه واطلبْ مساعدته.



بَحَثَ السَّاحِرُ عَنْ (نَجْد) فَلَمْ يَجِدْهُ، وَسَمِعَ خِلَالَ بَحْثِهِ وَسْؤَالَهِ عَنْهُ عَنْ  
قِصَّةِ مَوْتِهِ وَتَحَرُّرِ قَرِينِهِ، فَبَحَثَ عَنْ كِتَابِ قَرِينِهِ وَوَجَدَهُ وَعَادَ بِهِ إِلَى (جَسَار)،  
وَحَكَى لَهُ مَا حَدَثَ فَقَالَ لَهُ (جَسَار): حَضْرَةُ، وَاسْأَلْهُ عَنْ مَكَانِ الْكِتَابِ.

السَّاحِرُ: لِمَاذَا لَا تَفْعَلُهَا أَنْتَ بِنَفْسِكَ، فَأَنْتَ شَيْطَانٌ غُلُوبِي؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ (جَسَار) بِغَضَبٍ: لَا أَتِي مُقَيَّدٌ، وَلَا أَمْلِكُ قُوَّةَ لِفْعَلِ ذَلِكَ!

فَخَافَ السَّاحِرُ وَقَامَ بِتَحْضِيرِ (دَجَن) وَعِنْدَمَا حَضَرَ، هَمَّ بِقَتْلِ السَّاحِرِ،

لَكِنَّ (جَسَار) صَرَخَ عَلَيْهِ وَمَنْعَهُ:

تَوَقَّفْ يَا قَرِينَ (نَجْد)، حَرِّزْنِي وَلَكَ مَا شِئْتَ!

فَرَدَّ (دَجَن): «وَأَيْشَ رَحِ اسْتَفِيدَ لِمَا أَسَاعِدُكَ يَا مَرْبُوطَ»

فَقَالَ لَهُ (جَسَار): أَنْتَ تَعْرِفُ مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ لَكَ.

غَابَ (دَجَن) لِفَتْرَةٍ بَسِيطَةٍ، ثُمَّ عَادَ وَرَمَى كِتَابَ تَحْضِيرِ الشَّيْطَانِ الَّذِي

قَيَّدَ (جَسَار) فِي وَجْهِ السَّاحِرِ الصَّغِيرِ وَقَالَ لَهُ: «يَا خَلِّصْنَا حَضْرَةَ بِسُرْعَةٍ،

وَأَوَّلَ مَا تَحْضُرُهُ أَرْبِطْهُ لَا تَوْرَطُنَا لِأَنْ شَكَلَكِ تَوَكُّ فِي الشَّغْلَةِ»

نَفَّذَ السَّاحِرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ (دَجَن)، وَخَرَجَ الشَّيْطَانُ الَّذِي قَيَّدَ (جَسَار)،

وَهُوَ يَصْرُخُ بِشِدَّةٍ وَحَدَثَ مَا كَانَ يَخْشَاهُ (دَجَن)، فَلَمْ يَلْحَقِ السَّاحِرُ

الصغيرُ قراءةً طَلَسَمَ تقييدَ الشيطانِ الذي ربطَ (جسار)، وفي لمحِ البصرِ  
قَسَمَ الشيطانُ الساحرَ إلى نصفين، فباغتهُ (دَجَن) من خلفه وقتله قبلَ أنْ  
يتَّيَّهَ لوجوده، فتحرَّرَ (جسار) مِنْ قيوده وبدأ يصرخُ ويزأرُ مُتَشَيِّيًا لتحرُّره،  
عندها قالَ له (دَجَن) : «يلا يا سيِّد وين وعدك»

فقالَ (جسار) : إذا لم تبتعدْ عني سأمزقُك أيُّها القرينُ الحقيرُ!

فقالَ (دَجَن) : «أفا، طلعت مش قد كلامك»

وقبلَ أنْ يردَّ (جسار) هَجَمَ (دَجَن) عليه، لكنَّ (جسار) أقوى منه بكثيرٍ  
فصرَّعه أرضًا بلمحِ البصرِ وأمسكَ عُنقه لكنَّهُ لم يقتله، وقالَ له: سأعفو  
عنك فقط لأنَّكَ ساعدتني، لذلك بمجرَّدِ أنْ أتركَّك اخرجْ بلا عودةٍ وإلا  
فلنْ ترى النورَ بعدَ اليومِ أيُّها القرين.

خرجَ (جسار) مِنْ منزلِ الساحرِ وقتلَ السَّحَرَةَ الذينَ استخدموه سابقًا  
لِقضاءِ حاجاتهم، وقد قامَ نحرهم جميعًا في يومٍ واحدٍ؛ حتَّى لا يُحذِّروا  
بعضهم بعضًا، لدرجةٍ أنَّ السَّحَرَةَ الآخرينَ أُصيبوا بالذعرِ مِنْ أنْ يُصيبَهم  
المصيرُ نفسُهُ، حتَّى وإنْ كانوا لم يتعاملوا مع (جسار) مِنْ قبل.

قَامَ (جَسَار) بَعْدَهَا بِالْإِخْتِفَاءِ وَلَمْ يَسْمَعْ عَنْهُ أَحَدٌ شَيْئًا، حَتَّى اسْتَطَاعَ  
سَاحِرٌ مُتَمَكِّنٌ مِنَ الْحِجَازِ تَحْضِيرَهُ وَتَسْخِيرَهُ لِحُطْفِ النِّسَاءِ، وَاسْتَمَرَ  
(جَسَار) بِخِدْمَتِهِ حَتَّى مَاتَ ذَلِكَ السَّاحِرُ، لَكِنَّ (جَسَار) لَمْ يَتَوَقَّفَ عَنْ  
الْحُطْفِ وَأَصْبَحَ مَعْرُوفًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ تَحْضِيرُهُ إِلَّا مَنْ بَلَغَ مِنْ  
عِلْمِ الشُّعُودَةِ دَرَجَةً كَبِيرَةً، وَيَبْدُو أَنَّ السَّاحِرَ الَّذِي اعْتَدُوا عَلَيْهِ كَانَ ذَا  
مَقْدَرَةٍ عَالِيَةٍ وَقَامَ بِتَسْلِيْطِ (جَسَار) عَلَيْهِمْ.

## (عمّار) والصعودُ للهاويةِ

وصلَ (عمّار) لمنزِلَ الرجلِ الغريبِ الذي طلبَ منه العملَ لديه مدى حياته، والذي اتّضحَ فيما بعدُ أنّه ساحرٌ كبيرٌ ومشهورٌ بين السحرة، وبدأ (عمّار) فورَ وصولِهِ في خدمتهِ وتنظيمِ مواعيدهِ مع زوّاره من كلّ البلدانِ.

أمضى (عمّار) مع الساحرِ سنواتٍ طويلةً جعلتهُ يفقدُ إيمانهُ تدريجيًّا وينخرطُ في عالمِ السحرِ والشعوذةِ الخبيثِ، وكانَ الساحرُ يُلقّنهُ خلالَ تلكَ الفترةِ بعضَ أسرارِ المهنةِ، حتّى أصبحَ (عمّار) أحدَ السحرةِ المشهورينَ في العاصمةِ.

وخلالَ تلكَ الفترةِ التي أتقنَ فيها (عمّار) مُعظمَ أسرارِ المهنةِ جاءَ رجلٌ يكي عندَ بابِ الساحرِ وطلبَ الدخولَ فاستأذنَ له (عمّار) منَ الساحرِ، فدخلَ وبدأَ يحكّي للساحرِ قصّتهُ و(عمّار) يقفُ بجانبِ الساحرِ ويسمعُ ما يدورُ بينهما.

قالَ الرجلُ إنّهُ تزوّجَ منذُ أشهرٍ من فتاةٍ تصغُرُهُ بفارقٍ كبيرٍ في السنّ، ومنذُ أن تزوّجَها بدأتِ الكوابيسُ تطاردهُ، وكانَ يأتيهِ شكلٌ مخيفٌ مُحاطٌ

بالدخان يهدده بأنه إذا اقترب منها سوف يقتله، وكان يأمره بتطليقها في كل كابوس.

رد عليه الساحر: هل لديك ما يكفي من المال؟

الرجل: أنا تاجر معروف وأملك ما يكفي من المال.

فطلب الساحر منه مبلغاً كبيراً، ودفعه الرجل دون تردد وهو يقبل يد الساحر ويقول له: أرجوك خلصني مما أنا فيه.

أمر الساحر (عمار) بتوصيل الرجل، وقال للتاجر: لا تخف لن ترى شيئاً بعد اليوم.

عاد (عمار) بعد أن قام بتوصيل الرجل للباب، فوجد الساحر يتكلم ويتمتم فاختبأ وراء الباب لسمع كلامه لأن (عمار) كان يستخدم هذه الطريقة لحفظ الطلاس التي لم يكن الساحر يخبر بها؛ كي لا يتفوق عليه ويبقى أضعف منه وبحاجته دائماً.

سمع (عمار) بعض الطلاس التي لم يسمعها من قبل، وعندما انتهى الساحر منها ظهر دخان كثيف في الغرفة، وبدأ الساحر بالحديث مع ذلك الدخان قائلاً: توقف يا (جسار) عن مطاردة التاجر وتوجه الآن لأخت المسؤول الكبير.



فاختفى الدخان بسرعة وسكت الساحر وأغمض عينيه، فدخل عليه  
(عمار) بعد ما انتظر قليلاً وقال: أتأمرني بشيء آخر يا سيدي؟  
فقال له الساحر: لا، فقط اتركني وحدي الآن يا (عمار).

خرج عمار وهو يفكر في تحذير أخت المسؤول الكبير؛ لأنه عرف الآن أن  
الساحر هو من أرسل (جسار) للقرية وأمره بختف ابنة أخيه، فعقد (عمار)  
العزم على تحذير أخت المسؤول الكبير لكن الأمر لم يكن سهلاً ولم يستطع  
(عمار) الوصول للمسؤول الكبير أو أخته لتحذيرهما. مضت الأيام ونسي  
(عمار) القصة حتى دخل شخص ومعه مجموعة من الأشخاص وسألوا  
عن الساحر بالاسم، فردّ عليهم وأخبرهم بأنه مشغول فدفعوه ودخلوا  
على الساحر بالقوة وقالوا له: أخت المسؤول الكبير تعاني منذ أسابيع من  
شيطان يعبث بها كل ليلة، وقد جرّبنا كل شيء حتى أخبرنا أحدهم أنك  
تجيد التعامل مع هذه الأشياء، فهل هذا صحيح؟

الساحر: نعم لكنني أريد مقابلة المسؤول شخصياً.

فردّ أحدهم وقال: ولماذا تريد مقابله؟!

الساحر: الأمر يحتاج بعض الفحص والاستفسار وأنتم لن تنفعوا لذلك.

فتشاورَ الرجالُ و(عمَّار) خلفهم يشاهدُ ويسمعُ ما يدورُ بينهم، ثمَّ قالَ  
أحدُ الرجالِ بعدَ ما تشاورَ معَ البقيَّة: يجبُ أن نسالَ المسؤولَ الكبيرَ نفسه،  
فالقراؤ ليسَ بأيدينا.

فردَّ عليهم السَّاحِرُ وقالَ: كما تشاؤون.

خرجَ الرجالُ وطلبَ السَّاحِرُ مِنْ (عمَّار) الرِّحيلَ وإغلاقَ البابِ خلفه،  
أغلقَ (عمَّار) البابَ لكنَّهُ لم يخرجْ واختبأَ في الغُرفة، فسمعَ السَّاحِرُ يستخدمُ  
الطَّلاسمَ نفسَها التي أتتْ بالدُّخان، وفعلاً ظهرَ الدُّخانُ وقالَ لَهُ السَّاحِرُ:  
اجعلْ ليلَتها جحيماً يا (جسار)، أريدُ المسؤولَ الكبيرَ أن يأتي راکعاً بنفسه  
تحتَ قدميَّ ليطلبَ مِنِّي المُساعدة.

اختفى الدُّخانُ بسرعة، ولم يستطعَ (عمَّار) الخروجَ خوفاً من أن  
ينكشفَ؛ لذلكَ باتَ في الغُرفة حتَّى الصُّباح إلى أن خرجَ السَّاحِرُ فخرجَ  
بعده مُسرَّعاً لبيتِ المسؤول الكبير ليحذِّره لكنَّ الحُرَّاسَ منعوهُ، فجلسَ  
عند بابِ بيتِ السَّاحِرِ يُفكِّرُ، وبعدَ ساعةٍ من جلوسه أقبلَ عليه الرجالُ  
أنفُسُهُم الذين جاؤوا للسَّاحِرِ بالأَمسِ وعلى وجوههم علاماتُ الخوفِ  
والقلقِ وقالوا (لعمَّار): أينَ سيِّدك؟!



(عمّار): لقد خرج.

فصرخ رجلٌ منهم وقال: ومتى سيعودا

(عمّار): لا أعرف، لكن يُمكنني مساعدتكم.

فنظر إليه الرجلُ بازدياءٍ وقال: ومن أنت؟

- أنا مُساعدُه.

فقال الرجلُ: ليسَ باليدِ حيلة، تعالَ معنا.

ذهبَ (عمّار) برفقتهم لقصرِ المسؤولِ الكبيرِ الذي استقبلَه استقبالاَ

جيداً وطلبَ منه الكشفَ على أخته، ففعلَ ثمَّ قالَ له المسؤولُ: هل تستطيعُ

أن تساعدها؟

فقالَ له (عمّار): لا، لا أستطيعُ.

فغضبَ المسؤولُ غضباً شديداً وصرخَ في وجهِ (عمّار) واتهمه بالذلِّ

والكذب، لكنَّ (عمّار) قالَ له: أعرفُ مَنْ يستطيعُ.

هدأَ المسؤولُ وقالَ: أرجوكِ دُلّني عليه!

رفعَ (عمّار) سبابتهُ للسَّاءِ وقالَ: «الله لا إِلَهَ إلا هو الحيُّ القيُّومُ»،

الآية...

بكى المسؤول واقترب منه (عمار) وقال له :  
«لن يُخَيِّبَ اللهُ ظَنَّاكَ إِنَّ دَعْوَتَهُ، ولا تتركِبِ الخطأَ نفسَهُ الذي ارتكبتُهُ أنا  
باللجوءِ لغيرِهِ...»

خرجَ (عمار) مِنَ القصرِ وخلفَهُ صوتُ المسؤولِ وهو يبكي ويدعي،  
ثمَّ توجَّهَ للبيتِ ولم يكنِ السَّاحِرُ قد عادَ، وجلسَ على كُرسيِّ السَّاحِرِ وبدأَ  
بقراءةِ طلاسِمِ استدعاءِ جَسارٍ، وعندما حضرَ قالَ له (عمار): أريدُكَ أَنْ  
تَقْلِبَ حياةَ السَّاحِرِ إلى جحيمِ هذه الليلةِ ويَعِدُهَا أَنْتَ حَرْبًا (جَسار)، لكنْ  
قَبْلَ رَحِيلِكَ أَحْضِرْ لي رأسَهُ.

بعدَ رَحِيلِ (جَسار) توجَّهَ (عمار) لفراشهِ ونامَ دونَ أَنْ ينتظرَ قدومَ  
السَّاحِرِ كما اعتادَ أَنْ يفعلَ، واستيقظَ في الصباحِ التالي ليجدَ رأسَ السَّاحِرِ  
بجانبهِ ينظرُ إليه بعيونٍ مفتوحةٍ يتطايرُ حولَها الذبابُ وفمُهُ مفتوحٌ وقد  
تهشَّمتْ أسنانهُ ورموشُهُ جفَّتْ عليها بعضُ قطراتِ الدماءِ.

نهَضَ مِنْ فراشهِ بكلِّ هدوءٍ، وأمسكَ رأسَ السَّاحِرِ ورمَاهُ بعيدًا عنْ  
مَضْجَعِهِ.

ومنذ ذلك اليوم قبل ثلاثة عقود لا يعرف أحدٌ لماذا لم يرجع (عمار)  
لأهله في القرية، واختار عوضاً عن ذلك أن يشتغل لسفح جبلٍ قريبٍ منها  
ونقلَ معه كلَّ كتبِ الساحرِ وبقيَ هناك إلى اليوم.

## أَخَذَ أَيَّامَ (سالم) كَمَا أَخْبَرَ حَارِسُ الْمَقْبَرَةِ

أَكْمَلَ حَارِسُ الْمَقْبَرَةِ حَدِيثَهُ عَنْ (سالم) أَخِي (عَمَّار) وَمَا حَدَّثَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، قَائِلًا: بَعْدَ رَحِيلِ عَمَّارٍ لِلْعَاصِمَةِ بَقِيَ (سالم) فِي الْقَرْيَةِ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَعَادَتْ حَيَاتُهُ لَطَبِيعَتِهَا وَاسْتَمَرَّتْ حَيَاتُهُمْ طَبِيعَتَهُ حَتَّى اشْتَأَقَ (سالم) لِرُؤْيَةِ أَخِيهِ (عَمَّار)، وَالَّذِي قَدْ مَضَى عَلَى رَحِيلِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَامَيْنِ، فَشَاوَرَ أَهْلَهُ ثُمَّ قَرَّرَ الزَّهَابَ إِلَى الْعَاصِمَةِ لَزِيَارَتِهِ لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَيْنَ يَجِدُهُ، لِذَلِكَ قَرَّرَ أَنْ يَسْأَلَ فِي الْمَسَاجِدِ لَعَلَّهُ عَمِلَ كْمُؤَذِّنٍ أَوْ إِمَامٍ؛ لِأَنَّ (عَمَّار) كَانَ يَمْلِكُ صَوْتًا رَخِيماً وَجَمِيلاً.

عِنْدَمَا وَصَلَ سَالِمٌ لِلْعَاصِمَةِ بَدَأَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَخِيهِ فِي الْمَسَاجِدِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَظَلَّ فِي الْعَاصِمَةِ يَبْحَثُ عَنْهُ لِأَكْثَرِ مِنْ أَسْبُوعٍ حَتَّى يَتَسَنَّوَقَرَّرَ الْعُودَةُ لِلْقَرْيَةِ، لَكِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَى (سالم) أَخَاهُ (عَمَّار) مُصَادَفَةً فِي السُّوقِ وَهُوَ يَشْتَرِي بَعْضَ الْحَاجِيَّاتِ، فَفَرَحَ سَالِمٌ جَدًّا وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُسْرِعًا لِيَعَانِقَهُ لَكِنْ (عَمَّار) تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ السَّاحِرُ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ هَدَّدَهُ بِأَنَّهُ إِذَا رَأَى (سالم) مَرَّةً أُخْرَى فَيَسْقِطُهُ، فَتَهَرَّبَ (عَمَّار) مِنْ أَخِيهِ وَأَنْكَرَ



معرفةً به، لكنَّ (سالم) أصرَّ على الحديثِ معه إلى أن دفعه (عمار) وهرب.

لحقَّ (سالم) أخاه بعد أن دفعه في السوق وحرصَ ألا يشعره حتى دخلَ (عمار) بيتَ الساحرِ، ثمَّ دفعَ (سالم) لسؤالِ أحدِ المارةِ بقوله: بيتُ مَنْ هذا؟ فردَّ عليه وقال: شيخٌ يقرأُ على الناسِ.

ابتسمَ (سالم) وقال: الحمدُ لله.

لكنَّ ذلكَ لم يُجبِ على السؤالِ الذي كانَ يدورُ في رأسِ (سالم)، وهو لماذا أنكره أخوه ولم يرغبِ في الحديثِ معه؟

قرَّرَ (سالم) أن يبقى ليلةً أخرى في العاصمةِ حتى يتحدثَ مع أخيه ويعرفَ الجوابَ لسؤاله، وفي الليلِ سمعَ (سالم) طرقاً على بابِ غرفته التي استأجرها للمبيتِ تلكَ الليلة، ودارَ حوارٌ لبضعِ دقائقَ بينه وبينَ شخصٍ غريبٍ على البابِ، ثمَّ عادَ (سالم) بعدها لغرفته ورحلَ مَنْ كانَ يحدِّثه -نقلَ هذا الكلامَ صاحبُ السكنِ الذي استأجره (سالم)- للجهاتِ الأمنيةِ التي جاءت في الصباحِ للتحقيقِ ونقلِ سالمَ للمستشفى، فقد جُنَّ جنونُ (سالم) بعدَ رحيلِ زائره بدقائقٍ وفقدَ عقله تلكَ الليلة، وبدأ بالصراخِ القوي طيلة الليلِ حتى اضطرَّ صاحبُ السكنِ إلى إبلاغِ الأمنِ.

بقي (سالم) في المستشفى عدّة أشهر، وأُبلغ أهله الذين كانوا يزورونه  
بانتظام حتى آخر يومٍ قبل وفاته منذ عشر سنوات.

انتهى كلام حارس المقبرة..

## خطوات دامية للوراء

سرتُ باتجاهِ القريةِ عائداً مِنَ المقبرةِ بعدَ سماعي للقصةِ التي رواها لي الحارسُ، وبدأتُ أظنُّ أَنِّي ظلمتُ (عمار) وأنَّ (دَجَن) خدعني كي أُسهِّلَ له عمليةَ قتله؛ لأنَّه لم يكنْ ليستطيعَ ذلك دونَ غصنِ الزيتونِ الذي شاركَ (عمار) فراشهَ البارحةَ، لكنْ لم أعرفَ سببَ قتلِ (دَجَن) (لعمار).

وصلتُ للقريةِ ولم أذهبْ لبيتِ (سالم)، وأكملتُ طريقي لبيتِ (عمار) الذي لم يتشرَّ خبرُ موتهِ بعد؛ لأنَّه يعيشُ في عزلةٍ على سفحِ الجبلِ بعيداً عنِ الناسِ، وقبلَ وصولي لمنزلِ (عمار) بمسافةٍ بسيطةٍ ظهرَ لي (دَجَن) وبدأ مُستاءً وقالَ لي: «ليه تأخرتَ؟!»

فلم أجبْهُ وأكملتُ طريقي، وظلَّ طيلةَ الطريقِ وأنا أمشي باتجاهِ بيتِ (عمار) يُكلِّمني بعصبيةٍ ويقول: «ليه بترجع؟ خلاص خلنا نمشي».

لم أرْد عليه حتَّى وصلتُ لبابِ منزلِ (عمار) فسكتَ (دَجَن)، ثمَّ حوَّلتُ نظري باتجاهه وقلتُ: أنا لا أعرفُ لماذا قتلتهُ، لكنِّي أعرفُ أنَّه لا يمكنُ أن يكونَ الشخصَ الذي أرسلَ الشيطانَ لأُمِّي، وقد نجحتُ في خداعي



لمساعدتك، ولو أردت ردّ هذه المساعدة يومًا ما فأخبرني، أمّا الآن فلاكرامُ  
الميتِ دفنه.

دخلتُ المنزلَ وظلّ (دَجَن) بالخارج صامتًا، نظفتُ المنزلَ من الدماءِ  
على قدرِ استطاعتي، ودفنتُ (عمار) تحتَ شجرةٍ كان يُحبُّ أن يستظلَّ بها  
دائمًا، فدعوتُ له وعدتُ باتجاهِ منزله ثمّ توجهتُ (لدَجَن)، وخاطبتهُ بنبرةٍ  
حادّة: أعِدني لموطني.

فقال: «ما راح أرجعك!»

فصرختُ بوجهه وقلتُ: أعِدني يا شيطان!

ولأوّل مرّةٍ أسمعُ (دَجَن) يقولُ: «حاضر سيّدي»

وفي لمحِ البصرِ كنتُ أمامَ منزلي، دخلتُ المنزلَ وطمأنتُ أهلي، ثمّ ذهبتُ  
لغرفتي ونمتُ لفترةٍ طويلةٍ ذلك اليوم.

مضتِ الأيامُ وقلَّ ظهورُ (دَجَن) أمامي وتناقصَ هذا الظهورُ حتّى بدأتُ  
أنسى شيئًا اسمه (دَجَن)، وبعد مُضيّ بضعةٍ أشهرٍ ظهر لي (دَجَن) قبلَ  
صلاةِ المغربِ بقليلٍ وقال:

«كنت أبغى أتركك لهم لكن ما قدرت»

- لا أفهم شيئاً من كلامك، ماذا تقصد؟

فقال: «قبيلة (يعرم) طالبين الثأر من قرينك الي قتله، وهم جايين الليلة عشان يقتلون قرينك وإذا مات قرينك بتموت معه»

- ولماذا تهتم أنت؟

فابتسم وقال: «تعودت عليك يا خي».

سكت قليلاً وفكرت في هذه القبيلة التي قرأت عنها في كتب (عمار)، فهم كانوا يلقبون بقبيلة (الأباطحة) وهم من الشياطين العلوية والقبلية، وتسري في عروقهم وحياتهم كلها حروب مع قبائل الإنس والجن، ولا مجال للتفاهم معهم و(يعرم) لم يكن فرداً عادياً من أفراد تلك القبيلة، بل كان من أبناء سادتها ولن يتركوا دمه دون ثأر.

سألت (دجن) وقلت له: وما الحل برأيك؟

قال: «نشوف لنا قبيلة معادية ونطلب حمايتهم»

- هل جُنتت؟! الحامي هو الله.

فقال: يا أخي لا تقعد تتشنج علي وثهايط ثرا ما عندك وقت إلا لحد صلاة المغرب، وبعدها أنت وقرينك بتفطسون»

استجبتُ لكلام (دَجَن) بسهولةٍ وخاصةً أَنَّهُ قَالَ إِنَّهُمْ لَنْ يَكْتَفُوا بِي، بل سَيَقْتُلُونَ أَهْلِي جَمِيعًا وقد يمتدُّ أذاهم لأقاربي، ولم أكن أعلمُ أَكَّانَ ذَلِكَ صِدْقًا أم حيلةً أُخْرَى مِنْ (دَجَن) كي أَسْتَجِيبَ لَهُ لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لَأَكْشَافِ ذَلِكَ وَالْمَخَاطَرَةِ بِحَيَاةِ عَائِلَتِي إِذَا سَأَلْتُ (دَجَن): وما العملُ الآن؟

- «نرجع لبيت (عمَّار) لأن الشياطين ما راح تفكر تقرب من بيته»

وفي غمضةٍ عَيْنٍ كُنَّا هُنَاكَ، فدخلتُ المنزلَ لَكِنَّ (دَجَن) بقي بالخارجِ  
فقلتُ لَهُ :

لماذا لا تدخل؟ فالرجلُ الذي كَانَ يَمْنَعُكَ قد مات؟

سكتَ (دَجَن) ولم يرد عليّ، واكتفى بالنظرِ للسَّماءِ وبقي بالخارجِ.

كَانَ الْقَمَرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُكْتَمَلًا، وَالْجَوُّ جَمِيلٌ فَخَرَجْتُ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِالطَّبِيعَةِ  
الْخَلَابَةِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

رَأَيْتُ (دَجَنَ) جَالِسًا مُحَدِّثًا فِي السَّمَاءِ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ لَوْمَهُ فَالسَّمَاءُ صَافِيَةٌ  
وَخَالِيَةٌ مِنَ الْغُيُومِ وَالْقَمَرُ بِالرَّغَمِ مِنْ اكْتِمَالِهِ إِلَّا أَنَّ النُّجُومَ كَانَتْ حَوْلَهُ  
وَاضِحَةً.

جَلَسْتُ بِجَانِبِ (دَجَنَ) الَّذِي كَانَ بَهِيئَتِهِ الْبَشَرِيَّةَ، سَكَنَّا قَلِيلًا ثُمَّ تَكَلَّمْ  
(دَجَنَ) وَقَالَ : «عَمَّارُ مَا كَانَ طَيِّبَ زِي مَا تَظُنُّ، كُلُّ السَّحَرَةِ يَظْهَرُونَ لَكَ  
الطَّيِّبُ فِي الْأَوَّلِ لَكِنْ لَهُمْ يَوْمٌ وَيَسْتَغْلُونَكَ»

- وَمَا أَدْرَاكَ؟

(دَجَنَ) : «صَدَّقْنِي أَنَا أَخْبَرْتُكَ مِنْكَ».

تَغَيَّرَ مَجْرَى النِّقَاشِ عِنْدَمَا سَأَلْتُهُ وَقُلْتُ : وَمَا الْعَمَلُ الْآنَ؟ لَقَدْ قَطَعْنَا  
مَسَافَةً طَوِيلَةً وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَنَا خُطْوَةٌ تَالِيَةٌ؟

(دَجَنَ) : قَبِيلَةٌ (الْأَبَاطِحَةُ) قَبِيلَةٌ قَوِيَّةٌ وَلَا يَوَازِيهَا فِي الْقُوَّةِ إِلَّا قَبِيلَةٌ  
وَاحِدَةٌ وَهُمْ قَبِيلَةُ (الْكُثْبَانِ)

- أليست هذه قبيلة (جسار)؟

(دَجَن): بلى صحيح؟

- هل فقدت عقلك؟

فقال: «ليه أنا وش قلت؟»

- كيف لقبيلة مثلهم أن تقف في وجه (الأباطحة) لأجل شخص مثلي؟

(دَجَن): «حل الموضوع علي ولا تخاف»

- اشرح لي ماذا ستفعل.

(دَجَن): «ليه مو واثق فيني؟»

- طبعاً لا.

فضحك وقام من مكانه ثم اختفى..

مكثت فترة في الخارج أتمعن في لمعان النجوم، فعلى الرغم من أنني  
أمضيت في هذا المكان ثلاث سنوات من عمري إلا أنني لم أستمع بالمناظر  
الخلابة التي كانت حولي إلا من خلال نافذة زجاجية.

دخلت منزل (عمار) بعد ما غلبني النعاس لأنام، وضعت رأسي على



فراشه الذي كانت عليه بضع قطرات من الدم التي لم أنتبه لتنظيفها،  
فأدرت رأسي بالاتجاه الآخر، ورأيت غصن الزيتون وقد جف وانكمش  
لحجم صغير ولم يبق منه إلا فتات يسهل نفخه، فنفخته.

مجر النوم عيني بعد ما رأيت غصن الزيتون الجاف يطير أمامي،  
فجلست على طرف السرير أقاوم شعور الحزن على (عمار) وأقول في نفسي:  
إنهم مجرد سحرة لا يستحقون منا الرأفة أو الحزن.

وأنا في معركة إقناع نفسي بذلك أدمعت عيناى وخنقتني العبرات،  
فنهضت من السرير بعد ما أيقنت أن النوم لن يزورني تلك الليلة، وبدأت  
أجول في منزل (عمار) الذي كان منزلي لثلاث سنوات متذكرا أيامي معه  
والكتب والطعام المقرف الذي كان يحضره لي، كنت أجدول في أرجاء المنزل  
لأسترجع ذكريات كانت في وقتها مؤلمة.

دخلت المكتبة ولأول مرة كان لي الخيار في القراءة من عدمه، أحسست  
بشعور مريح لأنني لست مجبرا على قراءة شيء منها بعد اليوم، فرحت  
أنفج على الرفوف وأنا أبتسم لكن ابتسامتي اختفت عندما وقعت عيناى  
على كتاب لم أراه في المكتبة من قبل، فقلت في نفسي: لعله كتاب كالكتب



الأخرى، ولم أنتبه له من قبل، ولكنني كنت مُتيقناً أنَّ كلَّ كتابٍ في المكتبة تصفحته ولو مرَّةً بالرغم من أنَّي لم أقرأ إلا ثلثيها من الغلاف للغلاف، وهذا الكتاب لم يكن بينها عندما كنت موجوداً هنا.

بدأ الفضول ينهش بي ولم أعرف لماذا، بدأت أقاوم الرغبة في فتحه واستقرَّ بي الحال لقرار مسكه فقط. ذهبت للكتاب وأمسكت به، وجلست على الطاولة ووضعتُه عليها وأنا أقولُ في نفسي : «ماذا تفعل؟ ألم تنته من قراءة ما نجهل؟»

ظلَّ الكتابُ أمامي نصفَ ساعةٍ تقريباً وأنا أُحدِّق فيه، كان لونه أحمراً وحجمه كبيرٌ خلافاً للكتب الموجودة على الرفوف، وبلا عنوان؛ ممَّا زاد فضولي أكثرَ وأكثرَ لكنني في النهاية وبعد تفكيرٍ أدركتُ أنني لو فتحتُ الكتاب دون حاجةٍ، مع معرفتي بأنه قد يضرُّني فسوف يُلغي ذلك أية حجةٍ تحجَّجتُ بها في السابق لدخولي هذا العالم، وسأكون قد خسرتُ نفسي للأبد.

عدتُ للفراش واستعدتُ بالله ونمتُ تلك الليلة، لكنَّ نومي لم يدُم طويلاً فقد استيقظتُ على صوتٍ (دَجَن) وهو يناديني من الخارج قائلاً : «قم بسك نوم».

خرجتُ وأنا مرهقٌ فأمسكُ (دَجَن) كتفيَّ بيديه وهزَّنِي بقوةٍ وهو يقول:  
الجماعةُ وافقوا!

- أيُّ جماعةٍ؟

(دَجَن): «(الكُثبان) ما غيرهم»

- وافقُوا على ماذا بالضبطِ؟

(دَجَن): «وافقت على ان يحموني أنا وياك من الأباطحة»

فطارَ النومَ الذي كانَ بعضُهُ ما زالَ عالِقًا في عينيَّ وقلتُ: كيفَ

أقنعتهم؟!

(دَجَن): «مالك دخل، المهم أن الحراس معنا الحين»

- أيُّ حُرَّاس؟

صَوَّبَ (دَجَن) نظرَهُ إلى الأفقِ وقال: «خلّوه يشوفكم يا شباب»

فتكوّنتُ أمامي سحابةٌ كبيرةٌ من الدُّخانِ، وبعد ما انقشعتْ ظهرَ منها

ثلاثةُ أشخاصٍ بينهم امرأةٌ، ليسوا بشرا تمامًا، بل أضخمُ بقليلٍ وملاحظهم  
أكثرُ حدةً.

قلتُ (لَدَجَن): مَنْ هؤلاء؟

(دَجَن) : «حرّاسنا من القبيلة، يعني زي الأخويا كذا»

- وما فائدُهم؟

فضحك وقالَ : «ما تعرف فائدة الأخويا، يعني حرّاس شخصيين»

- وما هو المقابلُ؟

فغضب أحدهم وكان أضخمهم، وكَلَّمَ (دَجَن) وقال: ألا يعرفُ صاحبُكَ بالاتِّفاق؟!

فظهرت علاماتُ الارتباكِ على (دَجَن) وقالَ:

«أكيد يعرف بس هو لسه صاحي من النوم ومو مركز، ممكن تعطونا فرصة نتكلّم شوي»

الرجلُ الضخمُ: لك ذلك.

رحلَ الحرّاس من أمامنا فأدرتُ نظري (لِدَجَن): ما القصةُ أيّها الشيطان؟

(دَجَن) : «شوف راح احكي لك بالضبط الي صار لكن حط في بالك أن أنا ما كان عندي حل ثاني عشان أساعدك»

- تكلّم ولا تراوغ!

(دَجَن) : «طيب اسمع»...

# الاتفاق الذي عقده (دَجَن) مع قبيلة (الكُشبان)

أجلستني (دَجَن) ثُمَّ قَالَ لي : «شوف، ما عمرك تساءلت في يوم ليه  
(عمَّار) كان بهذه القوة، وليه أنا ما كنت أقدر أدخل بيته، وليه ما قتلناه؟»  
فقاطعته وقلتُ: أنت قتلته وليس أنا!

(دَجَن) : «مو مشكلة، مو مشكلة خلني أكمل»  
- أكمل.

(دَجَن) : «ولما مات (عمَّار) حاولت أنا أقنعك إننا نمشي بسرعة؟»  
- نعم، وكنتُ مُستغرباً مِنْ عجلتك.

(دَجَن) : «لأن (عمَّار) مو ساحر عادي، فهو ساحر تحت الحماية».  
- تحت الحماية؟

(دَجَن) : «أي تحت الحماية، يعني محمي من العالم السفلي عشان كذا  
الشياطين كانت تخاف منه وتخاف تتعرض له»  
- وكيف حصلَ على تلك الحماية؟

(دَجَن) : «اسمع الحكاية كلها ولا تقاطع»

- تفضّل.

أخبرني (دجن) أنّه بعدَ عودةِ عمارٍ مِنَ العاصمةِ واختياره الإقامةَ في هذا الجبلِ بدلَ العودةِ لأهله، بدأَ يقرأُ في كُتُبِ الساحرِ الكبيرِ والتي كانَ معظمُها بعيدًا عن متناولِ يدهِ خلالَ فترةِ خدمتهِ لذلك الساحرُ، وخلالَ قراءاتهِ على مدى شهرٍ وقعت عيناهُ على كتابٍ نادرٍ جدًّا، وسببُ ندرتهِ هو احتواؤهُ على طرقِ تحضيرِ أسيادِ الشياطينِ وطلاسمِ ربطهم وتسخيرهم، وهذه العمليةُ صعبةٌ جدًّا وتتطلّبُ إمكانياتٍ عاليةً، لكنَّ (عمار) جرّبَ ونجحَ، فقد قامَ بقراءةِ إحدى صفحاتِ التحضيرِ الموجودةِ في ذلك الكتابِ واختيارهِ للصفحةِ كانَ عشوائيًا على ما يبدو؛ لأنَّ الصفحةَ تخصُّ تحضيرَ (شند) وهو زعيمُ قبيلةٍ من قبائلِ الشياطينِ ويتجنّبُ السحرةُ عموماً التواصلَ معه، فما بالك بتحضيره وتسخيره؟

كانَ (شند) زعيمًا لقبيلةِ (الصوارم) وهوَّ الأولُ من نسله، وقد أسَّسَ قبيلتهُ منذُ مئاتِ السنينِ ولم يخلفه أحدٌ منذُ تولّيه الزعامة؛ لأنَّه مِنَ الشياطينِ المُعَمَّرةِ ولم يتركْ زعامةَ القبيلةِ منذُ تأسيسها بالرغمِ من عددِ أبنائه وبناته الكبيرِ جدًّا.

قرأ (عمار) الطلسم الذي كان أمامه، وفي لحظات حضر عنده زعيم  
فيلة (الصوارم) (شند)، مُقيّداً ومربوطاً تحت أقدامه، وظلّ يصرخُ  
ويتوَعَّدُ (عمار) بالقتل والتكيل فخاف من المنظر، وبدأ يُدرك أنه ارتكب  
خطأً جسيماً بالعبث في تلك الطلاسم المُتقدّمة، ولم يعرف كيف يُحرّر هذا  
الشیطان ولو حرّره فهل سيغفرُ له تلك الإهانة؟

استمرَّ (عمار) بالقراءة في ذلك الكتاب على أمل الوصول لحلّ يخلّصه  
من ذلك الشيطان الذي يصرخُ أمامه، ويهزُّ أرجاء منزله بذلك الصراخ  
والعويل. وقعت عيناه على سطرٍ في إحدى صفحات الكتاب وكان السطرُ  
يقول:

امن طرق باب (جند) وقدم لها رأس (شند) سيبقى لنا سيفاً  
وسنبقى له القمد،

لم يفهم (عمار) شيئاً من هذا الكلام، لكنّه المكان الوحيد في الكتاب  
الذي ذُكر فيه اسم (شند) مرّة أخرى؛ لذلك قرّر قراءة الطلسم الذي تبع



ذلك السطر، وبعد قراءة الطلسم مباشرة ظهر أمام (عمار) شيطان ضخم  
تصاحبه امرأة جميلة وبمجرد رؤية (شند) لهما ازداد صراخه ووعيده (لعمار)  
وقال له :

«سطارُك حتى نتزع روحك من جسدك أيها المشعوذ!»

وقبل أن يكمل (شند) كلامه أخرج الرجل الضخم سيفاً فصل به رأس  
(شند) عن مكانه لتسقط جثته على الأرض بلا حراك.

أعاد الرجل الضخم سيفه لغمده، ثم أشار بيده فظهر مجموعة من  
الرجال الذين قاموا بحمل جسد (شند) وخرجوا به وبقي رأسه على  
الأرض، وعمار يقف متسمراً بفم مفتوح بين الرأس وفاصله.  
اقترب الرجل الضخم منه وقال:

«من الآن وحتى أبداً ستكون لنا السيف  
وسنكون لك الغمد»

مَدَّ الرَّجُلُ الضَّخْمُ يَدَهُ وَوَضَعَهَا خَلْفَ ظَهْرِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ  
وَدَفَعَهَا بِأَتَجَاهِ (عَمَّارٍ)، وَقَالَ لَهُ :

«هِيَ لَكَ وَمَهْرُهَا قَدْ وَصَلَ».

اكتشف (عمَّار) بعدَ زواجه من هذه المرأة أنها كانت (جُند) ابنة (مازَع)  
زعيم قبيلة الكُثبان، والشيطانُ الذي قتلَ (سند) في منزله ومهرها كانَ  
رأسَ زعيم قبيلة الصوارم؛ لأنَّ الصراعَ والتناحرَ بينَ القبيلتين على السيادةِ  
كانَ قديماً ودموياً، ولم تستطع إحداهما القضاءَ على الأخرى حتَّى تدخلَ  
(عمَّار) جهلاً منه في الصورةِ وقامَ بتحضيرِ زعيم قبيلة الصوارم.

فلم أتمالك نفسي وقاطعتُ (دَجَن)، وصرختُ في وجهه: هل أنتَ  
أحمق؟! نحنُ نهربُ من نارِ قبيلةِ يعرم لتسقطنا في نارٍ مع قبيلةِ (الكُثبان)  
بسببِ (عمَّار)؟

فضحك (دَجَن) بقوةٍ وقال : «يا حبيبي الشياطين ما تأخذ نارَ للبشر،  
فلا تخاف»

- ما الحكاية إذا؟

(دَجَن) : «فشل (الكُثبان) في حماية (عمَّار) مِنِّي كان بسبب غصن الزيتون اللي أنت حطيته عند رأسه، فهذا الغصن أعمى حراسه وعطاني الفرصة عشان أقتله، عشان كذا هم ما يعرفون من قتله، وعلى فكرة مسؤوليتهم تنتهي عند الحماية بس ولا يتبعونها لا بثأر ولا بدم»

- كيف جاؤوا معك إذا؟

وهنا سكَّت (دَجَن)، فقلتُ بنبرةٍ غاضبةٍ: تكلَّم!

(دَجَن) : «(عمَّار) بزواجه من (جُند) صار مُدَوِّن القبيلة وكل مدون له وريث، وهذا الوريث يرث مسؤوليات المُدَوِّن اللي قبله والحماية اللي كان ينعم فيها»

- وما شأني بذلك؟

(دَجَن) : «وش رايك بعد؟ قلت لهم إنك وريث (عمَّار)»

- وكيف صدَّقوك بهذه البساطة؟!

(دَجَن) : «بسيطة، شهدت الحُرَّاس بأنك جلست عنده ثلاث سنين،

وهي المدة اللازمة لتأهيل الوريث»

- لقد أمضيتها بحثًا عن طريقة لإيقافك.

(دَجَن) : «لا تصير غبي وتطيح من عيني، (عَمَّار) يا حبيبي كان يقدر يوقفني وينقذك من اللحظة الأولى اللي شافني فيها وأنا معك عند بابك لكنه اختارك عشان تكون وريثه وأجبرك تقرأ الكتب اللي في مكتبته بحيلة إنك لازم تدور اسمي وإلا بتموت ولما تأكد إنك مستعد وتشرب الحرفة رمى الكتاب اللي فيه اسمي قدامك بدون ما تتبه وأوهمك بأنك لقيته بالصدفة، وما أستغرب إذا ما يكون هو اللي مقترح عليك الكتاب عشان تقراه هذاك اليوم»  
فسكت من الصدمة، وخلال سكوتي قال (دَجَن) : «ما قلت لك أن (عَمَّار) إنسان خبيث؟ وعلى فكرة نسيت أقولك شي ثاني».

- نسيت ماذا؟ ألم تنته المصائب التي في جعبتك؟

(دَجَن) باسمًا بخبث واضعًا يده على كتفي : «المصيبة الجاية أجمل، نسيت أقول لك إن الوريث يرث الزوجة بعد فجهز نفسك الليلة يا عريس ولا تفشلنا»

ضحك (دَجَن) بعد هذا الكلام ثم اختفى...

بقيتُ في المنزلِ أضربُ كفاً بكفٍّ وأفكرُ في كلامِ (دَجَن)، والكارثةُ التي  
حلَّت على رأسي وكيفَ تلاعبَ (عمار) بي طَوالَ تلكَ السنوات.

بعدَ أكثرَ من ساعةٍ غابتِ الشمسُ تماماً وعادَ دجن وقالَ وهو يتسَمُّ :  
«جهَّزَتِ حالَكَ حقَ الليلة؟»

فَنظَرْتُ لَهُ قَائِلاً : لماذا فعلتَ بي ذلك؟

(دَجَن) : «وأنا وش سويت لك! إيش كنت تبيني أسوي لك؟ يعني  
قبيلة (يعرم) جاها خبر إنك هنا ومخططين يقتلون قرينك وأنت ما تقدر  
عليهم لو تتمغط من هنا لبكرا»

- لو كنتُ أعرفُ ما ستفعله لكنتُ اخترتُ الموت.

(دَجَن) : «بلا هياط ما كنت بتختار الموت ثم إني أنا معاك في الموضوع،  
وجماعة (يعرم) ضمونني معك في الثأر يعني ما في مهرب وأنا كنت أحتاج  
حماية مثلك، وأنا بصراحة مو بايع نفسي!»

- وما علاقتك أنت كي يحميك (الكُثبان)؟

(دَجَن) : «(الكُثبان) يحمون المدوّن وممتلكاته، فقلت لهم إني عبد  
عندك».

فابتسمت وقلتُ: لكنتي كنتُ أظنُّ أنك تريدني عبدًا عندك.

(دَجَن) : «لا، خلاص الأمور اختلفت الحين، وشف لما تكون (جُند) معاك لا تطيح الميانة معاي عشان ما ننكشف»

- لا تقلق سوف أعاملك كما تستحق.

نهضتُ وسألتُ دجن: كيف سأتزوّج من شيطانة؟

(دَجَن) : «لا تخاف ما في اختلاف كثير بين حريمنا وحريمكم، بالعكس يمكن حريمنا أهون»

فضحكْتُ ولم أكن أريدُ أن أضحك، لكنَّ (دَجَن) الخبيث كان كلامه  
ساحرًا، فقلتُ له:

ولكنتي لم أتزوّج من قبل، ولا أعرفُ نساء البشر كي تُقارنَ لي بهنّ  
فقالَ : «لا تخاف ما راح تجيك إلا متشكلة على هيئة بشر فما راح تحس  
بفرق»

أجبتُه بحسرة :

«هذا ليس همّي صدقني ..»



## ليلة زفافي على (جند)

جاء الليلُ ولا أعرفُ إن كان شعوري بالخوف طبعيًا أم غيرُ مبرر، وهل هو خوفُ كلِّ رجلٍ في ليلةِ زفافه أم خوفٌ مِنَ الشيطانةِ التي ستشاركني الفراشَ هذه الليلة؟

في منتصفِ تفكيري هذا قاطعني صوتٌ قادمٌ مِنَ الخارجِ وقال:

«اخرج أيتها المدون»

خرجتُ ووجدتُ ثلاثةً مِنَ الحُرَّاسِ ومعهم (دَجَن)، يرافقُهم شيطانٌ ضخْمٌ يُمسِكُ في يدهِ مخطوطةً وعلى وجهِ (دَجَن) ارتسمتْ ضحكةٌ صفراءُ خبيثةٌ، هي ذاتُها التي رأيتها على وجهه عندما قابلتهُ أوَّلَ مرَّةٍ في المقبرة. تقدَّم الرجلُ الضخمُ الذي كان يُمسِكُ بالمخطوطةِ ويكبرني حجماً بثلاثِ مرَّاتٍ، وقال لي:

«نحنُ عشيرةُ (الكشبان) نُقدِّمُ لكِ الأميرةَ (جند) رفيقةً تُلازمُكِ حتَّى مماتكِ..»

سكتُ، ونظرتُ بينهم فلم أجدُ إلا الذكور ولم أرَ تلك الأميرة التي  
كانَ يتحدثُ عنها، ثمَّ أكملَ الرجلُ الضخمُ كلامه: ستكونُ تحتَ حمايةِ  
العشيرةِ كما أمرَ سيِّدُها (مازِع)، وستُحاسبُ مثلنا على أيِّ تقصيرٍ أو خيانةٍ  
تجاهَ القبيلة، فقاطعهُ صوتُ امرأةٍ ظهرتُ من خلفه فجأةً ووقفتُ أمامي:  
كفى يا (جسار)، سترعبُ الفتى.

فردَّ الرجلُ الضخمُ الذي اتضحَ أنَّه (جسار) ابنُ (مازِع)، والذي كانَ  
يخطفُ فتياتِ قريةِ (سالم) و(عمار): «لكنَّ يا (جند) هذهِ أوامرُ أبينا ويجبُ  
أنْ نُلقيها على مسمعِ المدُون.»

فابتسمتُ ووضعتُ أناملها خلفَ أذني وقالت:

«أنا سأخبرُهُ بالبقيةِ الليلةَ ..»

أشارَ (جسار) بيدهِ للحُرَّاسِ الذينَ كانوا معه لكي ينصرفوا، ثمَّ لحقَ  
بهم بعدها بثوانٍ، و(جند) تحدَّقَ بوجهي الذي بدا عليه الارتباكُ، أدركتُ  
وقتَها أنَّها لم تكنُ تريدُ أحداً بالجوار، قرأتُ ذلكَ بعينيها الواسعتين. وخلالَ  
عبثها بأناملها التي وضعتها خلفَ رأسي.

قَالَ (دَجَن): هل تأمرني يا سيدي بالانصراف؟

فلطمته (جُند) على وجهه لطمَةً قَوِيَّةً، وَقَالَتْ لَهُ بِنبرةٍ حَادَّةٍ: اذْهَبْ مِنْ هُنَا أَيُّهَا الْأَمْرَدُ!

نَظَرَ (دَجَن) بِغَضَبٍ نَحْوَ جُنْدٍ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُومَ بِشَيْءٍ أَحْمَقَ فَقُلْتُ لَهُ: يُمْكِنُكَ الْانْصِرَافُ الْآنَ.

رَحَلَ (دَجَن) وَعَلَى وَجْهِهِ ارْتَسَمَتْ عِلَامَاتُ الْغَضَبِ، وَلَمْ يُتَزَلْ عَيْنُهُ عَنْ (جُنْد) الَّتِي عَادَتْ تُدَاعِبُ شَعْرِي وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ سَنَبَقِي فِي الْخَارِجِ كَثِيرًا؟

دَخَلْنَا أَنَا وَ(جُنْد) إِلَى الْمَنْزِلِ، وَكَانَتْ تَسِيرُ فِي أَرْجَائِهِ وَكَأَنَّهَا تَأْلَفُهُ وَتَعْرِفُ كُلَّ زَاوِيَةٍ فِيهِ، أَمْسَكَتْ بِأَحَدِ الْكُتُبِ عَلَى الطَّائِلَةِ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ وَفَتَحَتْهُ وَبَدَأَتْ تَتَصَفَّحُ فِيهِ وَقَالَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ: أَنْتِ صَغِيرٌ عَلَى أَنْ تَكُونِ مُدَوِّنًا...

فَقُلْتُ لَهَا وَأَنَا أَبْتَسِمُ بِتَوَتَّرٍ: رَبِّمَا لَأَنِّي مُحْظُوظٌ.

أَغْلَقْتُ (جُنْد) الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، وَتَجَهَّمتُ وَجْهَهَا وَنَظَرْتُ بِاتِّجَاهِي وَقَالَتْ: مَاذَا تَقْصِدُ بِمُحْظُوظٍ؟!

فَقُلْتُ بِخَلِيطٍ مِنَ الرَّعْبِ وَالتَّوَتَّرِ تَغْطِيهِ ابْتِسَامَةٌ: لَا شَيْءَ، لَا شَيْءَ.

ابتسمت، فابتلعت ريقِي مِنْ الارتياحِ الْمُؤَقَّتِ ولم أنفَوْهَ بكلمةٍ، بلْ  
حدَّقْتُ بها بينما كانت تقتربُ مِنِّي بخطواتٍ بطيئةٍ حتَّى وصلتْ إليَّ وقالتُ:  
هل أنت خائفٌ مِنِّي؟

- لا.

(جُند): هل أنت مُتزوِّجٌ في عالمك؟

- لا، غيرُ متزوِّجٍ.

(جُند): لماذا؟

- ما زلتُ صغيراً على الزواجِ، لا أعرفُ.

(جُند): وما هو العمرُ المناسبُ للزواجِ عندكم؟

سكتُ ولم أجِبْ على سؤالِها ..

توجَّهت (جُند) لغرفةِ نومِ (عمَّار)، وجلستُ على فراشِ زوجها السابقِ  
وأشارتُ بأناملِها لي للجلوسِ بجانبِها، جلستُ في الطرفِ الآخرِ من  
الفراشِ فاقتربتُ مِنِّي ووضعتُ يدها على رأسي وبدأتُ تعبثُ في شعري  
مرَّةً أخرى بتلكِ الأناملِ الطويلةِ وقالتُ: هل أنت مُتوتِّرٌ؟

- بعض الشيء.

(جند): لا تخف لتحدث قليلاً؛ فالوقت ما زال مُبَكِّراً على إتمام الزفاف.

أحسستُ في تلك اللحظة أنني العروس وليس العريس؛ فقد كانت مُسَكَّة بزمَامِ الأمور، وتحكمتُ في كل شيء وأنا لم يكن همي ومصدر قلقي سوى كلمة أقولها بالخطأ تُعكِّرُ مزاجها وتؤدي بحياتي.

لم أتحدث في البداية، فلم أكن أعرف ما هي الموضوعات المناسبة التي يمكن مناقشتها مع شيطانة لكن الجمود بيننا انكسر عندما قالت: هل تجدني جذابة؟

- ماذا تقصدين؟

(جند): يمكنني التشكلُ بشكلٍ آخرٍ لو أحببت.

- لا أبداً أنت جميلة بما يكفي.

(جند): ماذا تقصدُ بما يكفي؟

- لا أعرف، لماذا تتربصين لكل كلمة أقولها؟

فضحكت (جُند) بقوة، وفي تلك اللحظة تذكّرت ضحكتها، لقد كانت  
تلك المرأة التي سمعتها عندما كنتُ محبوسًا في المكتبة والتي أنكرَ (عمار) أنَّه  
كان يقضي معها تلك الليالي.

أجابت (جُند) على سُؤالي وهي مستمرة في الضحك وقالت: أنا لا  
أترى بكلامك، لكنك تُختلف.

- مُختلف! كيف؟

(جُند): لا أعرف، لست كباقي البشر الذين قابلتهم في حياتي.

- رُبّما لم تقابلي عددًا كافيًا لتحكمي.

(جُند): رُبّما ..

أمضينا ساعاتٍ في الحديث، تحدّثنا في أمورٍ كثيرةٍ حكّت هي عن عالمها  
وحَدّثها عن عالمي وكانت تضحك بقوة عندما كنت أحكي لها عن نظام  
الزواج عندنا، وخاصةً عندما أخبرتها عن المصاعب التي يواجهها الشابُّ  
في بلدي خصوصًا إذا عقد العزم على الزواج، فقالت وهي تضحك: نحنُ  
لا نفكرُ بهذه الطريقة أبدًا فالزواجُ عندنا مُختلف، وخاصةً بنات القبائل  
الكبيرة مثلنا.



فقلتُ لها: وكيفَ يختلفُ؟

(جُند): بناتُ زعماءِ القبائلِ لا يحقُّ لهنَّ الاختيارُ، لذلكَ تجدُ أنَّ أغلبهنَّ يمتزْنَ لهنَّ عُشاقًا منَ الشياطينِ وأحيانًا منَ الإنسِ كي يمارسنَ حريرتهنَّ التي سُلِبَتْ منهنَّ بسببِ تلكَ العاداتِ البائِدةِ.

- وهل كانَ لكِ عشيقٌ قبلَ (عمار)؟

(جُند): لا؛ لأنَّ أبي يشدُّ عليَّ كثيرًا ويفرقني بالحُرَّاسِ كي لا أغيبَ عن ناظرِهِ، لذلكَ أحسَدُ (جسار) على حُرَّيته.

فسألْتُها سؤالًا وكنْتُ وقتها أخشى ردَّةَ فعلِها منه، لكنني استجمعتُ شجاعتي خاصَّةً بعدَ سماعي ضحكاتها وقلتُ: قرأتُ في إحدى المدوناتِ أنَّ أباكِ نفى (جسار) وعاقبهُ بتقييدهِ ليخدمَ السحرةَ، وقد قامَ (جسار) بالتخلصِ من قيدهِ بقتلِ الشيطانِ الذي قيَّده، هل هذا صحيحٌ؟

قالت: نعم، لكنَّ (جسار) لم يقتلِ ذلكَ الشيطانَ الذي قيَّده، لم يكنِ ليستطيعَ لا بدًّا منَ أنَّ شيطانًا آخرَ قد ساعده.

فقلتُ -وأنا على علمٍ سابقٍ بأنَّ (دَجَن) هو من ساعدَ جسار- كما أخبرني حارسُ المقبرة: ومنَ تعتقدينَ قامَ بمساعدةِ جسار؟

(جُند) : ليتني أعرفُ كي أقتلهُ.

فقلتُ بتوترٍ: ولماذا تريدُ قتلَ من خلّص أخاك من قيده؟

(جُند) : لأنَّ (جسار) عادَ لأبي وكسبَ رضاَهُ وأقنعه بأن يساعدهُ بشرطِ  
أن يقتلَ تلكَ الفتاة التي عشقها (جسار).

- وهل قتلها؟

(جُند) : نعم، قتلها هي وأهلها وكلُّ من كانَ حولها في تلكَ الليلةِ  
الدمويّةِ المشؤومةِ، ولم يكتفِ بذلك، بل أحضرَ رأسها لأبي أيضًا فقط  
لكسبِ رضاهِ.

- وما علاقةُ رغبتكِ بقتلِ من ساعدَ (جسار) بما حدث؟

(جُند) : لو لم يساعدهُ لما ماتتَ تلكَ الفتاةُ المسكينَةُ وأهلها، ولا خسرتُ  
أنا حبَّ واهتمامَ أبي الذي بدأ يراني بعدَ اختفاءِ ذلكَ المجنون من الصورةِ،  
فمع وجودِ (جسار) في العشيرةِ أنا أختفي تمامًا وكأنَّ ليسَ لي وجودٌ.

- وهل يهتمُّ أمركَ تلكَ الفتاة؟

(جُند) : بصراحةٍ لا، لكنني لا أحبُّ الظلمَ لأنني أعرفُ معناه وأتجرَّعُ  
من كأسهِ كلَّ يومٍ.

ـ ماذا تقصدين؟

(جُند): هل تظنُّ أَنَّهُ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يَخْتَارَ لَكَ أَحَدٌ شَرِيكَ حَيَاتِكَ،  
ويجبرَكَ على الزواجِ منه وإرضاءِ رَغْبَاتِهِ رَغْمًا عَنْكَ؟ هل تظنُّ عَلَيَّ أَنَّ مِنَ  
السَّهْلِ أَنْ أُزِفَّ عَلَى كَهْلٍ مِثْلِ (عَمَّارٍ) رَغْمًا عَنِّي؟

ـ أَلَمْ تَسْتَطِيعِي الرِّفْضَ؟

صَحِكَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ وَقَالَتْ: بَدَأْتُ أَشْكُ أَنَّكَ مُدَوِّنٌ!  
تَوَثَّرْتُ وَخَفْتُ أَنْ أَنْكَشِفَ فَقُلْتُ لَهَا ضَاحِكًا: أَنَا أَمَّا زُحِكُ فَقَطْ!

فَتَوَقَّفْتُ عَنِ الضَّحِكِ، وَوَضَعْتُ عَيْنَهَا بَعَيْنِي وَيَدَهَا خَلْفَ رَأْسِي  
وَقَالَتْ: وَمَتَى سَيَنْتَهِي الْمُزَاحُ أَثِمَّا الْمُدَوِّنُ كَيْ تُتِمَّمَ زَوَاجُنَا؟  
نَهَضْتُ مِنَ السَّرِيرِ قَائِلًا: إِذَا كُنْتُ لَا تُرِيدِينَ ذَلِكَ يَا (جُند) فَلَنْ أُجْبِرَكَ؛  
فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عِلَاقَتِي الْأُولَى مَعَ شَخْصٍ مُجْبُورٍ عَلَى الْبَقَاءِ مَعِي.

قُلْتُ تِلْكَ الْعِبَارَةَ وَأَنَا فِي قَلْبِي أَقُولُ: أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ مُجْبُورَةً فَعَلًا وَتَتَهَنَّرَ  
الْفُرْصَةَ وَتَرْحَلِ...

لَكِنَّهَا أَمْسَكَتْ يَدَيَّ وَقَالَتْ: لَسْتُ مِثْلَ (عَمَّارٍ)، وَأَنَا لَمْ أَعُدْ تِلْكَ الشَّيْطَانَةَ  
الَّتِي تَمَانَعُ مُعَاشَرَةَ الْمُدَوِّنِينَ.

بَاتَتْ (جُنْد) تِلْكَ اللَّيْلَةَ عِنْدِي وَأَتَمَمْنَا الزَّوْاجَ.

أَمْضَيْنَا مَعْظَمَ اللَّيْلِ مُسْتَبْقِظِينَ، وَلَمْ تَغْفُ عَيْنَايَ إِلَّا قَبْلَ الْفَجْرِ بِقَلِيلٍ  
خِلَالَ مُدَاعَبَةِ جُنْدٍ لَشَعْرِي، وَلَمْ أَعْرِفْ سِرَّ اهْتِمَامِهَا الشَّدِيدِ بِشَعْرِي لَكِنِّي  
لَمْ أَكُنْ أَمَانَعُ.

اسْتَبْقِظْتُ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِدَقَاقَتَيْنِ عَلَى صَوْتِ (جُنْد) وَهِيَ فِي  
طَرِيقِهَا لِلْخُرُوجِ فَقُلْتُ لَهَا: إِلَى أَيْنَ؟

«سَأَرْحَلُ الْآنَ قَبْلَ وَصُولِ مُسْتَرْقِي السَّمْعِ ..»

- مَنْ؟

(جُنْد): هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ لَكَ كَمُدَوِّنٍ، وَسَوْفَ تَسْمَعُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ الشُّرُوقِ  
وَالْغُرُوبِ بَعْضَ الْهَمْسَاتِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَ أَذْنِكَ، وَلَنْ تَتَوَقَّفَ هَذِهِ  
الْأَصْوَاتُ حَتَّى تَدَوِّنَهَا عَلَى الْوَرَقِ.

- كيف أدونها وأنا لم أُجرب من قبل؟

(جند): أعرف؛ لذلك نبهتُك وحاول ألا تفكر في الكلام الذي تسمعه فقط، دونه بلا تفكير في المدونة الخاصة بقبيلتنا.

- أين هي؟

فأشارت لذلك الكتاب الأحمر الذي كنتُ أشاور نفسي على فتحه في السابق، وعندما التفتُ لأسأَلها سؤالاً آخر اختفت..

## الريشة الثقيلة

بعد اختفاء (جُند) بدأت بارتداء ملابسي، وخلال ذلك دخل عليّ (دَجَن) كعادته مُبتسماً بابتسامة صفراء، وهو يقول : «ها وش سويت يا عريس؟»

فقلتُ له بسخرية: لماذا لم تسرقِ النظر؟

(دَجَن) : «ياخي معلوماتك محدودة عن عالمنا»

- كيف؟ اشرح لي.

(دَجَن) : «حنّا ما نقدر نراقب الي نبي، وبعض الشياطين عندها حصانة ضد الشياطين الثانية خاصة الي تقل عنها في المرتبة، أقصد أن خلوتك البارحة مع (جُند) ما يقدر شيطان أقل منها رتبة يكون حولها لأنها بتحس فيه ويتذبحه»

- كيف تتحدّثُ معي هكذا بحُرّيّة، ألا تخافُ أن يسمعنا أحدُ الحُرّاس؟

(دَجَن) : «الحُرّاس يا حبيبي ما يقدرّون يسمعون الكلام إذا ما وجّه

لهم، وهذا جزء من عملهم»



لبستُ آخرَ قطعةٍ من ملابسِي وقلتُ له : ما هي قصَّتكَ مع (جسار)،  
ولماذا لم يقتلك؟

(دَجَن) : «جِسار شيطان مجنون وما ذكر شيء من اللي صار بيني وبينه،  
لدرجة أني لما شفته يوم رحت لمكان تجمع قبيلة (الكشبان) عشان أطلب  
الحماية لي ولك قابلني، وقال لي : «مَنْ أنت، ولم أتيت؟» .. فعرفت أن عقله  
يفوت، ولا يتذكر شيء من اللي صار بيننا لما حررتَه»

فقلتُ (لَدَجَن) : هل تعلمُ أَنَّ (جُند) تريدُ قتلَكَ؟

فقال باستغراب : «ليه بعد؟»

فرويتُ له القصةَ التي قالتها لي (جُند) ..

(دَجَن) : «بدينا بمشاكل الحريم، ما عليك منها بس وانتبه لنفسك»  
هَمْ (دَجَن) بالرحيل فقلتُ له : انتظرْ لديَّ سؤالٌ يدورُ في ذهني منذُ  
مُدَّة، ولا أعرفُ أحداً يمكنهُ الإجابةَ عليه غيرُكَ.

(دَجَن) : «قُل وش عندك»

- مَنْ هو الرجلُ الذي قابلتهُ في القريةِ في زيارتي الثانيةِ (لعمَّار)، والذي  
أخذني لبيتهِ وبعدها لحقَ بي ليوصلني لبيتِ (عمَّار)؟

تغيّر وجه (دَجَن) وقال : «وش دراني أنا»

- لديّ إحساس بأنّك تعرفه.

(دَجَن) : «وليه تسأل طيب؟»

- مُجرّد سؤال..

(دَجَن) : «انسَ الموضوع وحاول تنسى هذا الرجال»

- كيف أنساه؟

فصرخ وقال: انساه ويس ياخي!

ثمّ رحل واختفى..

بعد رحيل (دَجَن) بدقائق بدأت أسمع تلك الوسوس التي أخبرتني عنها (جُند)، وفعلاً كانت مُزعجة جداً ولم أستطع إخراجها من رأسي، فقد كانت تلك الأصوات مُتواترة، وكأنّ عشرة أشخاص بأصوات مُختلفة يهمسون في أذنيّ في الوقت نفسه، كِدْتُ أجنّ فتذكّرتُ ما قالته (جُند) عن تدوين ما أسمعه على الورق كي تتوقّف الأصوات، فذهبتُ مُسرّعاً للكتاب

أَوِ الْمُدَوَّنَةِ الْحُمْرَاءِ وَفَتَحْتُهَا حَتَّى وَصَلْتُ لَصَفْحَةٍ بَيْضَاءَ، وَأَمْسَكْتُ بِالْقَلَمِ  
وَحَاوَلْتُ الْكِتَابَةَ لَكِنْ لَمْ يَظْهَرْ شَيْءٌ عَلَى الْوَرَقِ، فَجَرَّبْتُ بِالْقَلَمِ نَفْسَهُ عَلَى  
يَدَيَّ وَمِلَابَسِي فَكَتَبْتُ بِسَهْوَةٍ، عَدْتُ مُحَاوَلًا الْكِتَابَةَ فِي الْمُدَوَّنَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ شَيْءٌ،  
كَنتُ أَحَاوِلُ الْكِتَابَةَ وَالْوَسَاوِسُ تَنْخَرُ فِي أُذُنِي وَعَقْلِي حَتَّى بَدَأَ الصَّدَاعُ يَفْكُكُ  
رَأْسِي وَيَفْتِكُ بِهِ، فَبَدَأْتُ بِالصَّرَاخِ لَكِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَوْ يَسْتَجِبْ لِي أَحَدٌ، وَبَعْدَ  
قَلِيلٍ تَذَكَّرْتُ أَنَّ (عَمَّارَ) كَانَ يَكْتُبُ بِرِيشَةٍ وَمَحْبَرَةٍ، وَلَمْ أَرَهُ يَكْتُبُ يَوْمًا بِقَلَمٍ  
عَادِيٍّ، فَذَهَبْتُ لِلْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَحْتَفِظُ فِيهِ بِالرِيشَةِ وَالْمَحْبَرَةِ وَأَخْرَجْتُهَا  
وَبَدَأْتُ بِالْكِتَابَةِ، وَفَعَلًا ظَهَرَتْ أَمَامِي الْحُرُوفُ وَالْكَلِمَاتُ وَيَقِيتُ عَاكِفًا عَلَى  
الْوَرَقِ الْأَبْيَضِ أَكْتُبُ وَأَكْتُبُ حَتَّى تَوَقَّفَتِ الْوَسَاوِسُ.

كَتْنَا فِي مَوْسَمِ شِتَاءٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ الشَّمْسَ أَشْرَقَتْ إِلَّا مِنْ نَوْرِهَا؛ لِأَنَّ  
الْغَيْمَ كَانَ يُغَطِّيهَا مَعْظَمَ سَاعَاتِ الْيَوْمِ ..

الْمَطَرُ وَصَوْتُ تَسَاقُطِهِ كَانَ لَحْنًا يُعْزَفُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ وَعَلَى  
أَطْرَافِ نَوَافِذِهِ، وَفِي اللَّيْلِ لَمْ أَكُنْ أَسْتَخْدِمُ الْكَهْرِبَاءَ؛ فَقَدْ كَانَ (عَمَّارَ) يَعْتَمِدُ  
عَلَى ضَوْءِ الْقَنَادِيلِ وَالشَّمْعِ الَّتِي كَانَ يَتَزَوَّدُ بِهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَخْرُجُ فِيهَا.

بعد ما انتهيت من تدوين وساوس الفجر تصفحت تلك المدونة الضخمة، وبدأت أقرأ فيها كي يكون لي معرفة أكثر بمن أتعامل معهم. قرأت في المدونة الكثير من الأخبار والأحداث التي تخص قبيلة الكُثبان، وتعرفت على بعض أسرارهم وبعض الأحداث المؤثرة في تاريخهم على الرغم من أن ما كان مكتوباً لم يكتب بطريقة تقليدية للكتب، لكنني في ذلك الوقت ألفت هذا النوع من الكتابة، وتعودت عليه وأصبحت أستطيع أن أستخلص منه العلم والمعلومة التي أريد.

قرأت في المدونة عن عودة (جسار) لأبيه، وكيف ساعده أبوه عندما أحضر (جسار) رأس تلك الإنسية التي عشقها، وكتب في المدونة أن (جسار) فقد عقله بعد ما قتلها لكنه كان مضطراً لذلك؛ كي يوقف مطاردة أبيه وعشيرته له ويستعيد احترامهم الذي خسرهُ بسبب عشقه لتلك الفتاة، كذلك قرأت عن التاريخ الدموي بين قبيلة (يعرم) الملقين بـ (الأباطحة) وقبيلة (الكُثبان)، وكذلك الصراع المريع والطويل بين (الكُثبان) وقبيلة (الصوارم)، وهي القبيلة التي كان يرأسها (شند) قبل أن يحضره (عمار) ويطيح برأس (مازع) في بيته.

تكلّمت المدونة كثيراً عن (مازِع) زعيمِ عشيرة (الكُتبان) والد (جسار) و(جُند)؛ فقد كانت أكثر الوسائس تأتي في وصف تحركاته ويطولاته وأنا الوسائسُ الباقيةُ فكانت تتوزّع على أحوالِ العشيرة.

بحثت في المدونة عن معلوماتٍ أو رواياتٍ عن (جُند) فلم أجد إلا القليلَ بالمقارنة مع ما يُكتب عن (جسار) ووصلاته وجولاته مع فتياتِ الإنس. ذكرت المدونة وتكلّمت في بعض صفحاتها عن ناثِر قويّ يبحث عن الانتقام من العشيرة، وكان في المدونة دائماً وصفٌ لتحركاته ومواجهاته مع أفراد القبيلة الذين كانوا يتحدثون عنه بخوفٍ ورهبة؛ لأنّ كلَّ مَنْ واجهه قُتِلَ بوحشية.

كانَ هذا الناثِرُ يُلقَّب (ملاس) وقد راحَ ضحيته الكثير من أفراد قبيلة (الكُتبان)، لكن لم يتّضح في المدونة سببُ هجومه المنظم والمتكرّر عليهم أو ماذا كان يريد منهم.

انقطعَ حبْلُ أفكاري وأنا أقرأ المدونة الحمراء عندما دخلَ عليّ (دَجَن) عند الظهر تقريباً وقال: «شخبارك» اليوم؟  
- رأسي يؤلمني وأحسُّ بصداعٍ رهيب.

(دَجَن): «عادي، كل مدون يصدع أول مرة لكن بعدها بتعود»

- ما الذي جاء بك الآن؟

(دَجَن) : «بصراحة عندي لك خبر ما راح يسعدك»

فقلتُ بتوترٍ: ماذا؟ قلْ مَا عندك!

(دَجَن) : «قبيلة (الأباطحة) بعد ما عرفوا إنك تعينت مدوّن لقبيلة

الكُثبان، وبالتالي حمايتهم لك كانت مؤكدة راحوا لقبيلة (الصوارم) قبيلة

(سُند) السابقة والي تولى زعامتها الآن ابنته (إينار) وعقدوا معهم هدنة

وتحالف ينتهي بموتك أو موت زعيم (الكُثبان) (مازع)».

- وما المشكلة؟

(دَجَن) : «شكلك تمزح، صح؟! قبيلة (الكُثبان) صحيح إنها قوية

ويمكن تكون أقوى قبيلة موجودة الآن لكنها ما راح تتنفس لما تواجه

تحالف مثل تحالف (الأباطحة) و(الصوارم) وما راح تدخل حرب خاسرة

عشان سواد عيونك»

- ماذا يعني ذلك؟

(دَجَن) : «يعني عظم الله أجرك في نفسك».



- وما العمل الآن؟! عليك إيجاد حل لي، فأنت من وضعتني في هذا المأزق!

بدأت عيناى ترمشان بقوة عندما بدأت بالصراخ على (دجن)، فقال لي وهو يبتسم: «الظاهر قرينك مو عاجبه الكلام»

- دعك منه الآن، جدي حلاً

(دجن): «مالك إلا إنك تهرب»

- أهرب؟! إلى أين؟! .. هل تريد أن يكون رأسي مطلوباً ل قبيلة (الكثبان) أيضاً؟

(دجن): «مالك إلا هذا الحل»

ازداد رمش عيني وأنا أتحادث بانفعال، وكان (دجن) يعلق وهو يضحك بتعليقات سخيفة كقول: «قرينك شكله خايف أو معصب»

- لا تضيع الوقت، هل يوجد حل آخر غير الهروب؟

(دجن): «ما أشوف في الوقت الحالي غير هذا الحل»

- لم أر من حلولك إلا المصائب، اتركني الآن لكي أفكر بحل آخر.

خَرَجَ (دَجَن) وَتَوَقَّفَتْ عَيْنِي عَنِ الْإِرْمَاشِ الْمَتَسَارِعِ، وَبَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي حَلِّ حَتَّى غَلَبَنِي النَّوْمُ، فَاسْتَيْقَظْتُ قُبَيْلَ الْمَغْرَبِ عَلَى صَوْتِ وَسَاوِسِ الْغُرُوبِ الَّتِي أَفْزَعَتْنِي مِنْ نَوْمِي وَلَمْ تَتَوَقَّفْ حَتَّى دَوْنُهَا، وَقَرَأْتُ فِي طَيَّاتِهَا عَنِ الْإِتِّفَاقِ بَيْنَ (الْأَبَاطِحَةِ) وَ(الصَّوَارِمِ)، وَتَنَامِي قَلْقِ قَبِيلَةِ (الْكُثْبَانِ) مِنْ هَذَا التَّحَالِفِ خَاصَّةً مَعَ تَزَايِدِ هَجَمَاتِ الثَّائِرِ (مَلَّاسِ)، وَالَّذِي بَدَأَ يُطِيحُ بِبَعْضِ الْأَسْيَادِ مِنَ الْقَبِيلَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمُ الْوَقْتُ وَالْقُوَّةُ الْكَافِيَةُ لِمُوَاجَهَةِ مِثْلِ هَذَا التَّحَالِفِ، أَدْرَكْتُ وَقْتُهَا أَنَّهُ عَلَيَّ الرَّحِيلُ.

جَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ أَفَكِّرُ حَتَّى الْمَسَاءِ، وَعِنْدَمَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَتْ (جُنْد) لِقَضَاءِ اللَّيْلِ مَعِي وَكَانَتْ هَيْشُهَا هَذِهِ الْمَرَّةُ مُتَغَيِّرَةً وَلَوْ شَعِرْهَا مُخْتَلَفًا، كَانَتْ (جُنْد) لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ (جُنْد)، بَلْ كَانَتْ أَكْثَرُ فِتْنَةً مِنَ اللَّيْلِ السَّابِقَةِ، اقْتَرَبَتْ مِنِّي وَرَأَتْ نَظَرَاتِ الْإِنْبِهَارِ وَالتَّعَجُّبِ فِي عَيْنِي وَقَالَتْ: (عَمَّارُ) لَمْ يَرْنِي بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ مِنْ قَبْلِ لَكُنْتِي أُرِيدُكَ أَنْتَ أَنْ تَرَانِي بِهَا. أَمْضَيْتُ مَعَهَا بَضْعَ سَاعَاتٍ وَقَبْلَ حُلُولِ الْفَجْرِ سَأَلْتُهَا وَقُلْتُ: «مَنْ هُوَ (مَلَّاسِ) هَذَا يَا (جُنْد)؟»

فَأَدَارَتْ رَأْسَهَا نَحْوَ الْبَابِ وَقَالَتْ بَهْدْوَةٍ: وَلِمَاذَا تَسْأَلُ؟

- اسمه تَكَرَّرَ كثيرًا في المَدُونَةِ، لكنني لا أعرفُ الكثيرَ عنه، ولم أجِدْ في الكتبِ الموجودةِ هنا شيئًا يتكلَّمُ عنه غيرَ المَدُونَةِ الخاصَةِ بقبيلتكم.

(جُند): ولا نحنُ نعرفُ عنه الكثيرَ، كلُّ ما نعرفه أَنَّهُ قرينٌ مؤمنٌ وهذا النوعُ أَشدُّ أنواعِ الأقرانِ قوَّةً وأقوى بكثيرٍ من أيِّ قرينٍ مُتمرِّد.

- حتَّى أريك؟

(جُند): حتَّى أبي..

- ولماذا يطارِدُكم هذا القرينُ المؤمنُ؟ فقد قرأتُ في المَدُونَةِ أَنَّهُ قتلَ الكثيرَ منكم، وبدأ مُؤخَّرًا بقتلِ بعضِ الأسيادِ من قبيلتكم.

(جُند): مِنَ النادرِ جدًّا أن يبيحَ قرينٌ وبالذات مؤمنٌ عن الثأرِ لصاحبه، لكنَّ (ملاس) كان مُختلفًا.

- هل (ملاس) هذا قرينٌ (سالم) أخِي (عمَّار)؟

(جُند): نعم، ومن حرَّره كان يريدُ منه قتلَ (سالم) لكن حدثَ العكسُ تمامًا.

- كيف؟ لقدِ اختلطتِ الأمورُ عليّ.

(جُند): عندما ذهبَ (سالم) للعاصمةِ باحثًا عن (عمَّار) لم يجدهُ إلا

عندما لمحهُ في السوقِ مُصادفةً وهربَ منه ذلك اليوم، فلما قرَّرَ سالمُ البقاءَ في العاصمةِ حتَّى يجدَ أخاهُ قرَّرَ أن يبيتَ تلك الليلةَ في العاصمة، وفعلاً باتَ في أحدِ الأماكنِ المُستأجرة، لكنَّهُ لم يعلمْ أنَّ خبرَ وصولهِ قد وصلَ للساحرِ الكبيرِ الذي كانَ (عمَّار) يعملُ عندهُ، فأرسلَ الساحرُ (جسار) له ولم يأمرهُ بقتله لكنَّهُ قالَ له: حرِّرْ قرينَهُ وقرينَهُ سيقتلهُ نيابةً عنَّا، لا نريدُ دمهَ على أيدينا. وفعلاً زارَ (جسار) وهو مُتشكِّلُ (سالم) في مسكنهِ ليلاً، وعندما فتحَ سالمُ البابَ قرأَ (جسار) عليه أحدَ طلائعِ تحريرِ القرينِ ورحل.

- وماذا حدثَ بعدَ ذلك؟

(جند): اتَّضحَ أنَّ قرينَ (سالم) قد أسلمَ منذُ مُدَّةٍ مُتأثراً (بسالم)، فهو بحبِّهِ جدًّا ولا تيةَ لديه في أذيتِهِ.

- وما المشكلةُ إذا؟

(جند): قرينُ (سالم) ظهرَ أمامَهُ وحاولَ مُعانقتهُ مِنَ الفرحِ، فطارَ عقلُ (سالم) مِنَ الخوفِ وبدأ بالصراخِ طوالَ الليلِ.

- نعم صحيحٌ، لقد سمعتُ هذا الكلامَ مِنْ قبلِ.

أَكْمَلْتُ (جُنْد) حَدِيثَهَا: هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ قَرِينَ (سَالِم) جَلَسَ بِجَوَارِهِ طِيلَةَ السَّنَوَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي كَانَ فِيهَا صَاحِبُهُ مَرِيضًا إِلَى سَاعَةِ وَفَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاةِ (سَالِم) أَقْسَمَ (مَلَّاس) أَنْ يَأْخُذَ بَثَّارِ صَاحِبِهِ، وَأَنْ يَضَعَ رَأْسَ (جَسَار) عَلَى قَبْرِهِ.

- لَذَلِكَ عَادَ جَسَارٌ يَتَوَسَّلُ لِأَبِيكَ بِأَنْ يَصْفَحَ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ الْحَمَايَةَ.

(جُنْد): بِالضَّبِطِ، فَبِمَجَرَّدِ أَنْ سَمِعَ (جَسَار) بِقَسَمِ قَرِينِ (سَالِم) بِأَخْذِ الثَّارِ مِنَ الَّذِي حَرَّرَهُ وَتَسَبَّبَ فِي جُنُونٍ وَمَرَضٍ (سَالِم) أَدْرَكَ أَنَّهُ هَالِكٌ؛ فَهُوَ لَنْ يَسْتَطِيعَ التَّفَوُّقَ عَلَى قَرِينِ مُؤْمِنٍ مَهْمَا فَعَلَ، وَكَانَ يَحْتَاجُ حَمَايَةَ الْقَبِيلَةِ لِرَدْعِ (مَلَّاس).

- وَلَذَلِكَ كَرِهْتَ مِنْ حَرَّرَ (جَسَار)؟

(جُنْد): نَعَمْ، فَقَدْ كُنَّا قَدِ ارْتَحْنَا مِنْ (جَسَار) وَمَشَاكِلِهِ عِنْدَمَا كَانَ مُقَيَّدًا، لَكِنْ بَعْدَ تَحْرِيرِهِ لَمْ نَرَ غَيْرَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَجْرُ الْقَبِيلَةَ لِلْهََاوِيَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

- وَلِمَاذَا لَا تَقْتُلِينَ (جَسَار) بِنَفْسِكَ إِذَا؟

(جُنْد): قَتْلُ مَنْ حَرَّرَهُ لَنْ يَضُرَّنِي فَأَنَا أَمِيرَةٌ وَلِي حَصَانَةٌ، لَكِنْ قَتْلُ أَخِي وَهُوَ أَمِيرٌ مِثْلِي سِيرْمِي بِي إِلَى التَّهْلُكَةِ وَسَيَجْلُبُ الْعَارَ لِأَبِي.

- وأين (ملاس) الآن؟

(جُند) : لا نعرفُ لأنَّ أكثرَ الشياطينَ الذين نرسلهم للبحثِ عنه لا يقومونَ بمهامهم خوفاً منه، لكنَّ هناكَ وساوسٌ تقولُ إنَّه عادَ وسكنَ بيتَ (سالم) ليقى مع أطفالٍ وأحفادٍ (سالم).

وفي تلكَ اللحظةِ تذكرتُ ذلكَ الرجلَ الذي نصحني في المسجدِ وأوصلني لبيتِ (عمار)، وقلتُ في نفسي : «هل مِن الممكنِ أن يكونَ هو (ملاس)؟»

سألتُ (جُند) وقلتُ لها: لمَ لا تهجمُون على بيتِ (سالم) بقوةِ كبيرةٍ، فمهما كانتِ قوَّةُ (ملاس) فهو لن يتفوقَ على أعدادكم الضخمةِ.  
فابتسمتُ (جُند) وقالتُ: ألا تظنُّ أننا فكرنا في ذلك من قبل؟  
- ولماذا لم تفعلوا إذا؟

(جُند) : هجمنا بقوةٍ على منزلِ (سالم) أكثرَ مِن مرَّةٍ، ومِن جنونِ (جسار) اقترحَ على أبي قتلَ عائلةِ (سالم) بأكملها؛ كي نُجبرَ (ملاس)



على مواجهتنا لكنَّ أبي رفضَ خاصَّةً وأنَّ حصانةَ المنزلِ قويَّةٌ، وكانَ هناك  
ملكٌ يجرسُ المنزلَ كلَّ ليلةٍ، يبدو أنَّ أحدهم يتحصَّنُ كلَّ ليلةٍ بالأذكارِ  
والآياتِ.

أنهتُ (جُند) حوارها معي بِقُبلةٍ مُباغتةٍ، وكأنَّها تريدُ إغلاقَ الموضوعِ  
وعدمَ التحدُّثِ فيه أكثرَ.

بتنا ليلتنا في هدوءٍ، ولم أفتح معها الموضوعَ مرَّةً أخرى، وخرجتُ  
(جُند) كعادتها قبلَ الفجرِ وبعدها حضرتُ شياطينَ الوسوسِ، وبدأتُ  
أدوِّنُ وسوسَهم حتَّى الصباحِ، عدتُ لأقرأ ما كتبتُه لأنِّي في حالةِ الكتابةِ  
لا أستطيعُ استيعابَ المكتوبِ لكوني في حالةٍ أشبهُ بالهلوسةِ، فلا أدركُ ما  
خطَّتهُ يساري.

بدأتُ بالقراءةِ وبصراحةٍ كنتُ أبحثُ عن أيِّ أخبارٍ عن (ملاس)  
لكنَّ لم أجِدْ شيئاً؛ لأنَّ أغلبَ الأخبارِ كانت عن (مازِع) وأولادهِ السبعةِ،

وقلّغهم المتزايد من التحالف بين (الأباطحة) و(الصوارم)، ومطالبات  
(جسار) المستمرة بتوجيه ضربة مُباغتة لهم، لكنّ (مازِع) كان يرفض دائماً  
ويطلب من حُرّاسه الاستمرار في تقصي أثر (ملاس) فأغلقت المدوّنة  
وأُكملتُ نومي.

## ليلة تحريك البيادر

مضت الأيام وأصبح يومي روتينيًا بين لقاءاتي مع (جُند) في الليل،  
وتدوين الوسوس عند الشروق والغروب والنوم أغلب النهار،  
بالإضافة إلى زيارات مُتقطعة من (دَجَن) والتي كنتُ أتوق إليها لأنه  
الوحيد الذي كان يستطيع إضحائي في تلك الفترة.

بدأت أنسى موضوع الهروب خاصة وأن (دَجَن) طمأنني في إحدى  
زياراته أنه لا يوجد تحركات من جهة قبيلة (الصوارم) أو قبيلة  
(الأباطحة) بعد تحالفهم، بل على العكس حدث نوع من الهدوء النسبي  
بين القبائل.

بعد عدة أشهر، وفي يوم ماطر وأنا أقرأ ما كتبته بعد تدوين وسوس  
الغرب لمحت اسم (ملاس) بين السطور، ففتحت عيني أكثر وركزت  
انتباهي وقرأت ما كتب، فوجدت أن (ملاس) قد تمكن من قتل أحد أبناء

(مازِع) وَكَانَ اسْمُهُ (صَان) وَالْعَشِيرَةُ مَقْلُوبَةٌ لِهَذَا الْخَبَرِ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنْ قِرَاءَتِي لِهَذَا الْخَبَرِ دَخَلَ عَلَيَّ أَحَدُ الْحُرَّاسِ الْمُوَكَّلِينَ بِحِرَاسَتِي وَقَالَ:

«سَيِّدِي الْمُدَوَّنُ، الْأَمِيرَةُ (جُنْد) لَنْ تَتِمَكَّنَ مِنَ الْحُضُورِ اللَّيْلَةَ، وَأَنَا وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْحُرَّاسِ تَمَّ اسْتِدْعَاؤُنَا لِحُضُورِ مَرَامِسِ الْجَنَازَةِ، لِذَلِكَ لَا تَخْرُجِ اللَّيْلَةَ مِنْ دَارِكَ كَيْ لَا تُصَابَ بِأَيِّ أَذَى.»

قَالَ الْحَارِسُ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ، ثُمَّ اخْتَفَى ..

لَا أَنْكَرُ أَنِّي شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ فِي الْبَدَايَةِ، لَكِنِّي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ شَعَرْتُ بِالْارْتِيَاكِ لِأَنِّي اسْتَعَدْتُ الْحُرِّيَّةَ الَّتِي سُلِبَتْ مِنِّي مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِبُضْعِ سَاعَاتٍ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي نَشْوَةِ هَذَا الْإِحْسَاسِ خَرَجْتُ لِحَارِجِ الدَّارِ أَنْتَفَسُ هَوَاءَ الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ الْعَلِيلِ، وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ خَرَجَ (دَجَن) وَقَالَ: «يَا هَذِي فِرْصَتُنَا الْوَحِيدَةُ، يَا نَحْلُنَا نَرْوَحُ»

فَقُلْتُ لَهُ بَتَعَجَّبَ: إِلَى أَيْنَ؟

(دَجَن) : «ما عليك، أنا مرتّب كل شيء بس تعال»

مدّ (دَجَن) يده في إشارة لي كي أمسكها وفعلاً أمسكتها، فوجدت نفسي أمام منزل (سالم)، فأدرت نظري نحو (دَجَن) وقلتُ له: ما الذي فعله هنا؟

(دَجَن) : «لا تخاف، ادخل وما جاك بوجهي»

قلتُ وأنا في طريقي للدخول: وجهك لا يتحمّل كلّ ما أصابني بسبك، فضحك (دَجَن) وخفّ صوت ضحكه كلما تقدمتُ داخلَ منزل (سالم)، أو في الحقيقة منزل ابن (سالم).

جلستُ في مكانٍ أشبه بالمجلس المخصّص للضيوف، وبعد دقائق ظهر لي ذلك الرجل الذي أوصلني لمنزل (عمار) في زيارتي الثانية، فوقفتُ مغزوعاً، فقال:

«اجلس يا بني فلن أوذيك..»

جلستُ وعيني لم تفارقهُ لثانيةً، وبعدَ دقائقٍ من الهدوءِ بيننا بدأ يتكلم الرجلُ معي وحكى لي أنَّه قرينُ (سالم)، وحكى لي كذلك القصةَ التي أخبرتني بها (جُند)، لكنَّه أضافَ بعضَ الإضافاتِ التي كانت تُجهلُها (جُند) مثل أنَّه حاولَ بعدَ موتِ (سالم) أن يذهبَ لـ (مازع) ويقتله، لكنَّ الحُرَّاسَ حوله كانوا أكثرَ من أن يواجهَهُم كلُّهم وحدهُ، فعقدَ العزمَ على تجنيدِ مَنْ يُشاركهُ هدفه في قتلِ (مازع) مِنَ الأقرانِ المُتحرِّرينَ والمنشقينَ مِنَ القبائلِ النائرةِ على (مازع)، وخلالَ تلكَ السنواتِ جمعَ (ملاس) مجموعةً لا بأسَ بها مِنَ الأقرانِ والشياطينِ، لكنهم ما زالوا أقلَّ من أن يخوضوا معركةً ضدَّ (مازع) وقبيلته، صمتُ قليلاً بعدَ حديثِ (ملاس) معي ثمَّ قلتُ : «وما علاقتي أنا و(دَجَن) بالموضوع؟»

(ملاس) : بعدَ مقتلِ (صان) على يدي سيكونُ اهتمامُ (مازع) الآن مُنصباً على الثَّارِ لابنهِ، وسوفَ تكونُ حمايتك آخرَ اهتماماته وقبيلتنا (الأباطحة) و(الصوارم) قد عقدتا العزمَ على قتلِكَ خلالَ الأيامِ المُقبلَةِ، و(مازع) وقبيلته لن يخوضوا حرباً خاسرةً مِنْ أجلكَ وستُقتلُ أنتَ و(دَجَن) في لحظاتٍ - وماذا تريدُ مِنِّي أن أفعلَ؟

(ملاس) : ساعدني في كسرِ شوكةِ (مازع).



- كيف، وأنا مُجَرَّدُ إنسيّ ضعيفٍ ولستُ بقوّتكم؟

(ملاس) : مَكَّنِي من قَتْلِ (جُند)، وبذلك سينهارُ (مازِع) وستمكنُ  
من الهجومِ عليه وهو مَصْدُومٌ بمقتلِ ابنته بعدَ مقتلِ ابنه بيومٍ واحدٍ فقط.  
- مُستحيل، لن أساعدك على قتلِ (جُند)!

فصرخَ في وجهي: هل أصبحت تُدافعُ عن الشياطينِ الآن، أم أنك  
وقعتَ في حُبِّ ابنةِ (مازِع)؟!

- لا هذا ولا ذاك، لكنني لا أريدُ المُشاركةَ بقتلِ أحدٍ حتّى وإن كانَ  
شيطاناً.

(ملاس) : لقد شاركتَ بقتلِ (عمّار) بمساعدتكِ (لدَجَن).  
فقلتُ له بصوتٍ مُرتفعٍ: (دَجَن) خدعني ولو كنتُ أعرفُ نيتَهُ لما  
ساعدتهُ.

(ملاس) : لا ترفعِ صوتَكَ في وجهي أيّها المدوّنُ!  
فسكتُ.

بعد ثوانٍ استأنفَ (ملاس) الحديثَ معي: هل تعرفُ أن (دَجَن) قتلَ  
عمّارَ بأمرٍ مِنّي؟

- ماذا؟! بأمر منك؟

(ملاس) : نعم، (فَدَجَن) قرينٌ مُتَمَرِّدٌ مثلي ويريدُ الانتقامَ من (جسار) لما حدثَ بينهما في الماضي؛ لذلك كانَ مِنَ السهلِ تجنيده.  
- وأنا أرفضُ أن تُجَنِّدَنِي، وإذا كنتَ تريدُ قتلي فافعلْ.

سكتَ (ملاس) فترةً عندما رأى إصراري على عدمِ المشاركةِ في قتل (جُند)، ثمَّ قالَ: لنُ أقتلكَ لكنَّ قبيلةَ (يعرم) وحلفاءهم سيفعلون ذلك بدلاً عني.

- فليكن، هذا ليسَ سببًا لأقتلَ (جُند) أو غيرها.

سكتَ (ملاس) مرَّةً أخرى، ثمَّ قالَ: حسنًا لنُ نقتلَ (جُند)، لكن إذا أردتَ حمايةَ مني يجبُ أن تُساهمَ معنا في المواجهةِ مع (مازع).

- وكيفَ أساهمُ في مواجهةٍ بينَ شياطين؟

(ملاس) : أعزنا قرينك.

- ماذا، قريني؟

(ملاس) : كما سمعتَ، سوفَ أُحرِّرُ قرينكَ ليشاركَ معنا في الهجمةِ على (مازع)، وبهذا تكونُ واحدًا منا ونتكفلُ بحمايتك.

- وإذا رفضتُ؟

(ملاس) بغضبٍ : سنرميكَ عندَ قبيلةِ (الأباطحةِ)، كي يمزقوكَ أنتَ وقريبتُك ولا تظنن لل لحظةٍ أنني لن أفعلها!

في تلكَ اللحظةِ بدأت عيناى ترمشانِ بقوةٍ فوضعت يدي عليهما، فقالَ (ملاس) وهو يبتسمُ : هذا قريبتُك يرجوكَ أن توافقَ؛ فهو خائفٌ على نفسهِ أكثرَ منك.

فقلتُ ويدي ما زالت على عيني : سأوافقُ بشرطٍ.

(ملاس) : ليس لك الحقُّ في وضعِ شروطٍ، خاصّةً وأنَّ حاجتَكَ لنا أكثرُ من حاجتنا لك.

- دونَ هذا الشرطِ لن أوافقَ، وأنا أعني ما أقولُه.

نظرَ (ملاس) للأرضِ لدقائقٍ وكأنَّه يُفكرُ في كلامي ثمَّ قال : ما هو شرطُك؟ لكنْ تذكّر أنّي لست مُلزمًا بتنفيذه.

- شرطي أن تُجيبَ على سؤالٍ واحدٍ بكلِّ صدقٍ دونَ كذبٍ.

(ملاس) : ما هو سؤالُك؟

- بما أن (دَجَن) تحتَ حمايتكم فهو لا يحتاجُ حمايةً منَ (الكثبان)، فلماذا

قام بكل ما قام به كي يُوفرَ لنفسه حمايةً مِنَ القبائل الأخرى ما دام في حمايتك؟

سكتَ (ملاس) وكأنّه لا يريدُ الإجابة، ثمّ قال: «لأنّه كان يريدُ حمايتك أنت..»

- أنا؟ ولماذا يريدُ حمايتي وأنا مُجرّد إنسيّ جمدهُ في الماضي؟

(ملاس) وهو يهْمُ بالنهوض: لا أعرفُ أسأله هو، وقلّ جوابك الآن أيّها المدوّن هل أنت معنا؟

وافقتُ على مَضَض؛ لأنّ خياراتي معدومةٌ، وبدأ (ملاس) بقراءةِ طلاسِ تحريرِ القرينِ عليّ فتحرّرت. ظهرَ قريني أمامي وكان نسخةً مُطابقةً لي، لكنّه فاقدٌ إحدى عينيه، ابتسمَ ثمّ اندفعَ نحوي وعانقني وقال: «شكراً، أعدك أن أكفّرَ عن ذنبي في مقتلٍ (يعرم).»

وضعتُ يدي على كتفه وأنا مُرتبكٌ ومُتعبٌ جدّاً وقلت: لا بأس فقط حاول ألا تموت.

رحلَ (ملاس) وتبعهُ قريني، وبعدها دخلَ عليّ (دجن) وقال: «وأنا بعد لازم أروح معاهم»

- إلى أين؟

(دَجَن) : بعد ما انضمَّ قرينك لنا صرنا مُستعدّين للهجومِ على مازع وقبيلته.

- وكم عددكم؟

(دَجَن) مئة قرين متمرّد وثلاثهم مؤمن والباقي شياطين ..

- وقبيلة (الكثبان)؟

(دَجَن) خمسة آلاف شيطان نصفهم أقران متمرّدون، والباقي شياطين سفلية مع (مازع) وأبنائه

- ألا تعتقدُ أنَّ الكفّةَ ليست في مصلحتكم؟

(دَجَن) : «إحنا ما راح نواجه القبيلة كلها، إحنا راح نهجم على (مازع) مباشرة ونضربه ضربة رجل واحد و(ملاس) حط خطة محكمة لهذه الهجمة»

- وماذا لو قتلَ قريني في هذه المعركة؟

فقال وهو يبتسمُ : «لا تخاف، وصينا ابن (سالم) إنه يرجع جثتك لأهلك»

وبعدها اختفى (دَجَن) للحاقِ بهم ..

دخلَ عليَّ ابنُ (سالم) بعدَ أن رحَلَ (دَجَن) للحاقِ (بملاس) وجيشه،  
ولم أحتج لسؤاله عن شيءٍ لأنَّه كما يبدو كانَ يعرفُ كلَّ شيءٍ مِنَ اللحظةِ  
الأولى التي قابلني فيها أوَّلَ مرَّةٍ وأخذني للمقبرة.

جلستُ معه في صمتٍ حتَّى اقتربَ الفجرُ، وطلبتُ منه ريشةً ومحرَّةً كي  
أدوِّن وساوسَ الفجر ..

فقال: لا داعي لذلك الآن، فقبيلةُ (الكُثبان) مشغولةٌ بكلِّ جنودها في  
محاولةٍ لتخليصِ (مازِع) من تقدُّمِ (ملاس) بمن في ذلكَ شياطينها المكلفةُ  
بالوسوسة.

- ماذا تقصدُ؟ هل بدأتِ المواجهةُ؟!

فقال: نعم منذُ اللحظةِ التي لحقَ بها (دَجَن) المجموعة.

- وما الأخبارُ؟



فَقَالَ: سَقَطَ مِنَّا الْكَثِيرُ، لَكِنَّ ضَحَايَاهُمْ أَكْثَرُ.

- وماذا عن قريني هل مات؟

فَضَحَكَ ابْنُ (سَالِمٍ) وَقَالَ: كَيْفَ مَاتَ وَأَنْتَ أَمَامِي الْآنَ؟!

سَأَلَتْهُ عَنْ لِفَافَةٍ مِنَ الْقِمَاشِ الْأَبْيَضِ كَانَتْ بِجَانِبِهِ وَعَنْ سَبَبِ إِحْضَارِهَا  
مَعَهُ فَقَالَ: هَذَا كَفْنُكَ فِي حَالِ مَوْتِ قَرِينِكَ سَتَسْقُطُ هُنَا أَمَامِي، وَيَجِبُ  
أَنْ أُدْفِنَكَ فَوْرًا حَتَّى تَتَضَحَّ الصُّورَةُ، فَبَلَعْتُ رِيْقِي الَّذِي جَفَّ مِنَ الْخَوْفِ  
وَبَقِيْتُ أَنْتَظِرُ نَتَائِجَ تِلْكَ الْمُوَاجَهَةِ.

أَغْمَضَ ابْنُ (سَالِمٍ) عَيْنَيْهِ وَدَخَلَ فِي حَالَةٍ مِنَ السَّكُونِ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ  
الْإِنْتَظَارِ بَصَمَتْ نَظْقَ ابْنِ (سَالِمٍ) وَهُوَ مُغْمَضِ الْعَيْنَيْنِ وَقَالَ:

الْمَعْرَكَةُ تَنْقَلِبُ ضِدَّنَا، خَسَرْنَا الْكَثِيرَ مِنَ الْأَتْبَاعِ، (جَسَارُ) وَ(جُنْدُ) هُمَا  
آخِرُ أَبْنَاءِ (مَازَعِ) الَّذِينَ لَمْ يَسْقُطُوا حَتَّى الْآنَ وَ(مَازَعُ) مُحَاطٌ بِأَلْفِ شَيْطَانٍ  
وَ(مَلَّاسُ) يَأْمُرُ (دَجَنَ) وَقَرِينَكَ بِالتَّقَدُّمِ نَحْوَهُ.

جَلَسْتُ أَسْمَعُ تِلْكَ الْأَخْبَارَ الْمُتَقَطِّعَةَ، وَأَنَا أُرْتَجِفُ وَأُرْتَعِدُ مُنْتَظِرًا اللَّحْظَةَ  
الَّتِي يَسْقُطُ فِيهَا قَرِينِي لِأَسْقُطَ مَعَهُ.

استمرَّ ابنُ (سالم) بالتمتمةِ بأخبارِ المعركةِ حتَّى قالَ:  
أُصيبَ (ملاس) و(دَجَن) يقفُ بجانبه يذودُ عنه.

فكانت ردةً فعلي الوحيدةُ هي بقولِ: وقريني ماذا حلَّ به؟!  
لكنَّ ابنَ (سالم) لم يَكُنْ في وعيه كي يردَّ علي، استمرَّ ابنُ (سالم) في سردِ  
الأحداثِ حتَّى قالَ كلمةً هزَّتني وزادتِ الرعبَ الذي فاضَ به صدري  
حيث قالَ: (الأباطحةُ) وحلفاؤهم دخلوا المعركةَ عندما علموا أنَّ قرينكَ  
مُشاركٌ فيها، وأمروا شياطينهم باستهدافه.

هنا وفي تلك اللحظةِ بدأتُ بالتشهِدِ والاستغفارِ، وأنا أرتجفُ منِ  
الخوفِ؛ لأنِّي أيقنْتُ أنَّ ساعةَ الرحيلِ عن هذهِ الدنيا قد حانتُ، وأنا في  
تلكِ الحالةِ أُصبتُ بالإغماءِ وغِبتُ عن الوعي، فاستيقظتُ عندَ الظهرِ في  
مجلسِ بيتِ ابنِ (سالم)، وكانَ المكانُ هادئًا ولا أثرَ لابنِ (سالم) في المجلسِ،  
ولم أرَ سوى كفني مُلقًى أمامي.

بعد قليل دخلت علي حفيدة (سالم) الصغيرة ومعها بعض الطعام  
ووضعت أمامي وقالت وهي مبتسمة: «كُلْ..»  
ثم رحلت..

أخذت أبحث بنظري في الغرفة عن أحد ليخبرني بما حدث فلم أجده،  
فتبصت ولم أتناول الطعام الذي أحضرته حفيدة (سالم)، وخرجت خارج  
الدار لكتني لم أجده أحدًا كذلك، سمعت أذان الظهر الذي لم أسمع منه  
مدة طويلة فتوجهت للمسجد كي أصلي بحثًا عن الراحة، وبعد انتهاء  
الصلاة بدأت أبحث بين المصلين بنظري عن ابن (سالم) ولم أجده، لكتني  
سمعت الإمام يقول: »

الصلاة على الميت يرحمكم الله.

صليت معهم وتبعث الجنازة وسألت أحد المشيعين عن اسم المتوفى  
فقال: إنها (فاطمة) ابنة الشيخ (سالم) يرحمه الله.

فتوقفتُ عن السيرِ في الجنازةِ حتَّى ابتعدت عني ولم أكن أعرفُ ماذا أفعلُ، كنتُ مُختارًا بينَ العودةِ لمنزلي (سالم) أو العودةِ لمنزلي (عمَّار) أو العودةِ لبلدي.

كنتُ مُشتتًا وغيرَ قادرٍ على اتِّخاذِ قرارٍ، وأنا في حيرتي هذه في وسطِ الشارعِ ظهرَ لي (دَجَن) ولأوَّلِ مرَّةٍ أفرحُ لرؤيتهِ وقالَ لي بتوتُّرٍ واستغرابٍ : «وش موقفك كذا في وسطِ الشارع؟»

- لا أعرفُ، ماذا تقصدُ؟

(دَجَن) : «تعال، تعال، خلنا نروح لبيت (سالم)!»

ذهبنا لبيتِ (سالم) ودخلنا للمجلسِ الذي كانَ فارغًا ثمَّ جلسنا، وكنتُ أنتظرُ تفسيرًا مِنْ (دَجَن) عما حدثَ بالأمسِ ونتيجةَ المواجهةِ لكنه بقيَ صامتًا ينظرُ للبابِ، فبادرتهُ بالسؤالِ وقلتُ:

«ماذا حدثَ بالأمسِ وأين قريني وقرينُ (سالم) وابنُ (سالم)، ما الذي

حدثَ؟»

سَكَتَ (دَجَن) وَكَانَ يَبْدُو مُتَوَتِّرًا ثُمَّ قَالَ:

«وَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَيُّشْ أَقُولُ لَكَ، لَكِنِ السَّالِفَةُ تَعَقَّدَتْ»

بَدَأَ قَلْبِي بِالْخَفَقَانِ وَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي كِفَاكَ مُرَاوِغَةً أَرْجُوكَ!

(دَجَن) : «طِيبْ خِلَاصَ بَقُولِ لَكَ، لَكِنِ خَلَّكَ هَادِيٌّ وَلَا تَقَاطِعْنِي.

فَقُلْتُ لَهُ بِحَسْرَةٍ: تَفَضَّلْ لَنْ أَقَاطِعَكَ.

## أحداث المعركة كما رواها (دَجَن)

قال لي (دَجَن) إنهم ذهبوا مع (ملاس) والمجموعة التي معه لمكان تجمع قبيلة «الكُثبان»، وكانت الخطة هي الاقتراب من مكان (مازع) قدر الإمكان والانقضاض عليه فجأة بكل قوتهم، لكن تسللهم كشف قبل وصولهم للنقطة التي كانوا يريدون الهجوم منها، فدخلوا في معركة طاحنة مع (الكُثبان)، وأدرك (ملاس) عندها أنهم سيهلكون لو استمروا في القتال معهم خاصة وأن (مازع) بدأ بتحصين نفسه بإحاطة مكانه بالشياطين المقاتلة، وأمر جميع أبنائه بالتجمع حوله، فقرّر (ملاس) أخذ ثلث المجموعة والذهاب لمكان (مازع) في مهمة شبه انتحارية، وكان من ضمن الذين اختارهم (ملاس) هم (دَجَن) وقريني وقرين ابن (سالم) وقرين أخته (فاطمة).

توجّهت المجموعة الانتحارية التي اختارها (ملاس) للهجوم على مكان تحصّن (مازع)، ودارت معركة دموية راح ضحيتها كل أبناء (مازع) ماعدا (جسار) و(جند)، وقُتل منّا قرين (فاطمة) وأصيب (ملاس) إصابة

بليغة؛ لأنَّه كَانَ يندفعُ بقوةِ نحوِ (مازِع) رغبةً منه في حسمِ المعركةِ بقتله،  
لكنَّ الشياطينَ حولَ (مازِع) كانوا أقوياءَ وكانُوا (ملاس) بالمرصادِ.

استمرَّتِ المعركةُ لساعاتٍ، وبدأتْ بوادِرُ النصرِ تظهرُ بتساقطِ الحُرَّاسِ  
حولَ (مازِع)، ولكنَّ الأمورَ انقلبتْ عندما تفاجأَ (ملاس) وأتباعُهُ بدخولِ  
قبيلةِ (الأباطحة) للمعركةِ وهم يصرخون: الثَّأْرُ (ليعرم) فعلمَ الجميعُ أنَّهم  
سيستهدفونَ قريني في البداية، فارتبكتْ صفوفُ (ملاس) ومَن معه، وبدأ  
(الأباطحة) بالهجومِ عليهم كي يصلوا لقريني، وانشغلَ (ملاس) وأتباعُهُ  
في صدِّ هجومِ (الأباطحة) والدفاعِ عن قريني؛ ممَّا تسبَّبَ في خسائرٍ كبيرةٍ  
بينَ صفوفِ أتباعِ (ملاس).

استغلَّ (مازِع) وجيشُهُ انشغالَ (ملاس) وأتباعِهِ برّدِ هجومِ (الأباطحة)  
على قريني، والفوضى التي أصابتْ أرضَ المعركةِ لإعادةِ ترتيبِ صفوفِهِم  
ومشاركةِ (الأباطحة) في الهجومِ على قريني الذي كانَ يقاتلُ بجانبِ  
(ملاس)، وبعدَ قتالٍ طويلٍ سقطَ ضحيَّتهُ الكثيرُ تمت مُحاصرةُ (ملاس)  
وفرقتهُ الانتحاريَّة، والذي زادَ الأمرُ سوءًا هو أنَّ المجموعةَ التي تركها  
(ملاس) لصدِّ جيشِ (الكُثبان) خلفهم قد خسروا مواجهتهم، وقُتلوا  
جميعًا ممَّا جعلَ جيشَ (الكُثبان) المتبقي من تلكِ المواجهةِ يُغيِّرُ اتِّجاهَهُ نحوَ



الفرقة البسيطة التي كان يقودها (ملاس)، والتي كانت ما تزال تواجه جيش (الأباطحة) وحرّاس (مازع) وحدها.

بدأ (ملاس) ومن معه بالمقاومة، ولأن صفوفهم كانت مليئة بالأقران المؤمنين استطاعوا مقاومتهم لفترة طويلة أسقطوا خلالها الكثير من شياطين (الأباطحة) و(الكُثبان)؛ لكن كثرتهم وتكالبهم عليهم كان يقودهم لهزيمة حتمية عندما أدرك (ملاس) ذلك، وأن المسألة كانت استنزافاً حقيقياً لمجموعته التي ستسقط لا محالة بعد فترة من الزمن وإن طالّت.

قرّر أن يُغيّر خطته، ونادى قرين ابن (سالم) وهمس في أذنه ثم اختفى قرين ابن (سالم) بسرعة، وبعد دقائق من اختفاء قرين ابن (سالم) جاءت الأوامر من (إينار) زعيمة قبيلة (الصوارم) لقبيلتها بنقض عهدهم مع (الأباطحة)، والدخول في المعركة لمساعدة (ملاس) والتركيز على قتل (مازع).

انقلبت المعركة وبدأ (الصوارم) بتوجيه ضربات موجعة لجيش (الأباطحة) وجيش (مازع) من الخلف، وكان جنودهم يتساقطون واحداً تلو الآخر.

بعدَ عِراكٍ طویلٍ كانتِ الغلبةُ لـ (ملاس) وجيشه ومن معه من  
(الصوارم)، وتمَّت إبادةُ جيشِ (الأباطحة) وجيشِ (مازع) بأكمله، عدا  
من فرَّ وهربَ من أرضِ المعركةِ بمن فيهم (جسار) و(جُند).  
قبضتِ الفرقةُ المنتصرةُ على (مازع) وعلى زعيمِ قبيلةِ (الأباطحة)  
وفصلت رؤوسَهما عن أجسادِهما على مرأى ومسمعِ الجيشِ.  
تقدَّم (تكاش) قائدُ جيشِ (الصوارم) وأحدُ أبناءِ (شند) زعيمِ قبيلةِ  
(الصوارم) السابق الذي قتلهُ (مازع) في بيتِ (عمَّار)، ورفعَ رأسَ (مازع)  
وهو يصرخُ بين الحُشودِ، ثمَّ وضعَ رأسَ (مازع) تحتَ أقدامِ (ملاس) وقالَ  
له: أختي (إينار) تشكُّركَ على مساعدتنا كي نصبحَ القبيلةَ المُسيَّدةَ بينَ  
القبائلِ، وتقدِّمُ لك رأسَ (مازع) في المقابلِ.

هنا قاطعتُ (دَجَن) وقلتُ له: وما هو المزعجُ في الأمرِ؟ هذه أخبارُ  
مُفرحةٌ، لقد انتصرنا!

(دَجَن): «خلني أكمل لك إيش اللي صار بعد كذا»  
- تفضَّلْ.

شرح لي (دَجَن) كيفَ أنَّه بعدَ الانتصارِ الساحقِ لهم قرَّرتِ قبيلةُ

(الصوارم) العودة وسحب جيشها، وبقي بعد ذلك (ملاس) وأتباعه يبحثون عن الناجين فلم يجدوا إلا أربعة وعشرين تابعاً كان من ضمنهم قرين ابن (سالم) و(دجن).

- وماذا عن قريني؟

أخبرني (دجن) إنهم توقعوا أنه قُتل في المعركة، خاصة وأن معظم شياطين (الأباطحة) كانوا يستهدفونه في خضم القتال، فظنوا أنني مت وبدأ ابن (سالم) في مراسم دفني، ولكنه تفاجأ عندما وجدني ما زلت أتنفس فتركني مكاني وذهب للتحضير لجنائزته.

سكت (دجن) بعدها ثم قال: «حتى أنا تفاجأت لما رأيته بين صفوف المشيعين لجنائز (فاطمة)».

- ما معنى هذا الكلام؟ أين ذهب قريني؟!

(دجن): «قرينك هج وما ندري وين راح»

- نعم؟! أتقصد أنه هرب؟ ولماذا هرب؟

(دجن): «ما أدري .. لا تسألني»

فقلت بغضب: ومن يعرف إذا؟!

خلال نقاشنا الذي بدأ يجتدمُ دخلَ علينا (ملاس) ومعه قرينُ ابنِ (سالم) وآخرون وقال: قرينُك وقعَ في أسرٍ مَنْ تَبَقَّى مِنْ قَبِيلَةِ (مازِع) و(الأباطحة) وهمُ الآنَ يساومونَ عليه، فصمتُ قليلاً ثم قلتُ: وماذا يريدونَ في المقابلِ؟

(ملاس): يُريدونَ مَنْ قتلَ ثلاثةً مِنْ إخوانِهِم في المعركة، وقتلَ (عمَّار) وقتلَ رئيسَ زعيمِ قَبِيلَةِ (الأباطحة) نفسه، فوجَّهتُ نظري إلى (دَجَن) الذي كانَ ينظرُ لـ (ملاس) وهو مصدومٌ، فقال (ملاس): اتَّخذوا قرارَكم قبلَ المغربِ إما أَنْ نُسلِّمَ لهمُ (دَجَن) ونستعيدَ قرينَك، أو سیتَمُ إعدامُ قرينَك عندَ منتصفِ الليلِ.

خرجَ (ملاس) ومنَ معهُ وبقيتُ أنا و(دَجَن) في صمتٍ حتَّى نطقَ (دَجَن) وقالَ: «أنا بروح لهم»  
- لا، دَعهم يقتلونَ قريني.

(دَجَن): «ما تتركُ عنكَ الهياط أبداً».

- لَنْ أسامَحَ نفسي على ذلك، وهذا ذنبي كما قالَ لي (عمَّار) وأنا أستحقُّ ما سيحدثُ لي.

(دَجَن): «ومنَ الي قالَ لك إنَّه ذنبُك؟ .. أنا الي ورطتك مع قبيلة

(مازِع)، وأنا اليّ تسببت في كل هالمشكلة، وبينني وبينك أنا زهقت وما عندي شيء أخسره».

- لا، سوف أخبر (ملاس) بقراري.

ولكن عندما هممتُ بالخروج لإخبار (ملاس) بأني ذاهبٌ بدلاً عن (دَجَن) سقطتُ على الأرضِ مَغشياً عليّ، واستيقظتُ في المساءِ على صوتِ بعضِ الطلاسِمِ القريبةِ من مسمعيّ، فنظرتُ فإذا به ابنُ (سالم) يقولُ لي: لقد عادَ قرينُك بجانبك الآن، وقد انتهيتُ للتوّ من ربطه بك.

فقلتُ له وأنا أستيقظُ: وماذا عن (دَجَن)؟

قالَ لي: (دَجَن) أخبرنا باتفاقكما على تسليمِ نفسه، وتمَّ الأمرُ منذُ نصفِ ساعةٍ، فدفعْتُ ابنَ (سالم) وخرجتُ أَجْرِي لِمَنْزِلِ (عمار) وابنِ (سالم) يصرخُ خلفي ويقولُ: إلى أينَ ستذهبُ؟!

لم أَرِدْ عليه، وبقيتُ أَجْرِي وأَجْرِي حتّى وصلتُ لبيتِ (عمار)، فدخلتُ وفتحتُ كتابَ تحضيرِ أسيادِ الجنّ، وبدأتُ أبحثُ فيه وفجأةً ظهرَ لي (ملاس) وقالَ: ماذا تظنُّ نفسك فاعلاً؟!

فقلتُ له ولم أرفع عينيَّ عن الكتابِ: سوفُ أنقذُ (دَجَن)

فصرخَ بغضبٍ وقالَ: ألم يكنْ هذا اتفاقكُمَا؟!!

فشرحتُ له ما حدث، فأغلقَ الكتابَ بيده وقالَ: لقد قُضيَ الأمرُ فلا تثيرَ حربًا جديدةً أيُّها المدوّن!

- هل قتلتَ من حرّركَ وقتلَ (سالم)؟

(ملاس): ماذا تقصدُ؟

- (جسار) هو نذكُ الحقيقِيّ وليسَ (مازِع)، وهو الهدفُ مِنْ كلِّ ما قمتَ

به، ومع ذلكَ فهو ما زالَ على قيدِ الحياةِ وسوفَ يقتلُ أكثرَ شخصٍ

ساعدك في معركتكِ وثأركِ، فغضبَ (ملاس) ونزعَ الكتابَ من يديَّ

وقالَ بصوتٍ مُرتفعٍ: لن أسمحَ لكِ بفعلِ ذلك!

فقلتُ له: (دَجَن) قتلَ (عمار) مِنْ أجلكِ، وقتلَ الكثيرَ في تلكَ المعركةِ

دفاعًا عن ثأرٍ لا علاقةَ له بهِ والآنَ وبكلِّ سهولةٍ تتخلّى عنه؟!!

(ملاس): هذا لمصلحةِ الجميعِ.

- لا توجدُ مصلحةٌ إلّا لك!

فسكتَ (ملاس) قليلاً وهو ما زال مُمسكاً بالكتابِ في يده، ثمَّ قالَ: ماذا تريدُ أنْ تفعلَ أيُّها المدوّن؟

- نستخدمُ الكتابَ لأسرِ (جسار) وإحضاره هنا مُقيّداً والمساومةِ عليه  
بـ(دَجَن)!

(ملاس): وإذا لم توافقْ (جُند) على هذه المُساومةِ؟

- يجبُ أنْ نحاولَ!

وضعَ (ملاس) الكتابَ في يدي وقالَ: حضّرْ (جسار) ..



## شيطانٌ على كَفِّ عِصْرِيَّت

بدأتُ بتحضيرِ (جسار) بعدَ ما أرشدني (ملاس) للطلسمِ الذي يقومُ بذلكَ في الكتابِ الخاصِّ بتحضيرِ الأسيادِ، وخلالَ دقائقَ ظهرَ (جسار) مُقيِّداً في بيتِ (عمار) وهو يصرخُ قائلاً: سأقتلكَ أيُّها المدوّنُ السافلُ، وسأقتلُ كلَّ أفرادِ عائلتكَ وسأجعلُكَ تندمُ على ما فعلتَ، فلطمتهُ (ملاس) لطمَةً أفقدتهُ الوعيَ وقالَ: ماذا الآنَ أيُّها المدوّنُ؟

- ألا يوجدُ طلسمٌ لتقييدِ (جُند) في الكتابِ؟

(ملاس): لا، فـ(جُند) لم تُصنَّفْ يوماً مِنَ الأسيادِ.

- اذهبِ إليها إذا وساومها على حياةِ (جسار) في مقابلِ تحريرِ (دَجَن).

(ملاس): حسناً، لكنْ أرجو ألا أندمَ على مُساعدتي لك.

- أنتَ تساعدُ نفسكَ بمساعدتكِ لي.

رحل (ملاس) بعدها واختفى ..

غَابَ (ملاس) لَأَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، وَخِلَالَ هَذِهِ السَّاعَةِ اسْتَيْقَظَ (جَسَار)  
وَقَالَ بِهَدْوٍ وَهُوَ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ:

«أَنْتَ أَغْبَى مُدَوِّنِ رَأْيَيْهِ فِي حَيَاتِي ..»

- اخْرُسْ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، وَلَا تَتَكَلَّمْ.

(جَسَار) : هَلْ تَظُنُّ أَنَّ (ملاس) يَريْدُ قَتْلِي ؟ .. لَوْ كَانَ يَريْدُ قَتْلِي لَفَعَلَ  
ذَلِكَ مِنْذُ أَنْ قَيَّدْتَنِي هُنَا، لَكِنَّهُ يَريْدُ قَتْلَ مَنْ حَرَّرَهُ وَتَسَبَّبَ فِي مَوْتِ صَاحِبِهِ.  
- أَنْتَ مَنْ حَرَّرْتَهُ، وَتَسَبَّبْتَ فِي مَوْتِ (سالم).

ضَحَكَ (جَسَار) بِصَوْتٍ غَلِيظٍ وَمُرْتَفِعٍ وَقَالَ: أَيُّهَا الْأَحْمَقُ (جُنْد) هِيَ  
مَنْ حَرَّرْتَهُ بِأَمْرِ مَنْ أَبِي، وَأَنَا كُنْتُ فِي الْفَتْرَةِ السَّابِقَةِ مُجَرَّدَ حَارِسٍ لَهَا مَنْ  
(ملاس)

فَقُلْتُ لَهُ وَأَنَا مَصْدُومٌ: أَنْتَ كَاذِبٌ وَتَحَاوَلُ خِدَاعِي لَكِنَّكَ لَنْ تَنْجَحَ!  
(جَسَار): (ملاس) يَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ يَأْخُذَ بِثَأْرِهِ مِنْ (جُنْد)؛ لِأَنَّ فِي  
الْمَعْرَكَةِ كُنْتُ أَنَا مَنْ يَقِفُ حَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَأَنَا مَنْ أَصَابَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَكُنْ مُهْتَمًّا بِقَتْلِ أَبِي بَلْ كَانَ يُلاحِقُ (جُند) طِيلةَ المعركةِ وَقَدْ خدَعَكُمْ جميعًا  
لتحقيقِ مَسْعَاهُ.

- أَنْتَ كاذِبٌ؛ فقد كَانَ يُمكنُهُ أَنْ يَقْتُلَ (جُند) عندما كانتَ تزورُنِي  
وَحْدَهَا.

(جسار) : (جُند) لم تَكُنْ يومًا وَحْدَهَا، وفي كُلِّ زيارةٍ لَكَ كَانَ مَعَهَا أَلْفُ  
شَيْطَانٍ بِقِيادَتِي يَقفُونَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ لِحمايَتِهَا مِنْ أَيِّ هَجْمَةٍ، فَصَمْتُ وَبَدَأْتُ  
أَرْبِطُ الْأُمُورَ بِكَلَامِ (جسار)، وَوَجَدْتُ أَنَّ احْتِمَالَ قَوْلِهِ الْحَقِيقَةَ وَارِدٌ جَدًّا  
مِمَّا زَادَ فِي حيرَتِي.

سَكَتُ قَلِيلًا ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: وَمَاذَا عَنْ (دَجَن)؟

(جسار) : (دَجَن) مُغَرَّرٌ بِهِ مِثْلَكَ، وَ(ملاس) لَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِهِ أَوْ أَمْرِكَ  
فَهُوَ قَرِينُ مُؤْمِنٍ وَلَا يَهْتَمُّ لِلشَّيَاطِينِ أَوِ السَّحَرَةِ.

- لَا بَأْسَ فليَقْتُلْ (جُند) وَيَقْتُلِكَ أَنْتَ أَيْضًا لَا فَرْقَ عِنْدِي.

(جسار) وَهُوَ يَبْتَسِمُ: بِمَوْتِي أَنَا وَ(جُند) أَيُّهَا الْمُدَوَّنُ سَيَبْدَأُ (ملاس)  
بِحَمْلَةٍ تَطْهِيرٍ كَبِيرَةٍ سَتَشْمَلُكَ أَنْتَ وَ(دَجَن).

بَعْدَ سَمَاعِ كَلَامِ (جسار) بَدَأَ الْقَلْقُ يَدُبُّ فِي صَدْرِي، وَزَادَتْ حيرَتِي

وكنْتُ أتساءلُ هلْ (جسار) يقولُ الحقيقةَ أمْ أنَّه فقط يحاولُ أنْ يوسوسَ لي مثلُ أيِّ شيطان؟ وخلالَ تفكيري وحيرتي قالَ (جسار) : أطلقْ سراحي أيُّها المدوّنُ وسوفَ أعطيكَ ضمانًا بأنِّي لنْ أُمسكَكَ أنتَ و(دَجَن).

- وما هو هذا الضمانُ؟

(جسار) : سأُرشدُكَ إلى كتابِ (العهدِ)، لو قرأتَ طلاسْمَهُ فسأكونُ عبدًا عندكَ وبذلكَ لنْ أُوذيكَ حتّى لو أردتُ.

- وماذا يُثبتُ لي صحّةَ الكتابِ؟

(جسار) : ستعرفُ بنفسِكَ أنَّ الكتابَ ليسَ بخدعةٍ؛ لأنَّه مكتوبٌ بخطِّ يدِ (عمار) وهو من الكتبِ التي ألّفها بعدَ سنواتٍ من امتهانِهِ للسحرِ والشعوذة.

- أينَ الكتابُ؟

(جسار) : ستجدهُ مدفونًا تحتَ شُرْفَةِ المنزلِ اذهبْ وتحقّقْ بنفسِكَ، فذهبتُ وحفرتُ عندَ شُرْفَةِ المنزلِ، وبالفعلِ وجدتُ الكتابَ وعندما فتحتُهُ وجدتُ أنَّه فعلاً بخطِّ يدِ (عمار)، ووجدتُ في الصفحةِ الأولى سطرًا واحدًا فقط وكانَ يقولُ :

## «حروف من نار خطتها ريشة عمار..»

دخلتُ على (جسار) والكتابُ مفتوحٌ في يدي فصرخَ (جسار) وقال: لا وقت للقراءة أيها المدوّن، اقرأ الصفحةَ العاشرةَ بسرعة.

فقرأتها في لحظةٍ لم أكنُ أفكرُ فيها بسببِ ارتباكي من صرخاتِ (جسار) التي زادتُ حدّةً وعُنفًا، وفجأةً وبعدَ قراءتي للتلسم المكتوبِ في الصفحةِ العاشرةِ صرخَ (جسار) وتحرّرَ من قيوده، ووقفَ أمامي يتنفسُ بأنفاسٍ ثقيلةٍ كالشورِ الهائجِ، وعيناهُ مُشتعلتانِ كالنارِ وعندها أحسّستُ أني ارتكبتُ خطأً جسيماً.

نزلَ (جسار) على ركبتهِ وأنزلَ رأسهُ أمامي وقالَ بهدوءٍ:

هل تأذنُ لي يا سيّدي باللّحاقِ بـ (ملاس)؟

سَكَتَ .. ثُمَّ أَعَادَ (جَسَار) السُّؤَالَ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ:

«هَلْ تَأْذُنُ لِي يَا سَيِّدِي بِاللَّحَاقِ بِـ (مَلَّاس)؟»

كَنْتُ مُرْتَبِكًا، وَلَمْ أَعْرِفْ مَاذَا أَقُولُ فَسَكَتُ.

فَأَعَادَ السُّؤَالَ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: «هَلْ تَأْذُنُ لِي يَا سَيِّدِي بِاللَّحَاقِ  
بـ (مَلَّاس)؟»

وَهَذِهِ الْمَرَّةُ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ ..

وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ اخْتَفَى (جَسَار) ..

بَقِيتُ بَعْدَهَا فِي الْمَنْزِلِ أَفَكَّرْتُ فِيهَا حَدَثَ، وَكَيْفَ تَمَّ التَّلَاعُبُ بِي مِنْ  
شَيْطَانٍ إِلَى آخَرَ، وَكَيْفَ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ غَرِيبٌ وَمِنْ الصَّعْبِ مَعْرِفَةُ مَنْ  
يَقُولُ الْحَقِيقَةَ فِيهِ، وَأَخَذَنِي التَّفَكِيرُ إِلَى مَاذَا سَتَوَوَّلُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ حَتَّى غَلَبَنِي  
النَّعَاسُ، فَاسْتَيْقَظْتُ قَبْلَ الظَّهْرِ بِقَلِيلٍ عَلَى صَوْتِ أَحَدٍ يُنَادِينِي مِنْ خَارِجِ  
الْمَنْزِلِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُدَوَّنُ، أَيُّهَا الْمُدَوَّنُ.

خَرَجْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ فَوَجَدْتُ رَجُلًا غَرِيبًا لَكَنَّنِي عَرَفْتُ أَنَّهُ شَيْطَانٌ، فَنَزَلَ  
عَلَى رَكْبَتِهِ وَقَالَ:

«هَلْ تَأْذُنُ لِي بِالْحَدِيثِ يَا سَيِّدِي؟»

- تَفَضَّلْ.

فَقَالَ: الْأَمِيرُ (جَسَار) وَالْأَمِيرَةُ (جُنْد) يَشْكُرَانِكَ عَلَى كَرَمِكَ  
وَمُسَاعَدَتِكَ لِقَبِيلَةِ (الْكُثْبَانِ)، وَمَدَّ لِي كِتَابًا أَخْضَرَ ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ: سَيِّدِي  
(جَسَار) يُخْبِرُكَ أَنَّهُ تَحْتَ أَمْرِكَ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَشَاءُ.  
أَخَذْتُ الْكِتَابَ وَاخْتَفَى الرَّجُلُ ..

دَخَلْتُ الْمَنْزَلَ وَفَتَحْتُ الْكِتَابَ فَوَجَدْتُ أَنَّهُ كُتِبَ بِصِغَةِ التَّدْوِينِ الَّتِي  
بِتُّ أَعْرِفُهَا جَيِّدًا، وَكَانَ السَّطْرُ الْأَوَّلُ يَقُولُ:  
«بَعْدَ الْحَصَارِ حَضَرَ قَرِينُ (الْكُثْبَانِ) (جَسَار) ..»



قرأتُ الكتابَ وكانَ عبارةً عن مُدَوَّنةٍ تحكي ما حدثَ منذُ  
لحظةٍ خروجِ (جسار) من عندي البارحةَ وحتىَ حضورِ الرجلِ  
الغريبِ بالكتابِ عندَ بابي.

## محتوى المدونة الخضراء التي قدمها لي رسول (جسار)

كَانَ الْكَلَامُ الْمَكْتُوبُ فِي الْمُدَوَّنَةِ مَكْتُوبًا بِلُغَةِ التَّدْوِينِ الَّتِي لَا يَفْهَمُهَا أَيُّ  
شَخْصٍ؛ لِذَلِكَ سَوْفَ أَذْكَرُ خِلَاصَةً مَا ذُكِرَ فِيهَا:

«حَضَرَ (مَلَّاس) كَالْبَرْقِ الْغَاضِبِ، وَهَجَمَ عَلَى (جُنْد) وَهِيَ تُعَذِّبُ  
(دَجَن) أَمَامَ مَنْ تَبَقَّى مِنْ قَبِيلَتِهَا وَطَرَحَهَا (مَلَّاس) أَرْضًا، وَقَالَ لَهَا:  
«الْيَوْمَ أَقْتَضُ لَصَاحِبِي يَا سَاقِطَةً!»

ضَحَكَتْ (جُنْد) وَقَالَتْ: صَاحِبُكَ يَنْتَظِرُكَ فِي الْآخِرَةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، وَلَنْ  
أَجْعَلُهُ يَنْتَظِرُ أَكْثَرَ!

فَاشْتَبَكَ تَحْتَ مَرَأَى وَمَسْمَعِ أَتْبَاعِ (جُنْد) وَأَتْبَاعِ قَبِيلَةِ (الْأَبَاطِحَةِ)  
الْمَدْحُورَةِ، وَ(دَجَن) الْمُقَيَّدِ بَيْنَهُمْ يَنْزِفُ مِنْ أَثَرِ تَعْذِيبِ (جُنْد) لَهُ، مَنَعَتْ  
(جُنْد) أَيَّ أَحَدٍ مِنَ التَّدْخُلِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (مَلَّاس) بِالرَّغْمِ مِنْ تَفَوُّقِ (مَلَّاس)  
عَلَيْهَا حُجْمًا وَقُوَّةً.

استمرَّ العِراكُ بينهما مُدَّةً قصيرةً حتَّى بدأت (جُند) بالتقهقرِ أمامَ ضرباتِ  
(ملاس) القويَّة، وقبل لحظاتٍ من انتصارِ (ملاس) الساحقِ الذي أصبحَ  
واضحًا للجميع، ظهر (جسار) كالبركانِ الغاضِبِ، وهجمَ على (ملاس)  
المتعبِ مِنَ النزالِ مع (جُند)، وبدأ في العِراكِ معه، ولأنَّ (جسار) لم يَنه  
أتباعه عن المُشاركةِ معه في الهجومِ على (ملاس) فقد تكالبوا عليه وقتلوه.  
بعدَ موتِ (ملاس) توجَّهتْ (جُند) لـ (دَجَن) لقتلهِ فمنعها (جسار)  
بالقوَّة، وقال:

«هذا يُنافي رغبةَ سيّدي!»

صرختْ (جُند) في وجهِ (جسار) وقالت: ومنذُ متى ولكَ سيّدُ  
يا (جسار)؟!!

(جسار): منذُ اليومِ أنا مأمورٌ لأمره، ويجبُ أنْ تكوني مُمتنةً له فهو من  
حرَّرني لإنقاذك.

(جُند): بسُخرية: ومنَ هذا السيّدُ المجهولُ؟!!

(جسار): السيّدُ (خوف).

صرخت (جُند) مجدداً بأعلى صوتها وقالت: المدون الخائن؟!  
فصفعها (جسار) وقال: احفظي لسانك، ولا تتفوهي على سيدي  
بكلمة!

رحلت (جُند) غاضبةً من المكان.  
توجه (جسار) لـ (دَجَن) وفكَّ قيده وقال له:  
«ارجع إلى سيدي وسيّدك، فرحل (دَجَن) ولم ينطق بكلمة..»

في نهاية المدونة ذكر لي (جسار) أنّ القبيلة عيّنتُ مدوناً جديداً، وسوف  
يقوم بإرسال المدونات لي كي أحفظها أينما كنتُ، وكتب لي طريقة  
للتواصل معه في أيّ وقت وفي أيّ مكان.

انتهت المدونة.

## العودة إلى حياتي

عدتُ لبلادي بعدَ انتهاءِ الأحداثِ، وكالعادةِ لم أجدُ شيئاً أقولُهُ لأهلي  
وهم لم يُصروا بالسؤال.

كنتُ وقتها قد بلغتُ نهايةَ العشرين من عمري، أكملتُ دراستي الجامعيةَ  
وتخرّجتُ، وعشتُ حياةَ طبيعيةَ لفترةٍ تجاوزتِ الأربعَ سنواتِ، وكانت  
مُدوناتُ قبيلةِ (الكُثبانِ) تصلُّني بانتظامٍ كلّما امتلأتُ وهذا في العادةِ  
يحدثُ كلَّ ثلاثةِ أشهرٍ تقريباً.

كنتُ أقرأُ المُدوناتِ بحثاً عن أخبارِ القبيلةِ وأخبارِ العالمِ الذي هجرتهُ  
منذُ ستينِ، وكنتُ أحياناً أصادفُ الرسولَ الذي يوصلُها لي فينحني أمامي  
ويضعُها تحتَ قدمي، وأحياناً أستيقظُ لأجدُها بجانبِي. يبدو أن (جسار)  
كانَ حريصاً على ألا يُزعجَ منامي، عدا يوماً من ليلةٍ طويلةٍ قضيتها مع  
أصدقائي وكنتُ مُرهقاً جداً وأريدُ النومَ، فدخلتُ غرفتي لأجدَ رسولَ  
المُدوناتِ ينتظرنِي على غيرِ عادتهِ؛ فهو إذا لم يجدني بالغرفةِ تركَ المُدونةَ

ورحل، لكن يبدو أنه كان لديه أمر آخر يريد أن يخبرني به، فجلستُ على طرف السرير وانحنى هو على ركبتيه كعادته وقال :

«هل تأذن لي بالحديث يا سيدي؟»

أذنتُ له وقلتُ: تحدث بسرعة، أريد النوم.  
قال: سيدي (جسار) يُرسلُ لك سلامه ويبلغك أن المدونة التي معي قد  
تَعَكَرَّ صفوك، لذا لك الخيارُ في قراءتها أو حرقها.

مدَّ الرسولُ المدونة لي فأخذتها واختفى ..

ترددتُ في قراءتها في البداية؛ لأنني كنتُ مُتعبًا ولا أريدُ قضاء تلك الليلة  
في قراءة مُدونة كاملة، لكن وكما يحدثُ معي دائمًا تمكَّنَ الفضولُ مني،  
وأدركتُ أن تجاهلها لن يُريحني ولن يكون سهلًا وسيُسلبُ النومَ من  
عيني، ففتحتُ المدونة وبدأتُ أقرأ.

تَكَلَّمَتِ الْمُدَوْنَةُ وَكَعَادَتِهَا عَنْ بطولاتِ (جسار) ومعاركه مع القبائل  
الأخرى التي أخضع معظمها تحت إمرته وسلطته بالقوة بها فيها قبيلة  
(الصوارم)، وأعاد بذلك مجد قبيلة (الكُثبان) لسابق عهدِها وأكثر، وكانت  
(جُند) بجانبه في تلك الفتوحات الكبيرة، استمرت المدونة بالحديث عن  
قيام مجموعة لقبوا أنفسهم بـ(العشرة المؤمنين)، وهم مجموعة من أتباع  
(ملاس) من الأقران المؤمنين الذين شاركوا في حرب الإطاحة بـ(مازع)  
بتنفيذ حملة من الاغتيالات في صفوف قيادات جيش (جسار)، وكان  
(جسار) مُستاءً منهم جدًا.

في نهاية المدونة ذكر أن (جُند) تعقبت (دَجَن) وقتلته قبل شهر، وكان  
(جسار) قد كتب في آخر سطر في المدونة : «لقد سجنْتُ (جُند) على ما  
قامت به وهي تنتظر أمر سيدي بالعفو أو الموت.»

انتهت المدونة.



## جحيمة العودة للعالم السفلي

حزنتُ على (دَجَن) كثيرًا، وكانتُ مشاعري نحوه في حياته مُتقلِّبة لكنَّ مشاعري بعدَ خبرِ موتهِ توَحَّدتُ، كنتُ حزينًا على رحيلِ ذلكَ القرينِ المُبتسم، لكنَّ حزني عليه لم يدفعني للانتقامِ لموتهِ بقتلِ قاتله؛ لأنَّ هذا لن يُعيدَهُ فأرسلتُ لـ (جسار) بأنَّ يعفوَ عن (جُند). بعدَ ما تلقيتُ خبرَ موتِ (دَجَن) أرسلتُ لـ (جسار) بأنَّ يتوقَّفَ عن إرسالِ المُدَوَّناتِ لي، وأنَّ يُرسلَ أحدًا ليأخذَ المُدَوَّناتِ التي تراكمتُ عندي خلالَ السنواتِ الماضية، نقدَّ (جسار) ما أمرتهُ بهِ ومضى أكثرُ من عامٍ بعدَ ما أخذتُ جميعَ المُدَوَّناتِ مِن غُرفتي.

بعدَ انقضاءِ عامٍ تقريبًا من توقُّفِ وصولِ المُدَوَّناتِ لي، كنتُ مُتوجِّهًا لغُرفتي ذاتَ مساءٍ كي أَسْتَعِدَّ للخروجِ لمقابلةِ أصدقائي كعادتي اليوميَّة التي لم أتركها، فوجدتُ رسولَ المُدَوَّناتِ والذي كانَ اسمُهُ (يقلب) ينتظرُني، فسألته: ماذا تفعلُ هنا يا (يقلب)؟

فردَّ عليَّ وهوَ على ركبتهِ وقال: سيَّدي (جسار) يطلبُ حضورَكَ.  
- أخبر (جسار) أنَّي لا أريدُ أن أذهبَ معكَ إليه، فقدِ انتهتِ علاقتي

بكم وبعالمكم وحياتي عادت لطبيعتها ولا نية لي في العودة مرة أخرى  
لذلك أخبره أن يتوقف عن التواصل معي.

(يقلب) : (العشرة المؤمنون) عرفوا طريقك، وهم قادمون إليك  
ليقتلوك وسيدي (جسار) يريد أن يحميك منهم.

وضعت راحة يدي على جبیني وأنا مُغمض العينين وقلت في نفسي:

«متى أنتهي من هذا الجحيم؟»

أمرت (يقلب) بالانتظار في غرفتي وتوجهت لغرفة أخي وقلت له:  
سوف أسافر لفترة بسيطة لإنجاز بعض الأعمال وأعود بإذن الله.  
فنظر لي بحزن وقال: لا تكذب علي.

عانقته وعدت لغرفتي ودخلت على (يقلب) وقلت له: أين سيّدك  
(جسار) الآن؟

(يقلب) : لقد استقرّ في جبال الأطلس بعيداً في أقصى الغرب.

- خذني إليه الآن.

(يقلب) : «سمعاً وطاعة»

في غضونِ ثوانٍ وجدتُ نفسي في أقصى الغربِ عندَ جبالِ الأطلسِ،  
حيثُ هبطَ بي (يقلب) في أحدِ وديانها، ثمَّ تركني وقد كانَ الوقتُ ليلاً  
قُرابةَ التاسعةِ مساءً، وكانَ المكانُ مهجوراً وحالكُ الظلمةِ، فجلستُ على  
الرمْلِ الباردِ المُختلطِ بالصخورِ الصغيرةِ حتَّى باغتني النومُ، لم أُنَبِّهْ إلا على  
صوتِ يُنبِّهني ويقول: استيقظْ سيدي المدُون.

ففتحتُ عينيَّ لأرى (جُند) تمُدُّ يدها لي كي تساعدني على النهوضِ  
وبجانِبها (جسار) وهو ينظرُ للأفق. وجَّهْتُ نظري حيثُ كانَ (جسار)  
ينظرُ، فرأيتُ في عتمةِ ذلكَ الليلِ منظرًا مهيبًا، رأيتُ الآلافَ مِنَ العيونِ  
المُسَّعةِ مثلَ عيونِ القططِ تنظرُ باتجاهي وعندما هممتُ بالوقوفِ انخفضتُ  
وكأنَّها ركعتُ على رُكبِها، أشارَ (جسار) بيدهِ لانصرافهم وفي لمحِ البصرِ  
اختفوا جميعًا، فالتفتَ (جسار) نحوي وقالَ: مرحبًا بعودتك سيدي.

أمسكتُ (جُند) بيديَّ وهي تبتسمُ، وأشارتُ لي كي أتقدَّمَ نحوَ كهفٍ كانَ  
خلفنا بينَ الجبالِ فمشيتُ معها وتبعنا (جسار)، وعندما دخلنا الكهفَ أضاءَ  
المكانُ وكأنَّ ألفَ شمعةٍ قد أُوقدتُ فيه، تقدَّمتنا وتعمَّقنا داخلَ الكهفِ حتَّى

أقبلنا على عرشٍ ضخمٍ من الصخورِ استقرَّ في وسطِ الكهفِ، بعدها أشارَ (جسار) بيده لي للجلوسِ على العرشِ، فتوجَّهْتُ للعرشِ الذي كانَ أكبرَ مِن أنْ أجلسَ عليه؛ فقد كانَ يناسبُ حجمَ جسدِ أكبرَ مثلِ جسدِ (جسار) لكنني توجَّهْتُ له وجلستُ عليه، وفي لحظةٍ جلوسِي انحنى (جسار) وأخْتَهُ (جُند) أمامي وقالَا بصوتٍ واحدٍ: ننتظرُ منك الأمرَ أيُّها السيّد.

سكْتُ قليلاً ثمَّ سألتُ (جسار) وقلتُ: عن ماذا تتحدَّثانِ يا (جسار)؟  
(جسار): منذُ رحيلِكَ وأنا أعيدُ بناءَ مملكةِ أبي، مملكةِ (الكُبانِ) العظيمةِ لأعيدَها لسابقِ مجدِّها، وقد فعلتُ ذلكَ ولم أتوقَّفْ عندَ هذا الحدِّ، بل سيطرتُ على الكثيرِ مِنَ القبائلِ التي لم تخضعَ للوائي.  
- أعرفُ ذلكَ يا (جسار) فقد قرأتُ كلَّ ذلكَ في المدوّناتِ التي كنتُ تُرسلها لي.

(جسار): لكنَّ ما لا تعرفُهُ يا سيّدي أنّ هناكَ من يعبُثُ بمملكتي ويحاولُ تدميرَها.

- هل تقصدُ (العشرةَ المؤمنين)؟

(جسار): نعم، فمنذُ موتِ سيّدهم الهالكِ (ملاس) وهم يحاولونَ الثأرَ له، أو الموتَ شهداءَ في سبيلِ تحقيقِ ذلك.

- لكنَّ المَدُونَاتِ تذكُرُ أَنَّ أَعْدَادَهُمْ لَا تَتَجَاوَزُ الألفَ، وجيشك كما رأيتُ في الخارجِ أكثرُ بكثيرٍ من ذلك.

(جسار) : لو كانوا يواجهونني في معركةٍ مُباشرةٍ لسحقْتُهم، لكنَّهم يهاجمونني كَرًّا وفَرًّا وهذا الأمرُ يستنزِفُ جيشي ويستنفدُ أعصابي.

- وما علاقتي أنا بهذا الموضوعِ يا (جسار)؟

(جسار) : بعد ما يثبُتُ من مواجهتِهِم وجهًا لوجه قمتُ بتجنيدِ قرينِ كافرٍ بين صفوفِهِم؛ لأنَّهم بعكسِ قائِدِهِم الهالكِ لا يقبلونَ الشياطينَ الكفَرَةَ بَيْنَهُم، لذلك جعلتُهُ يدَّعي أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ويريدُ أَنْ يُشاركَهُم في مسعاهم وهو مصدرُ معلوماتي الوحيدُ، وقد أخبرني بالأمسِ أَنَّهُم يسعونَ لقتلكِ.

- قتلي أنا؟ ولماذا أنا؟

(جسار) : لأنَّكَ مَنْ حرَّرتِ لقتلِ (ملاس) في تلكِ الليلةِ التي هجمَ فيها على (جُند) في محاولتهِ للنَّارِ لمقتلِ صاحبهِ (سالم).

فسكتُ قليلاً ثمَّ قلتُ: وماذا تنوي أَنْ تفعلَ يا (جسار)؟

(جسار) : سأحميكِ بإبقائكِ عندي حتَّى أبيعَهُم جميعاً!

- (جسار) .. معارككم تستمرُّ لعشراتِ السنواتِ، وقد أُموتُ قبلَ أَنْ

تنتهي من إبادتهم.

(جسار) : سوف أجعلك تعيش في نعيم ورغد، ولن تحتاج شيئاً من  
عالمك وأنت هنا بيننا.

- هل تستطيع أن تعوّضني عن أهلي وحياتي؟

(جسار) : إذا أمرت فسوف أحضرهم جميعاً لك هنا.

فصرخت فيه دون تفكير وقلت له: لا، لا تُقحم أهلي في عالمكم!

ولأول مرة أرى (جسار) خائفاً وكذلك (جند) ولم يكن لديّ أيّة قوّة  
جسديّة تُقارنُ بهما، لكن عندما صرختُ عليهما بثقةٍ بدا عليهما الخوفُ الشديدُ.  
أمرتُ (جسار) بعدَ حوارٍ معه بأن ينصرف هو وأخته كي أفكر في هذا  
الموضوع، فانصرفا دون نقاش.

مضتُ أياماً وأنا في ذلك المكان، ولم يكن يدخل عليّ سوى (جسار) بعدَ  
الاستئذان، وكان يصاحبني يومياً لسفح الجبلِ لحاجتي الملحة للخروج  
من ذلك الكهف واستنشاق بعض الهواء، وكنتُ أطلبُ منه تركي وحدي  
بالرغم من مُمانعته خوفاً على سلامتي، لكنني كنتُ أصرُّ لرغبتني بالإحساس  
بالحرية التي سلبتُ مني مرةً أخرى.



استيقظتُ في صباحِ أحدِ الأيامِ وأنا أنتظرُ (جسار) ليدخلَ عليَّ كعادتهِ  
ويأخذني لسفحِ الجبلِ، فجلستُ أنتظرهُ أفكرُ وحدي لفترةٍ لم تتجاوزَ العشرَ  
دقائقَ حتَّى سمعتُ صوتًا عندَ مدخلِ الكهفِ يقولُ:  
«هلْ تأذنُ لي بالدخولِ يا سيّدي؟»

لم يكنْ صوتُ (جسار) الذي طلبَ الإذنَ بالدخولِ لكنني أذنت له ..

دخلَ صاحبُ الصوتِ ورأيتُ وجهَهُ، وكانتْ صدمةٌ جعلتني أقفُ  
على قدميّ فاتحاً فمي وعينيّ، فقد كانَ الواقفُ أمامي (عمار) وقبلَ أنْ أتفوّهَ  
بكلمةٍ قالَ لي:

«لا تخفُ لستُ صاحبك الذي غدرتَ به ..»

سكتَ والعرقُ بدأ ينزلُ من جبينِي، ثمَّ أكملَ كلامَهُ وقال وهو يبتسمُ:  
أنا هنا خادمٌ لخادمك (جسار)، فلم يُعْذِ لي مأوىً بعد أنْ غدرتَ بصاحبِي



(عمّار)، أنا (رامع) القرينُ الشاهدُ عليك وعلى يدك التي وضعت ذلك الغصنَ تحتَ وسادةِ صاحبي

ضاقت أنفاسي وبدأ قلبي بالخفقان، وقلتُ له دون تفكيرٍ: ماذا تريدُ؟  
(رامع): لا شيء.

- لا تراوغ وتُطلْ معي في الحديث، أفصحْ عما يدورُ في خلدك!  
نظرَ (رامع) للعرشِ الذي كان خلفي وقال: أنْ أجلسَ على ذلك العرش.

سكتُ مصدوماً ثم قلتُ له بهدوءٍ: وكيف تنوي تحقيقَ ذلك؟!  
(رامع): هذه أقلُّ فديةٍ يمكنُ أنْ تُقدّمَها لي بعدَ قتلِكَ للرجلِ الذي آواكَ في بيته ثلاثَ سنواتٍ.

صرختُ فيه وقلتُ: (عمّار) لم يَأوِنِي، (عمّار) خدعني واستغلّني!  
(رامع): دعنا لا نهتمُّ أو نغصُ في التفاصيلِ الآن، خلاصةُ الموضوعِ أنَّكَ ساعدتَ في قتلهِ و(جسار) و(جند) لا يعرفان ذلك، وعندما سألاني عن تلكَ الليلةِ التي قُتلَ فيها (عمّار) وعن هُويّةِ من قتلهُ أخبرتهما أنّي لا أعرفُ مَنْ قتلهُ؛ لأنَّ (عمّار) قد حرّرني وأرسلني تلكَ الليلةِ في مهمّةٍ،

وبالطبع هذا الكلام غير صحيح لأنني كنتُ هناك ورأيْتُك وأنتَ تضعُ  
غصنَ الزيتونِ تحتَ وسادةِ (عمار)، ورأيْتُ السافلَ (دَجَن) وهو يدخلُ  
خلفك ليطيحَ برأسِ صاحبي.

كنتُ أسمعُ كلماتِ (رامع) وأقولُ في نفسي: كيفَ لم أنتبهَ لقريِنِ (عمار)  
وأنا قد مررتُ بكلِّ هذه الأحداثِ والأُمُورِ مع الشياطينِ والأقرانِ، وكيفَ  
لم ينتبهَ (دَجَن) لذلك؟

لكنُ في لحظةٍ مِنَ التفكيرِ أيقنتُ أني هالكٌ إذا لم أتعاونُ مع (رامع)  
أو على الأقل أجارَه حتَّى أجدَ حلاً للتعاملِ معه، جلستُ على العرشِ  
الصخريِّ الباردِ وقلتُ لـ (رامع) وأنا أحاولُ إخفاءَ توتُّري من كلامه: وما  
هو المطلوبُ مِنِّي الآن؟

(رامع): الآنَ بدأتَ تُفكِّرُ بذكاءٍ، اسمعُ يا (خوف) أليسَ هذا الاسمُ  
الذي سمَّاكَ بهِ صاحبي؟  
-: بلى.

(رامع): لا أريدُ منك شيئاً سوى أن تكونَ تحتَ أُمري وتنفِّذَ كلَّ ما  
أمرُك بهِ حتَّى أتلخَّصَ مِن (جسار) وأختِهِ العاهرةِ، وأحصلَ على عرشِهِ  
وملكِهِ.

- وكيف تنوي القيام بذلك؟

(رامع) : لا عليك، فالتفاصيل ليست من شأنك، كل ما هو مطلوب منك أن تُنفذ ما أطلبه في وقته وأيُّ ترددٍ من قبلك أو عدم استجابة سوف أتوجه لـ (جسار) وأخته وأخبرهما بما فعلت أنت و (دجن)

سكت ولم أكمل الحديث فاخفى قرين (عمار) ..

جلستُ على عرش (جسار) وأنا في دُھولٍ ممّا سمعتُ، وبعد ساعة استأذن (جسار) بالدخول عليّ، فأذنتُ له فدخلَ ومعه مجموعة من الشياطينِ الإناثِ وقال: هل تأذنُ يا سيّدي ببقاء هؤلاء الحرسِ معك فسألته: ولماذا كلهن إناثٌ؟

(جسار) : لأنهن لسن للحراسة فقط، بل لتسليتك في وحدتك.

- لا أحتاج للتسليّة يا (جسار)، دعهن يقفن عند مدخل الكهف فقط.

(جسار) : سمعاً وطاعة.

أمر (جسار) الحُرّاسَ بالخروج والوقوفِ أمامَ مدخلِ الكهفِ، ثم اقتربَ منّي وقال: لديّ أخبارٌ مُفرحةٌ لك يا سيّدي.

- ما هي هذه الأخبار يا (جسار)؟

(جسار) : الجاسوس الذي أخبرتك عنه قال لي إن خمسة من العشرة المؤمنين سيكونون موجودين في مكان قريب من هنا، وستكون فرصة سانحة لقتلهم لأنهم وحدهم وأغلب جيوشنا تتركز في هذه الجبال.

- ولماذا أتوا إلى هنا دون حراسة؟

(جسار) : أتوا في مهمة انتحارية في محاولة منهم لقتلك بعد ما علموا أنني أويتك وحميتك.

- وأين الخبر المفرح هنا يا (جسار)؟

(جسار) : ستكون فرصة رائعة للتخلص منهم؛ لأنهم سيعتمدون على عنصر المفاجأة ظناً منهم أننا لا نعرف شيئاً عن خططهم، وسيكون ذلك هو سلاحنا ضدهم حيث أنني عازم على نصب فخ لهم في المكان الذي قرروا فيه الهجوم عليك.

- وأين هذا المكان؟

(جسار) : سفح الجبل الذي اعتدت على الذهاب له كل يوم عند الفجر كي تنسى جو الكهف ووحشته.

- هل أنت مُتَيَقِّنٌ مِنْ هذه المعلومات؟

(جسار): نعم، ويمكنُكَ سماعُ ذلكِ مِنَ الجاسوسِ نفسه.

فصرخَ (جسار) ليستدعي الجاسوسَ وقالَ: تعالِ أيتها الجاسوسُ أمامَ سيِّدِكَ!

دخلَ علينا (رامع) وعلى وجهه ارتسمت ابتسامةٌ مُقرَّزةٌ، وحكى أمامي ما قاله (جسار)، وعرفتُ وقتها أن هناك خدعةً وأن (رامع) قد يكونُ مُتعاونًا مع (العشرةِ المؤمنين) لتحقيقِ أغراضِهِ الشخصيةِ وأهمُّها التخلصُ مِنْ (جسار).

عندما انتهى (رامع) مِنْ حديثِهِ أمرتهُ بالانصرافِ فنظرتُ لي نظرةً غريبةً لاحظتها (جسار) فلطمتهُ على وجهِهِ وقالَ: لا تُحدِّقْ بسيِّدِكَ هكذا أيتها العبدُ! خرجَ (رامع) مِنَ المكانِ، وقالَ (جسار): هل تأمرُني بقتلهِ يا سيِّدي؟

في تلكَ اللحظةِ وجدتُ الخلاصَ مِنْ تهديدِ (رامع) يتجلَّى أمامي، وبينَ يديَّ وينتظرُ إشارةً من إصبعي لكنتي لم أستطعُ أن أعطي أمرًا كهذا؛ فما

زالت إنسانيتي تنبضُ بداخلي بالرغمِ من الشياطينِ التي كانت وما زالت  
تحيطُ بي فقلتُ لـ (جسار): كلاً اتركه ..

صمتَ (جسار) بخيبةِ أملٍ وكأنَّه كانَ يريدُ مني إعطاءَ الأمرِ بقتلِ  
(رامع) ثمَّ قالَ: هل تأذنُ لي بالذهابِ خلفَ الخمسةِ المُرسَلين لقتلكَ يا  
سيدي؟

- متى تنوي الهجومَ عليهم؟

(جسار): وصورُهم سيكونُ عندَ اكتمالِ القمرِ.

وكانَ ذلكَ بعدَ أيَّامٍ فقلتُ لـ (جسار): دعني أفكرُ قليلاً وسأخبرُكَ  
بقراري لاحقاً.

(جسار): سمعاً وطاعةً سيدي، وقتها تشاء.

خرجَ (جسار) مِنَ الكهفِ ممَّا أثارَ في نفسي تساؤلاً:

لماذا يخرجُ بعضُ الشياطينِ مِنَ الكهفِ مَشياً كالْبشرِ في بعضِ الأوقاتِ،  
وفي أوقاتٍ أخرى يَخْتَفُونَ كالدخانِ المُتبَخَّر، ما الفرقُ بينَ الحالتين؟»



لم تكن هذه المرة الأولى التي أستغربُ فيها من بعضِ سلوكياتِ الشياطين،  
وكنْتُ أحاولُ في كلِّ مرةٍ مُلاحظةً ما أستطيعُ ملاحظته واستنتاجِ الإجابةِ  
دونَ الحاجةِ للسؤالِ، لكنني أدركتُ في النهايةِ أنَّ عالمهم مليءٌ بالأسرارِ  
وقد لا أعرفها أبدًا.

قضيتُ تلكَ الليلةَ في الكهفِ بعد ما أعدتِ الحارساتِ اللاتي عيَّهنَ  
(جسار) لحراستي مكانًا لي كي أنامَ، وبالرغمِ مِنْ مُحاولاتهنَّ الشيطانيةِ  
لمشاركتهنَّ فراشي لم أستجبْ لهنَّ وأمرتهنَّ بالانصرافِ.

في اليومِ التالي استيقظتُ على صوتِ (جُند) وهي تستأذنُ بالدخولِ،  
فأذنتُ لها وعندما استقرت أمامي لاحظتُ أنَّها لم تنحنِ مثل كلِّ مَنْ يدخلُ  
عليَّ، واقتربتُ مِنِّي بشكلٍ مُبالغٍ فيه حتَّى وصلت لأذني وهمستُ فيها  
وقالت: ألم تستق لي سيدي المدوّن؟

وضعتُ يدي على صدرها ودفعْتُها بهدوءٍ وقلتُ: لستُ مُدوّنٍ لأحدٍ  
الآن.

اقتربتُ مرَّةً أخرى مِنِّي، وقالتُ وهي تبتسم: هل أفهمُ مِنْ ذلكَ أنَّكَ  
لم تستق لي؟



في تلك اللحظة اتخذت قرارًا بأنني لن أتعامل معها بلين، خاصة بعد قتلها لـ (دجن) فدفعتها بقوة وأنا أصرخ: لا تتعدّي حدودك يا (جند)! فنزلت على ركبتيها وقالت: أعتذر سيدي، اصفح عني. طلبت من (جند) أن تنصرف إذا لم يكن لديها حديث مهمّ معي فقالت: أريد أن أحدثك بشأن جاسوس (جسار).

سكتُ قليلًا ثم قلتُ لها: أفصحني عما يدور في بالك .. فحكّت (جند) أنها لا تثقُ بـ (رامع) وأنه قرينٌ لييم ولا أمان له، فهو وكما كان يقولُ لها (عمار) عندما كانت تُعاشره: قريني أخبث مني بكثيرٍ لذلك لا أحرّره كثيرًا إلا للضرورة القصوى فقط.

- هل تملكين شيئًا ملموسًا عليه، أم أنها مجردُ شكوك؟

(جند): عندما قُتل (عمار) قال (رامع) لي أنا و (جسار) إنه كان مُحَرَّرًا، ولم يُشاهدِ القاتل وهذا يناقضُ كلامَ (عمار) الذي كان يُخبرني أنه نادرًا ما يُحرّره. فقلتُ لها وقد بدأتُ أتوتّر من كلامِها: لعلّ (عمار) حرّره تلك الليلة لغرضٍ ما، وكانت مجردُ مُصادفةٍ.

(جُند) : مُستحيلٌ، (عمَّار) لا يُحرِّزُ قَريَنَه إِلَّا لِأَمْرِ هَامٍ، وَالأَمْرُ الَّذِي قَالَ  
(رامع) إِنَّ (عمَّار) حرَّره من أَجلِه كَانَ تافهًا جدًّا.

- هل تشكين بأنَّه هو من قتلَ (عمَّار)

(جُند) : لا أَظُنُّ، ولا أعرفُ، كُلُّ ما أَنَا مُتيقَّنةٌ منه هو أَنَّه لم يخبِرنا  
بالحقيقةِ كاملةً.

- وماذا تريدِينَ مِنِّي الآن؟

(جُند) : لا شيءٌ، لكن خُذِ الحذرَ منه فهو أَخْبَثُ مما يَظهرُ، و(جسار)  
يرفضُ الاستماعَ لي لكنَّه يَسمعُ لكلامِكَ.

- لا بأسَ يا (جُند) سأفكرُ في كلامِكَ.

(جُند) : هل تأذِنُ لي بالانصرافِ؟

- نعم .. يمكنكِ الانصرافَ

لكن حينها أدارت ظهرها للانصرافِ قلتُ لها مستدرِّكًا : توقَّفي يا  
(جُند) ..

فأدارت وجهها مُبتسمةً وقالتُ : هل تأمرُني بشيءٍ آخر يا سيِّدي؟

- احكي لي كيف قتلتِ (دَجَن)؟

ذابت الابتسامةُ عن وجهِها وقالت: هل أنت واثقٌ من طلبك يا سيدي؟

- تكلمي يا (جُند) ولن أحاسبك على شيءٍ هذا عهدٌ مني

أنزلت الشيطانة رأسها وحكت لي ما حدث بالتفصيل ..

# حكاية قتل (جُند) لـ (دَجَن) كما روتها بنفسها

أخبرتني (جُند) أنها بعدَ تحريرِ (جسار) لـ (دَجَن)، ورفضه قتلها له لم تستطع نسيانَ رغبتها الملحة في الانتقام من قاتل أبيها ومُحرّرِ (جسار) الذي سرقَ أضواءَ الاهتمام منها، خاصةً بعدَ معرفتها أنه كان يتعاونُ مع (ملاس)، فقرّرت البحثَ عنه بنفسها وأمضت شهوراً وهي تتقصى أثره بين القبائل وأماكن تجمع الشياطينِ رغبةً منها في الانتقام، لكنها لم تجدْ له أثراً وأصبحَ معروفًا بين أفراد قبيلتها والقبائل الأخرى تلك الرغبة.

استأنفت (جُند) حديثها وقالت: وبالرغم من أن (جسار) كان على علم بمحاولاتي المستميتة للأخذِ بثأر أبي من (دَجَن)، إلا أنه لم يُحرِّك ساكناً وكأنه واثق من أنني لن أجده أو أستطيع الوصول إليه.

وبعدَ عدّة سنواتٍ من الغزواتِ استعادَ (جسار) مجدَ القبيلة، وأصبحنا قبيلةً لكلّ شيطانٍ يريدُ المأوى؛ لذلك كانت عروضُ الانضمامِ لنا في ازديادٍ كلَّ يومٍ.

خلال تلك الفترة دخل علينا (رامع) قرين (عمار)، وكان مُصابًا وطلب الحماية من (جسار) بحكم أن صاحبه كان مُدوّنًا سابقًا لقبيلتنا، فوافق (جسار) على حمايته وضمّه لصفوف العشيرة خاصّة وأنّ في تلك الفترة كانت مجموعة (العشرة المؤمنين) في قمة نزاعها مع (جسار)، وكان يريد أن يستفيد من شيطان قوي كقرين (عمار) ليقاتل في صفوف جيشه.

مضت الأيام والشهور، وبدأ (رامع) يتقرّب من (جسار) بشكل ملحوظ، واستطاع كسب ودّه لكنّه لم يكسب ثقته، وتمادى (رامع) في ثقته بنفسه، وبدأ بالتقرب منّي لكنّي نهرته بقوة وقلتُ له إنّهُ لم يرتق لهذه الدرجة فقال: اطلبي ما تشائين يا (جُند)، وسوف أحضره لك.

فقلتُ له باستهزاء: أرشدني إلى مكان (دَجَن) ولك ما شئت، فقال: أنا على علم بمكانه لكنّ على ماذا سأحصل في المقابل؟

فقدتُ عقلي وتركيزي عندما سمعتُ اسم (دَجَن)، وأمسكتُ بـ(رامع) وصرختُ في وجهه بأنّ يُخبرني عن مكانه فقال: لا أستطيع؛ لأنّ هذا يخالف رغبة سيّدي (جسار).

فقلتُ له: رغبة سيدك (جسار) لن تُنقذك عندما أفصلُ رأسك عن جسدك!

سَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فَصَرَخْتُ بِهِ بِقُوَّةٍ: أَخْبِرْنِي وَإِلَّا قَطَعْتُ رَأْسَكَ!  
فَقَالَ: لَنْ أَدْلَكَ عَلَيْهِ، لَكِنْ سَأَدْلُكَ عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يَسْكُنُ فِيهَا الْآنَ،  
وَهَذَا أَقْصَى مَا أَسْتَطِيعُ.

فَقُلْتُ لَهُ: تَكَلَّمْ وَلَا تُرَاوِغْ يَا شَيْطَانُ!

فَقَالَ: (دَجَن) مَوْجُودٌ فِي مَكَّةَ...

فَقُلْتُ: مُسْتَحِيلٌ! مَكَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مُسْلِمُونَ.

فَقَالَ: (دَجَن) أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ مَا حَرَّرَهُ (جَسَار) مِنْ مَخَالِبِكَ، وَهُوَ  
يَعِيشُ هُنَاكَ بِسَلَامٍ مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَيَحَاوِلُ أَنْ يُكْفِّرَ عَنْ ذُنُوبِهِ فِي الْمَاضِي،  
غَضِبْتُ وَصَرَخْتُ فِيهِ وَقُلْتُ لَهُ: سَوْفَ تَسَاعِدُنِي فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ مَكَّةَ يَا  
(رَامِع) وَسَوْفَ أَقْتُلُهُ.

فَقَالَ لِي: كَيْفَ أَسَاعِدُكَ، حَتَّى أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ دُخُولَ مَكَّةَ؟

فَقُلْتُ لَهُ: اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي إِذَا، لَا نَفْعَ مِنْكَ!

قَاطَعْتُهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَقُلْتُ لَهَا:

«لِمَاذَا لَمْ تَتْرَكِي (دَجَن) وَشَأْنَهُ؟»

(جُند) : دُمُ أَبِي لَيْسَ كَدِمِ (عَمَّار) أَوْ غَيْرِهِ .

أَشْرْتُ لَهَا بَيْدِي وَقَلْتُ لَهَا : أَكْمَلِي ..

قَالَتْ (جُند) بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّهَا اسْتَأْذَنْتْ مِنْ (جَسَار) لِلذَّهَابِ فِي خَلْوَةٍ (وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ ، فبَعْضُهُمْ قَدْ يَخْتَلِي بِنَفْسِهِ لَسَنِينَ لَوْ حَصَلَ عَلَى الْإِذْنِ) ، أَذِنَ لَهَا (جَسَار) وَتَوَجَّهَتْ لِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ ، وَمَكَثَتْ عِنْدَ أَطْرَافِهَا لِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الدَّخُولَ ، وَبَقِيَتْ تَنْتَظِرُ لَشَهْوَرٍ عَدَّةٍ عِنْدَ أَطْرَافِ مَكَّةَ تَتَشَكَّلُ مِنْ وَقْتٍ لآخرٍ لِلبَشَرِ الْقَادِمِينَ لِلْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهَا لِلْبَحْثِ عَمَّنْ يَسَاعِدُهَا لِإِخْرَاجِ (دَجَن) مِنَ الْمَدِينَةِ ، لَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ لِمَكَّةَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَيَتَجَنَّبُونَهَا عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهَا .

قَرَّرْتُ (جُند) بَعْدَ أَنْ طَالَ انْتِظَارُهَا الذَّهَابَ شَمَالًا لِلْبَحْثِ عَنْ سَاحِرٍ مِنَ الْإِنْسِ لِيَسَاعِدَهَا وَانْتَهَى بِهَا الْمَطَافُ فِي بَلَدِ النَّهْرَيْنِ ، حَيْثُ سَأَلْتُ الشَّيَاطِينَ هُنَاكَ وَأَرْشَدُونَهَا إِلَى سَاحِرٍ مَعْرُوفٍ فِي تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ ، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَتَشَكَّلْتُ أَمَامَهُ ؛ وَلِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ الْآنَ مِنَ الْأَسْيَادِ لَمْ يَسْتَطِعِ السَّاحِرُ مَنَعَهَا مِنَ الدَّخُولِ عَلَيْهِ وَإِجْبَارِهِ عَلَى سَمَاعِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا تَرِيدُ مِنْهُ الذَّهَابَ لِمَكَّةَ وَتَقْيِيدَ قَرِينِ مُؤْمِنٍ فَقَالَ لَهَا السَّاحِرُ : مُسْتَحِيلٌ أَنَا لَا أَمْلِكُ الْقُدْرَةَ



على ذلك؛ فالقرينُ المؤمنُ هو من أشدَّ الأنواعِ قوَّةً والسيطرةُ عليه تستلزمُ  
طلاسمَ نادرةً لا أملكُها»

فقلتُ له: خُذْ هذا الكتابَ واقرأ طلاسِمَهُ وسيحضرُ هذا القرينُ  
المؤمنُ أمامَكَ مُقيِّداً، عندها اقرأ الطلسمَ الثاني وسيكونُ خارجَ مَكَّةَ أمامي  
وعندها سينتهي دورُكَ.

قاطعتها مرَّةً أخرى وقلتُ لها:

«ولماذا لم تستخدمي هذا الطلسمَ لإحضارِ (ملاس) في السابق، أو إحضارِ  
أفرادِ (العشرةِ المؤمنين) الآن؟»

(جُند): هذا الطلسمُ لا ينفعُ مع الأقرانِ الذين يُحيطونَ أنفسهم  
بحراسةٍ، و(دَجَن) كانَ وحيداً في مَكَّةَ.

- وهل وافقَ الساحرُ على هذا الكلام؟

ضحكتُ وقالتُ: حياتهُ أغلى من حياةِ (دَجَن) ولا يوجدُ ساحرٌ بضمير!

- لماذا لا تنطقينَ الطلسمَ بنفسِكَ؟

(جُند) : بعضُ الطلاسِمِ لا ينطقُها إلا البشرُ.

- أكملِي ..

(جُند) : نفَذَ السَّاحِرُ ما طلبتهُ منه بعد ما نقلتهُ لمدخلِ مَكَّةَ، فهو كما قالَ لا يستطيعُ السَّفَرَ إليها، وبعدَ دقائقٍ مِنْ دخوله مَكَّةَ كانَ (دَجَن) خارجَ حدودِها مُقَيَّدًا أمامي.

نظرتُ إليه وهو مُمدِّدٌ على الأرضِ، ومُقيَّدٌ عندَ قدمي. كنتُ أريدُه أنْ يتوسَّلَ لحياته، كنتُ أريدُه أنْ يُقبِلَ أقدامي كي أُحرِّره، لكنَّهُ لم يفعلْ، بلْ كانَ مُبتَسِمًا كالأحمقِ، فضربتُ عنقه وفصلتهُ عن رأسِه وعدتُ لقبيلتي بعدَ أنْ أخذتُ بشارِ أبي.

قلتُ لها بعد ما انتهتُ مِنَ الحديثِ: وماذا حلَّ بالسَّاحِرِ الذي ساعدَكَ؟  
(جُند) وهي تبتسِّمُ: قتلتهُ بالطبع.

أخذتُ نفسًا عميقًا ثمَّ أشرتُ لها بيدي بالانصرافِ فانصرفتُ ..

جلستُ بعدها أفكرُ في هذا العالم البشع، عالم الخداع والقتل، وعالم الغدر  
وانعدام الأمان.

لم يكنْ عالماً أنتمي إليه، وكانَ لا بدَّ أنْ أجدَ مخرجاً منه وإلى الأبد..

## البحث عن النور في جبال «أطلس»

أمضيت أياماً أفكرُ في مخرج من هذا المأزق الذي كنت فيه، فوجدتُ أن حياتي يُمكن أن تُسلبَ مِنِّي في أية لحظةٍ مِن قبلِ أيِّ أحدٍ، (فالعشرة المؤمنون) يريدون قتلِي و(رامع) يبتزُّني، وقد يتخلَّصُ مِنِّي في أيِّ وقتٍ بعد وصولهِ للعرش، و(جُند) و(جسار) لو علما بحقيقة ما حدث لـ(عمار) فسيقتلانني حتَّى دون أن يُعطيانِي فرصةً للدفاع عن نفسي، ولا يوجدُ أمانٌ بين هؤلاء الشياطين أبداً وولاؤهم مُتقلِّبٌ دائماً، فقررتُ أن أفكرَ بنفسي فقط وأن أستخدمَ عقلي وأعطِّلَ عاطفتي وحواسِّي كلها.

توصَّلتُ بعدَ تفكيرٍ طويلٍ لفكرةٍ كانت فيها مُخاطرةٌ لكنَّها في ذلك الوقت كانتُ الحلَّ الوحيدَ للحفاظ على حياتي، استدعيتُ (جسار) عن طريقِ الحُرَّاسِ، وطلبتُ منه أن يأتي وحدهُ ففعلَ وأتى أمامي، وقال:

«هل اتخذت قراراً يا سيدي بشأن هجومنا على الخمسة القادمين لقتلك من أفراد (العشرة المؤمنين)؟»

- نعم، ولكن هناك تغييرٌ في الخطة

(جسار): تغييرٌ؟ ما نوعُ هذا التغيير؟

- سوف نُرسلُ (رامع) لهم ليخبرَهم أَني سأكونُ وحدي عندَ سفحِ  
الجبلِ كعادتي كلَّ صباحٍ.

قاطعني (جسار) وقالَ: كي نُعدَّ لهم فخًا ونهجمَ عليهم، أليسَ كذلكَ  
يا سيدي؟

- لا.

(جسار) : ماذا تنوي إذا أن تفعلَ يا سيدي؟

فقلتُ له: اسمعْ يا (جسار) ..

ثم حكيتُ له ما كنتُ أريدُهُ أن يسمعَ فقط .. فقالَ:

«كما تشاءُ يا سيدي ..»

ذهبَ (جسار) وأعطى الأمرَ لـ (رامع) أن يُخبرَ الخمسةَ القادمينَ أَني  
سأكونُ على سفحِ جبلٍ من جبالِ الأطلسِ، غيرَ الذي اعتدتُ الذهابَ  
إليه كلَّ صباحٍ، وَأني سأكونُ لقمةَ سائغةٍ لهم، فذهبَ (رامع) وأخبرَهم  
بذلكَ، توجَّهتُ بعدها لسفحِ الجبلِ المُتَّفَقِ عليه، وصلتُ هناكَ وجلستُ  
أنتظرُ وصولَ الأقرانِ الذينَ تكَلَّمَ عنهم (رامع)، وبعدَ دقائقَ خرجَ خمسةٌ  
مِنَ (العشرةِ المؤمنين) وحاصروني مِن كلِّ اتِّجاهٍ وأنا جالسٌ على الأرضِ

أشاهدُهم وهم يحاصرونني بكلِّ ثقةٍ، بعدها تحدّث أحدهم وقال: اليومَ  
نقتصُّ منْ باعَ العهدَ وغدرَ شهيدِ الأقرانِ، فوقفتُ ونفضتُ الترابَ عن  
ثوبي بكلِّ هدوءٍ وقلتُ لهم: لا أملكُ وقتًا كافيًا لكم؛ لذلك سأختصرُ في  
كلامي قدرَ الإمكانِ فأنتم مُحاطونَ بمئةِ ألفِ شيطانٍ وعلى رأسِهِم (جسار)  
(جُند)، وإذا حاولَ أحدُكم مَسَّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِي فستموتونَ جميعًا في لمحِ  
البصرِ، فردَّ أحدهمَ بصوتٍ مُرتفعٍ وقال: «نموتُ بكرامةٍ ولا نعيشُ بذلَّةٍ»  
فقلتُ له:

«ما رأيك أن تعيشَ بكرامةٍ؟ أليسَ هذا خيارًا أفضلَ؟»

سَكَتَ مَنْ كَانَ يُحدِّثُنِي، وتغيَّرتْ ملامحُ وجهه منَ الغضبِ إلى  
الاستغرابِ، فتداركَ قرينُ آخرَ الكلامِ وقالَ بصوتٍ مُرتفعٍ:  
«لنْ نخدعَنا أيُّها الشيطانُ بكلامك!»

صرختُ في وجهه وقلتُ: احرصْ أيُّها القرينُ الأحمقُ، لا يعني أنَّكَ  
سَمَّيتَ نَفْسَكَ مُؤمِنًا أنَّ هذا صحيحٌ!

فصرخ في وجهي ثالث، وبدأ جدالٌ بيني وبينهم حاولتُ فيه التشكيك في مسعاهم الذي كان من الأساس غيرُ سديدٍ، فقد أمرتُ (جُند) قبلَ قدومي لسفح الجبلِ بجمع بعضِ المعلوماتِ عن الخمسةِ القادمينَ لقتلي بعد ما زودنا (رامع) بأسمائهم، فاكشفنا أنهم كانوا من الشياطينِ الفاسقين، وأصحابهم كلهم فسقةٌ ولا أثرٌ للإيمانِ في تاريخهم.

بعدَ جدالٍ طويلٍ مع الأقرانِ الخمسةِ تمكّنتُ من زعزعةِ ثقتهم في أنفسهم، وانخفضتُ حدّةُ كلامهم معي، وبدؤوا بالحديثِ معي بنبرةٍ مُنخفضةٍ حتّى سيطرتُ على محورِ الحديثِ بالكاملٍ، فتوصّلتُ معهم في النهايةِ لاتّفاقٍ بأنّي لن أفضحَ سرّهم لقائدهم الذي كان اسمه (دشار)، ولن آمرَ جيشَ الشياطينِ الذي يحاصّره بقتلهم إذا قطعوا عهدَ الولاءِ لي وهو عهدُ قرأتهُ في كتابِ (عمار) الذي استخدمتهُ لربطِ (جسار)، فقد كانَ في الكتابِ نصٌّ إذا قاله نفرٌ من الجنّ أو الشياطينِ لإنسٍ يصبحُ خادمًا وعبداً عنده حتّى يعتقه. فقال أحدهم: هل تريدُ منا أن نكونَ جزءًا من جيشك الشيطانيّ؟

- لا، لا نفعَ لكم هنا، أريدُكم بينَ أصحابكم لكن أريدُ ولاءكم لي قبلَ ذلك.



فَقَالَ آخِرًا: وَلَوْ لَمْ نَعَاهِدْكَ؟

- سَتَطِيرُ رُؤُوسُكُمْ بِإِشَارَةِ مَنِّي، وَسَنَرَى إِذَا كُنْتُمْ سَتَصْبِحُونَ شُهَدَاءَ  
أَمْ مُجَرَّدَ مُنَافِقِينَ.

فَصَمْتُوا جَمِيعًا، ثُمَّ قَالُوا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: بِهَذَا تَأْمُرُنَا يَا سَيِّدِي؟

أَدْرَكْتُ وَقْتُهَا أَنَّ نَظْرِيَّةَ الْخَوْفِ الَّتِي كُنْتُ مُؤْمِنًا بِهَا وَأَلَا حَظُّهَا وَأُطَبَّقُهَا  
دَائِمًا عَلَى الْبَشَرِ قَدْ نَجَحَتْ مَعَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ، فَطَلَبْتُ مِنْهُمْ تَرْدِيدَ نَصِّ  
الْعَهْدِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ عَلَى مَضَضٍ لَكِنْ بَعْدَ قِرَاءَتِهِ تَغَيَّرَتْ نَظَرَاتُهُمْ وَأَصْبَحُوا  
مِنْ أَتْبَاعِي، وَجَهَّتُهُمْ بَعْدَ مَا انْتَهَوْا مِنْ تِلَاوَةِ الْعَهْدِ بِأَلَّا يَعْرِفَ أَحَدٌ عَمَّا دَارَ  
بَيْنَنَا وَلَا حَتَّى (جَسَار) وَأَتْبَاعِهِ، ثُمَّ زَوَّدْتُهُمْ بِأَسْمِينَ آخَرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
الْعَشْرَةِ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ فُسُقِيَّتِهِمَا وَنِفَاقِيَّتِهِمَا حَسَبَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي زَوَّدْتَنِي  
بِهَا (جُنْد)، وَطَلَبْتُ مِنْهُمْ إِحْضَارَهُمَا لِنَفْسِ الْمَكَانِ غَدًا وَهُمَا مُقَيَّدَانِ كَيْ  
أُجَنِّدُهُمَا، فَسَأَلَنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الثَّلَاثَةِ الْبَاقِينَ بِمَنْ فِيهِمْ قَائِدُهُمْ (دُشَار)  
فَقُلْتُ لَهُمْ: لَمْ نَرَفِي مَاضِيَهُمْ أَوْ مَاضِي أَصْحَابِهِمْ مَا يُوحِي بِنِفَاقِهِمْ.

رَحَلَ الْخَمْسَةُ مِنْ أَمَامِي بَعْدَ مَا أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّ يَعُودُوا وَيُخْبِرُوا قَائِدَهُمْ  
أَنَّهُمْ حَضَرُوا وَلَمْ يَجِدُونِي، سَرْتُ بَعْدَ مَا رَحَلَ الْأَقْرَانُ الْخَمْسَةُ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ

حتى وصلتُ للمكان الذي أمرتُ (جُند) أن تنتظرنِي فيه وحدها، حتى  
تعيدَنِي للكهفِ حيثُ أني لم أُحضرُ (جسار) أو جيشَه معي، فقد خاطرتُ  
بحياتي ونجحتِ المخاطرة، وعندما وصلتُ للكهفِ استأذنَ (جسار)  
و(جُند) للدخولِ عليّ، فأذنتُ لهما ودخلا وكانَ علي وجهِ (جسار) سؤالٌ  
كنتُ أعرفُ مضمونَه. قالَ (جسار): ما الذي حدثَ يا سيّدي؟

- لم يحدثُ شيءٌ، فلم يأتِ أحدٌ.

(جسار) مُستغرباً: لكنّ (رامع) قال.

صرختُ فيه وقلتُ: تثبّت مرّةً أخرى من أخبارِكَ ومعلوماتِكَ قبل أنْ

تزعجني بهذا الشكل!

غضبَ (جسار) جدّاً، وأخذَ يشتُم في (رامع)، ثمّ استأذنَ بالخروجِ

فأذنتُ له وخرجَ وبقيتُ (جُند) معي وقالتُ وهي تنظرُ لي بخبثٍ:

«(جسار) سوفَ يقتلُ (رامع)»..

- لا أعتقدُ.

(جُند): أنتَ لا تعرفُ (جسار).

- ما سيفعلهُ مسؤوليّتهُ، وليسَ مسؤوليّتي.

وفعلًا بعدَ أقلِّ من ساعةٍ استأذنَ (جسار) بالدخولِ عليَّ بعدَ ما رحلتُ  
(جُند)، فأذنتُ له بالدخولِ فدخلَ وعليه آثارُ عراكٍ وفي يده رأسُ (رامع)  
وقال: اقتصصتُ لك من الخائنِ يا سيّدي!

فقلتُ له بهدوءٍ: ومن أمرك بذلك يا (جسار)؟

(جسار) بعد ما نزلَ على ركبته وخفضَ عينيه للأرض:

فعلتُها لأجلك يا سيّدي؛ لأنّه كذبَ علينا وأوهمنا بخطرٍ لم يكنْ له وجودٌ.

- هذا كانَ قرارُك، فلا تلصقه بي يا (جسار).

(جسار): حاضرٌ يا سيّدي.

انصرفَ (جسار) بعد ما أذنتُ له، وأحسستُ براحةٍ لزوالِ مشكلةٍ

(رامع) لكنْ ما زالتْ مشكلةُ (دشار) ومنْ معه قائمةٌ، وتنتظرُ أنْ تُحلَّ.

توجّهتُ في الصباحِ التالي مع (جُند) لنفسِ المكانِ، وأمرتها بالانتظارِ  
بعيدًا كما حدثَ بالأمسِ، وتوجّهتُ لسفحِ الجبلِ لأجدَ الخمسةَ قد أحضروا  
الاثنينِ وهما مُقيّدانِ، ولم يستغرقِ الأمرُ وقتًا طويلًا لإقناعهما بتلاوةِ عهدِ  
الولاءِ لي، فقد أدركا أنْ نفاقهما قد كُشفَ.

أصبحتُ الآن أتحكمُ بسبعةٍ منَ (العشرةِ المؤمنين)، ولم يكنْ هم فقط من سيطرت عليهم فهم قادةٌ في تنظيمهم وكلُّ واحدٍ منهم يتحكمُ بمئةٍ قرينٍ تحتَ إمرته؛ وبالتالي كنتُ أتحكمُ بسبعِ مائةٍ من جيشهم المكوّن من ألفِ قرينٍ مؤمن.

أعطيتُهم أمراً بالانصرافِ وعاهدوني على السمعِ والطاعةِ والدفاعِ عني في أيّ وقتٍ.

عدتُ لـ (جُند) بعد ما انصرفَ الأقرانُ السبعةُ لكنّها هذه المرةُ سألتني بعد ما طلبتِ الإذنَ بالسؤالِ وقالتُ: لماذا عدنا لنفسِ المكانِ مرّةً أخرى؟  
- هل تعاهديني على السمعِ والطاعةِ يا (جُند)؟  
(جُند): أنا خادمةٌ عندك يا سيّدي.

- لا يا (جُند)، (جسار) مَربوطٌ بعهدٍ لا يستطيعُ الخلاصَ منه، لكن أنتِ لستِ مُرتبطةٌ بشيءٍ معي ومحاولتكِ إيهامي بأنكِ خادمةٌ لي لن تنطلي عليّ؛ لأنّ جيشَ (جسار) يتبعه فبالثالي يتبعني لكن أنتِ أختُ (لجسار) وسيدةٌ في قبيلتكِ لذلك لستِ مُلزَمةٌ بطاعتي دونَ عهدٍ.

سكتت (جُند) بعد هذا الكلام، وبدأ على وجهها علاماتُ القلقِ  
لأنكشافِ أمرها، وفي الوقتِ نفسه أحسستُ أنّي استعجلتُ في هذه  
المواجهة؛ لأنّي كنتُ وحدي معها في ذلك المكانِ المنعزلِ والبعيدِ عن  
الكهفِ وكانتُ تستطيعُ قتلي بسهولةٍ ولن يعرفَ أحدٌ بذلك، وعندما  
أدركتُ الخطرَ الذي وضعتُ نفسي فيه تداركتُ الأمرَ بسرعةٍ وقلتُ لها:  
أنا أعرفُ لماذا يا (جُند) تبقين بجانبني وتخدمينني.

(جُند): لماذا؟

- لأنك تحملين مشاعرَ نحوي، ومُنجذبةٌ لي دونَ قيدٍ أو شرط.

فابتسمتُ وقالت: أنتَ أخبثُ من أيّ شيطانٍ أيُّها المدوّن.

بادلتها الابتسامَ، وفتحتُ ذراعي في دعوةٍ منّي لعناقها على أملٍ أن  
يميلَ قلبُها وتنسى سؤالها، وبالفعل هذا ما حدثَ وبعدها عُدتنا للكهفِ  
وطلبتُ منها ألا تُخبرَ (جسار) بما حدثَ بيننا فابتسمتُ وقالت: لنُ أفعلَ  
أيُّها المدوّن، ثمَّ خرجتُ مُبتسمةً دونَ أن تستأذن.

بعدَ عهدِ الولاءِ الذي قدّمتهُ لي الأقرانُ السبعةُ سيطرتُ على أغلبِ  
البيادقِ، لكنّ وجودُ (جُند) دونَ عهدٍ ولِإِ كانَ يُشكّلُ خطرًا عليّ وكذلك

(دشار)، والاثْنَانِ اللَّذَانِ مَا زَالَا مُوَالِيَيْنِ لَهُ كَانَ الْخَطَرُ الثَّانِي الَّذِي يَجِبُ أَنْ أَفَكِّرَ فِيهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ لِرَامَا عَلَيَّ أَنْ أَفَكَّرَ فِي خُطَّةٍ جَدِيدَةٍ لِلتَّخْلِصِ مِنْهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

كَانَ قَرَارُ الرَّحِيلِ عَنْ جِبَالِ الْأَطْلَسِ وَالتَّوْجِهِ لِمَكَانٍ آخَرَ هُوَ الْخِيَارُ الْأَمْثَلُ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَخَطَرُ (العَشْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ) قَدْ خَفَّ بَعْدَ مَوَالَاةِ سَبْعَةٍ مِنْهُمْ لِي، لِذَلِكَ اسْتَدْعَيْتُ (جَسَارَ) وَقُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ مِنْكَ يَا (جَسَارَ) أَنْ تَأْخُذَنِي إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، فَقَدْ سَمِيتُ هَذَا الْمَكَانَ خَاصَّةً وَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ مَكَانًا آمِنًا مَعَ وَجُودِ (العَشْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ)

(جَسَارَ): وَلَكِنْ يَا سَيِّدِي هَذَا أَكْثَرُ مَكَانٍ آمِنٍ لَكَ.

- تَصَرَّفْ، لَنْ أَبْقَى هُنَا بَعْدَ الْيَوْمِ!

(جَسَارَ): أَمَهْلَنِي إِشْرَاقَةً وَغُرُوبًا يَا سَيِّدِي.

- لَكَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا تَزِدْ عَلَيْهَا.

(جَسَارَ): أَمْرَكَ.

رَحَلَ (جَسَارَ) وَبَقِيْتُ وَحْدِي أَنْتَظِرُ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ الَّتِي طَلَبَهَا (جَسَارَ)، وَخِلَالَ انْتِظَارِي دَخَلْتُ (جُنْدَ) عَلَيَّ فِي الْمَسَاءِ، وَمَرَّةً أُخْرَى لَمْ تَسْتَأْذِنْ



فأدركتُ أنَّ ما حدثَ عندَ سفحِ الجبلِ قد هَدَمَ بعضَ الحواجزِ بيننا ولم يُكُنْ  
هذا الشيءُ في مصلحتي أبداً، تقدَّمتُ (جُند) نحوي وعندما اقتربتُ رفعتُ  
يدي في وجهها وقلتُ: إلى أينَ يا (جُند)؟

فقلتُ بصوتٍ رخيمٍ: ما بكِ أيُّها المدوَّنة؟

فصرختُ في وجهها وقلتُ: خاطِبيني بلقبِي الذي أَسْتَحِقُّهُ!

فصرختُ هي بدورها وقالتُ: حسناً يا سيِّد السبعة!

سكتُ مَصْدُوماً وقلتُ: أيُّ سبعة؟!

(جُند) بتهكُّمٍ: لا تراوغي، لقد رأيتُكِ وأنتِ مُجَنَّدٌ خَمْسَةٌ مِنَ الْأَقْرَانِ  
الْمُؤْمِنِينَ وبعدها اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَلَاهُ.

- لَكِنِّي أَمَرْتُكَ بِالْبَقَاءِ فِي مَكَانِكَ!

ضحكتُ (جُند) وقالتُ: كما قلتَ أنتَ أنا لستُ عبدةً عندَكَ مثل

(جَسَار) كي تأمرني، أنا حُرَّةٌ فيما أفعلُ!

كَانَ جَلِيًّا أَنِّي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَدْ وَقَعْتُ، وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ نَهَايَتِي قَدْ اقْتَرَبَتْ  
وَسَتَكُونُ عَلَيَّ يَدُ قَاتِلٍ (دَجَن).

تَوَقَّفْتُ عَنِ الْكَلَامِ وَبَدَأْتُ أَتَشَهَّدُ؛ لِأَنِّي اقْتَنَعْتُ وَقْتَهَا أَنِّي هَالِكٌ فَقَدْ



أوهمتها بحبِّي وهذا شيءٌ لا يُغْتَفَرُ عندَ الشياطينِ الإناثِ، وخاصَّةً الأسيادِ  
منهن.

أغمضتُ عينيَّ في انتظارِ الإحساسِ بانفصالِ رأسي عن جسدي، لم  
ينفصلُ رأسي عن جسدي ولم تنتهِ حياتي ذلكَ اليومَ لكنِّي سمعتُ صوتَ  
(جُند) وهي تقول:

«لا تخفِ أيُّها المدُونُ لن أقتلكَ الآنَ ..»

فتحتُ عينيَّ لأجدَها وقد جلستُ على عرشِ (جسار) الحجريِّ  
تتفحَّصُه بأناملِها الطويلةِ، وتنظرُ له بشغفٍ وتقول: هذا العرشُ أهمُّ منك،  
ومن قتلِكَ الآنَ.

- حتَّى أنتِ تريدينَ هذا العرشَ؟

صرختُ في وجهي وقالت: ومن لا يريدُ هذا العرشَ؟!!

- أنا لا أريدُه.

(جُند) باسمِةِ سُخريةِ:

وَمَنْ أَنْتَ لِتَحْلَمَ بِمِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ؟ ! لَقَدْ أَخَذْتَ أَكْثَرَ مِنْ حِجْمِكَ، فَأَنْتَ  
مُجَرَّدُ سَافِلٍ عُلُوِّي حَكَمَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَأَنْ الْأَوَانَ كِي تَعْرِفَ مَقَامَكَ!

- ماذا تريد من مني يا (جُند) الآن؟

(جُند): (جسار) لن يسمح لأحد بأن يقتلك ولو قتلتك فساكون أول  
من يشك به، وأنا في غنى عن هذا الأمر.

فقلت لها ساخرًا: هل تريد من مني أن أقتل نفسي؟

(جُند): لا، أريدك أن تُحرّر (جسار) من عبوديته لك وهذا كفيل  
بتعريض حياتك للخطر دون تدخل مباشر.

- ولماذا تفعلين ذلك؟

(جُند): (جسار) يبقى أخي مهما فعل، لكن أنت مُجرّد إنسي دخيل  
علينا.

- وإن لم أفعل يا (جُند)؟

(جُند): لا تختبرني أيها المدون فطرق قتلك كثيرة لكنني أريد أن أحرّر  
أخي قبلها.

صمتٌ قليلاً وفكرتُ ثم قلتُ لها:

لن أُحرّرَ (جسار) يا (جُند)، فافعلي ما تشائين وتذكّري أنّك لو قتلتني  
فـ(جسار) قد يقتصّ منك، ولو لم يفعلْ فهناك سبعة أقرانٍ مُؤمنين قطعوا  
عهدَ الولاءِ والحماية لي وأنتِ رأيتِ ذلك بنفسكِ وقد يجعلون حياتك جحيماً.  
هاجتُ (جُند) كالوحش المسعور وهجمتُ عليّ وغرستُ مخالبها في  
صدري وصرختُ في وجهي وقالت:

«لا تعبثُ معي أيّها السافلُ الوضيعُ، حرّر أخِي الآن!»

- اقتليني وسيتحرّر.

رمتُ بي على الأرضِ بقوةٍ وقالت:

«سأمهلك حتّى الصباح لتفكر، وعندما أعودُ سوف تُحرّر أخِي أو أحرّرُ  
روحك من جسدك.»

قالتُ (جُند) هذه الكلمات ورحلتُ ..

## ورقة التوت التي سقطت في منتصف المثلث

أمضيت وقتًا ليس بالقليل على أرضية الكهف، أهدق بسقفه المتشقق  
والجروح على أكتافي من أثر محالب (جند) تنزف، وعند الغروب دخل  
علي (جسار) بعدما استأذن وقال:

«لقد ربت لك مكانًا آمنًا يا سيدي..»

أجبهته وأنا أحاول أن أقف وأخفي الجروح التي تسببت بها (جند) على  
صدري وأكتافي: أين هذا المكان يا (جسار)؟

(جسار): في مثلث الشياطين في عرض البحر.

- لكن هذا المكان خطرٌ جدًا يا (جسار).

(جسار) : لا تقلق يا سيدي، لقد رُتِّبْتُ لك إقامة على جزيرة لن يصل إليها لا إنس ولا جن.

- وماذا عن الشياطين؟

(جسار) : وحتى أعتى الشياطين.

- خذني إلى هناك حالاً يا (جسار)، فلم أعد أطيع البقاء هنا مدة أطول، لكن قبل أن تأخذني إلى هناك لا أريد لأحد أن يعرف بمكاني وخاصة (جند)، هل فهمت يا (جسار)؟

(جسار) : جند؟! ولماذا يا سيدي؟

- نفذ دون نقاش يا (جسار)!

(جسار) : أمرك!

نقلني (جسار) إلى مثلث الشيطان، ونزل بي على جزيرة كبيرة، وكان الوقت ليلاً، وكان القمر مُكتملاً والبحر هائجاً جداً.

أخبرني (جسار) قبل رحيله أن المكان آمن، لكن يجب علي ألا أترك الساحل ولا أدخل لوسط الجزيرة، وسوف يرسل لي ما يكفي من مأكلي ومشرب كل يوم، فأشرت له بالرحيل فرحل.

كنت متعباً من مواجهتي مع (جند) والرحلة إلى الجزيرة؛ لذلك غلبني النوم بسرعة ونمت على الشاطئ حتى الصباح، ومضت الأيام وأنا على تلك الجزيرة لا أدخل وسطها كما حذرنى (جسار)، وكانت تصلني يومياً مائدة من الطعام عند فجر كل يوم مع الرسول (يقلب).

مرّ على وجودي في تلك الجزيرة مدة تجاوزت الشهر، وفي فجر أحد الأيام جاءني (يقلب) على عادته ومعه مائدة الطعام، وقبل أن يهّم بالرحيل سألته عن أحوال القبيلة فقال: الأحوال مستقرة، و(العشرة المؤمنون) أصبحت هجأهم أقل من السابق، وهناك بعض المدونات التي تذكر أن خلافاً دب بين القادة العشرة وسيدي (جسار) سعيد بذلك، قلت له: «وماذا عن (جند)؟» (يقلب): كما هي يا سيدي لم يطرأ عليها جديد، هل تأذن لي بالانصراف؟

أذنت له بالرحيل، فرحل..

بعدَ مرورِ أسبوعٍ مِنْ حوارِي مع (يقلب)، بدأ المللُ يغزو عقلي ويشَّتْ  
فكري، فقررتُ أَنْ أتحدَّثَ مع (يقلب) في زيارتهِ القادمةِ وأمرُهُ بإخبارِ  
(جسار) بأنِّي أريدُ رؤيته؛ لأنِّي كنتُ أريدُ منه أَنْ ينقلني لمكانٍ أفضل.

انتظرتُ (يقلب) في موعدهِ المعتادِ والذي كانَ مع شروقِ الشمسِ لكنَّهُ  
لم يأتِ، مضى يومٌ وآخرٌ ولم يظهرْ (يقلب)، فبدأُ الجوعُ ينهشُ في جسدي  
والعطشُ قد وصلَ لأقصى ما يمكنُ أَنْ أتحمَّلَ، ولم يكنْ حولي إلا المياهُ  
المالحةُ، فخارتِ قوايَ على الأرضِ وغَطَطْتُ في نومٍ عميقٍ، ثمَّ استيقظتُ  
على صوتِ يوقظني في المساءِ، ففتحتُ عينيَّ لأجدَ (يقلب) واقفًا أمامي  
وجسدهُ مُغطَّى بالجروحِ النازفةِ، وكانَ يبحثُ عن النفسِ فحاولتُ إيقاظه  
لكنَّهُ لم يقلْ إلا بضعَ كلماتٍ قبلَ أَنْ يلفظَ أنفاسه الأخيرةَ، قال:

«سيّدي (جسار) ماتَ و(جند) سلبتُ منه العرشَ ..»

حاولتُ إيقاظه لكنَّهُ فارقَ الحياةَ، واختفى جُثمانُهُ من أمامي، كنتُ  
مُرهبًا مِنْ شدّةِ الجوعِ والعطشِ، لم أكنُ أستطيعُ استيعابَ كلامِهِ، وكنتُ



أظن نفسي في حلم فمشيتُ وأنا أترنحُ نحوَ وسطِ الجزيرةِ كمحاولةٍ أخيرةٍ  
للبحثِ عَنِ الطعامِ مُتجاهلاً تحذيرَ (جسار)؛ لأنِّي كنتُ على وشكِ الموتِ  
على آيةِ حالٍ، دخلتُ بينَ أشجارِ الجزيرةِ وبدأتُ أمشي دونَ وُجهةٍ مُحددةٍ  
حتى وقعتُ على الأرضِ مِنَ الإرهاقِ، وغططتُ في نومٍ عميقٍ مرّةً أخرى.  
لا أعرفُ كم أمضيتُ غائباً عن الوعي، لكنني استيقظتُ على صوتِ  
الرعدِ وانهمارِ المطرِ الغزيرِ عليّ، بدأتُ بشربِ الماءِ المُتجمّعِ في زوايا أوراقِ  
الأشجارِ الكبيرةِ التي امتلأتُ بها تلكَ الغابةُ حتّى ارتويتُ.

توقّفَ المطرُ بعدَ استيقاظي بفترةٍ بسيطةٍ، واستعدتُ بعضَ عافيتي بعدَ  
شربِ الماءِ المُتعرّكِ بالوَحْلِ والرَّمالِ، تجوّلتُ في تلكَ الغابةِ على أملٍ أنْ أجدَ  
شيئاً صالحاً للأكلِ، مشيتُ مسافةً طويلةً حتّى بدأتِ الأشجارُ بالتناقصِ  
تدريجياً، إلى أنْ وصلتُ لمنطقةَ خضراءٍ خاليةٍ مِنَ الأشجارِ يتوسّطُها ما يشبهُ  
البيتَ المصنوعَ مِنَ الحجارةِ.

توجّهتُ لذلكَ المنزلِ ببطءٍ؛ لأنِّي ما زلتُ مُرهقاً من أثرِ الجوعِ والمشي،  
عندما وصلتُ للمنزلِ الحجريّ لم أرَ لَهُ نافذةً أو باباً، كانَ أشبهَ بالحفرةِ

أو البئر المغطاة بالحجارة، وكانت الحفرة عبارة عن مجموعة من الحجارة المصفوفة والتي تقود لأسفل الأرض مثل السرداب، ترددت في النزول لكتني في لحظة يأس نزلت واستمررت بالنزول بما يُقدَّر بثلاثة طوابق نزولاً، كان الظلام يزداد حُلْكة كلما نزلت حتى وصلت إلى نهايته ولم أستطع رؤية شيء فقررت العودة والصعود للأعلى، عندها سمعت صوتاً يأتي من خلفي يقول بهدوء:

«إلى أين يا ابن آدم؟..»

توقفت مكاني ولم ألتفت خلفي فقال لي الصوت:

«اجلس أريدُ التحدثُ معك..»

جلستُ على عتبة السُّلَمِ الحجرية الباردة واحتضنتُ نفسي من الرعب وسكتُ، فقال الصوت:

«لا تخف يا ابن آدم لا أريدُ سوى بعضِ وقتِكَ، فأنا أراقبُ حياتَكَ منذُ  
فترةٍ وقد آنَ الأوانُ أن نلتقي ونتحدَّثَ ..»

سكتُ ولم أَرِدْ عليه، وكنتُ أنظرُ بتمعنٍ في العتمةِ التي كانَ الصوتُ  
قادمًا منها لكنني لم أستطعَ رؤيةَ شيءٍ. استمرَّ صاحبُ الصوتِ بالكلامِ :

«أبنائي لن يتركوكَ وشأنك، لذلكَ لمَ لا تنضمُّ إلينا وتنتهي من هذه المعاناة؟»

لم أَرِدْ كذلك، فاستطردَّ في الكلامِ وقالَ :

«صدقني إنَّ الموضوعَ سهلٌ ولا يتطلَّبُ منك الكثيرَ، فأنا يمكنني أن  
أمنحكَ القوَّةَ والسلطةَ والحصانةَ وأعطيكَ مِنَ العلمِ والحكمةِ ما يجعلُكَ  
تسيِّدُ وتخلدُ، ما أعرضُهُ عليكَ هو شيءٌ سعىَ لنيْلِهِ الكثيرُ ولم يحظَ بهِ إلا  
القليلُ، وأنا اخترتُكَ كي تكونَ من تلكَ الفئةِ المختارةِ.»

تكلّمتُ لأوّل مرّة، وما زلتُ أحتضنُ نفسي من الخوفِ والبردِ الذي  
حلّ بالمكانِ فجأةً وقلتُ:

«ومن أنتَ لتمنحني كلّ ذلك؟»

- أنا الوجهُ الآخرُ للعملة.

- أيُّ عملة؟

- العملةُ التي تمّ قذفُها في الهواءِ يومَ ولادتكِ وسوفَ تحطُّ على الأرضِ  
يومَ مماتكِ.

- وما هو المقابلُ؟

ضحكٌ صاحبُ الصوتِ وقالَ: لا يوجدُ مقابلٌ يا ابنَ آدم.

- لا شيءٌ يأتي دونَ مقابلٍ.

- معكِ حقٌّ..

سكتَ الصوتُ فترةً، ثمّ قالَ: برأيكِ ما المقابلُ المناسبُ لكلِّ ما عرضتهُ  
عليكِ؟

- لا أعرفُ.

- ماذا تملك؟

- لا أملك شيئاً يستحقُّ المقايضة.

- على العكسِ تماماً، أنتَ تملكُ أشياء كثيرة، لكنَّكَ لا تملكُ العينَ لترى هذه الأشياء.

فقلتُ له وأنا أرتجفُ مِنَ البردِ الذي بدأً بالازدياد: وما الذي تريدُ مِنِّي أنْ أعطيك إياه؟

- وعد.

- وعدٌ بماذا؟

- وعدٌ بأنْ تبقى كما أنتَ وألا تتغير..

- لم أفهم قصدَكَ.

- ليسَ من الضروري أنْ تفهمَ يا ابنَ آدم، لكنِ اقطعْ هذا الوعدَ وسوف ينتهي هذا الكابوسُ.

- لماذا تتحدَّثُ في الظلام، لماذا لا تخرجُ لأراك وأتحدَّثَ معك؟

- اليومَ ليسَ يومُ خروجي يا ابنَ آدم، وقد لا ترى ذلك اليومَ وقد تراه.

لم أفهم كلامه فسكتُ، ثم قال لي:

«حياتي مُكرّسة لكم، وأنا على عهدي ما استطعتُ ..»

فقلتُ له: لماذا لا تقتلني وتنتهي من المشكلة؟

- هدفي ليس قتلُكم، بل إرشادُكم للطريق لقتلِ أنفسِكم.

- لماذا تتحدّث بصيغة الجمع؟ عمّن تتحدّث بالضبط؟

ضحك وقال: عنكم جميعًا.

لم أفهم كلامه كذلك وعاودتُ السكوت ..

اشتدَّ البردُ في المكانِ لدرجةٍ لم أستطعُ فيها التنفّسَ بسهولةٍ، لكنّ خوفي

جعلني أتمسّرُ في مكاني، وبعدَ قليلٍ عادَ الصوتُ وحدّثني :

«هل تعرفُ ما هو الجحيمُ؟»

أجبتة وأنا أرتجف من البرد : هل تقصدُ جهنمَ؟

- لا، أقصدُ الجحيمَ على الأرضِ.

- لا، لا أعرفُ.

- أن تكونَ مُقيّدًا بقوانينَ وضوابطَ تمنعُك من الانطلاقِ بحريّةٍ.

- لا وجودَ للحُرّيّةِ المطلقةِ وإن وجدتَ فهي مفهومٌ آخرٌ للفوضى.

- ما المتعةُ في ربطِ نفسك بعقيدةٍ أو مبدأ؟ لماذا لا تستمتعَ بحياتِكَ قبلَ

أن تذهبَ من هذه الدنيا؟

- ولماذا أنتَ مُهتمٌّ لهذه الدرجة؟ .. قد تكونُ متعتي في التمسكِ بمبادئِي

وقيمي وعقيدتي.. إصرارك على تغييرِ ذلك يثيرُ الريبةَ.

- أنا لستُ مُهتمًّا بتغييرِكَ، أنا أريدُ تطويرَكَ والارتقاءَ بك فوقَ إمكانياتِكَ

البشريّةِ المحدودةِ، ولم يندمُ أحدٌ على قبولِ عرضي من قبلِ.

- هل تؤمنُ بحُرّيّةِ الاختيارِ؟

- نعم، وهذا ما أحاولُ منحه لك.

- أنا أختارُ ألا أقبلَ عرضَكَ، هل تستطيعُ احترامَ ذلك؟



سَكَتَ الصَّوْتُ الَّذِي كَانَ يَحَادِثُنِي قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ:

«سَتُخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ إِذَا وَتَبَقِيَ أَسِيرًا لِمَعْتَقِدِكَ؟»

- كُلُّنَا عَبِيدٌ وَلَا يَوْجَدُ أَحْرَارٌ، لَكِنَّ بَعْضَنَا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لَشَهْوَاتِهِ  
وَرِغْبَاتِهِ، وَبَعْضُ الْآخَرِ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

سَمِعْتُ صَوْتًا أَشْبَهَ بِالزَّمْجَرَةِ الْخَفِيفَةِ، ثُمَّ عَاوَدَ الصَّوْتُ الْحَدِيثَ وَقَالَ:

أَنَا لَسْتُ عَبْدًا لِأَحَدٍ!

فَقُلْتُ: فَعَلًا، فَأَنْتَ أَسِيرٌ.

\_ أَسِيرٌ؟!

- نَعَمْ، أَسِيرٌ فِي مَكَانِكَ، أَسِيرٌ لِأَهْدَافِكَ وَمَعْتَقِدَاتِكَ، أَسِيرٌ لِمَنْ شَغَلُوا

بِالْكُ، وَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ الْحُرِّيَّةَ لِتَعُودَ لِسَابِقِ عَهْدِكَ لِذَلِكَ تَنْدَفِعُ نَحْوَ

الْهََاوِيَةِ الَّتِي حَفَرْتَهَا لِنَفْسِكَ، وَتَرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ كُلَّ مَنْ فِي طَرِيقِكَ.

- عَمَّنْ تَتَحَدَّثُ؟!

- عَنْكُمْ جَمِيعًا ..

- هَلْ تَعْرِفُ مَنْ أَنَا كِي تَتَحَدَّثُ عَنِّي؟!

- حديثي مُوجَّهٌ لفكرِكَ واعتقادِكَ بغَضِّ النظرِ عن شخصِكَ وهيتِكَ  
وهويتِكَ.

- عُدْ من حيثُ أتيتَ يا ابنَ آدم.

-: كيفَ أعودُ؟

- اصعدْ للأعلى واخرجِ الآنَ وسترى شجرةً فيها ثمارٌ لو أَكلتَ منها  
فسينتهي كابوسُكَ وستحصلُ على كلِّ ما وعدتُكَ به، ولو لم تأكلْ  
منها فستعودُ لعالمِكَ خاوي اليدينِ لكنَّكَ في كلتا الحالتينِ ستعودُ.  
هَمَمْتُ بالوقوفِ وذراعايَ تحتضنانِ صدري مِنَ البردِ وقلتُ له: هلْ

لي بسؤال؟

- اسألْ يا ابنَ آدم؟

- ما هو اسمُكَ؟

- أسمائي كثيرةٌ.

- اخترْ واحداً منها وأخبرني.

- «نودابا»..

خرجتُ من ذلك المكان، ووجدتُ الشجرةَ أمامي وعليها الثمارُ كما  
أخبرني صاحبُ الصوتِ، وكانتُ رغبتني كبيرةً للأكلِ منها لسدِّ جوعي  
لا للحصولِ على ما وعدّه؛ لذلك لم أرحلُ في الحالِ وجلسْتُ تحتها أفكرُ..  
«هل آكلُ منها وأسدُّ جوعي أم أتركها وأعودُ للشاطئ البعيد؟»

وبعدَ تفكيرٍ قصيرٍ وقبلَ أنْ تخورَ قواي قرّرتُ تجاهلَ الشجرةَ والعودةَ  
للشاطئِ دونَ أنْ آكلَ تلكَ الثمارِ، كانتُ رحلةُ العودةِ للشاطئِ شاقّةً،  
وسقطتُ خلالها أكثرَ من مرةٍ، وبعدَ مُدّةٍ ليستَ بالقصيرةِ وصلتُ للشاطئِ  
وأنا في حالةٍ يرثى لها وارتيمتُ على الرمالِ وغططتُ في سباتٍ كنتُ أظنّه  
الأخيرَ، فتحتُ عينيَّ عندما اشتدَّت الشمسُ عليهما ولم أكنُ أملكُ القوّةَ  
على الحراكِ، لكنّني رأيتُ على ذلك الشاطئِ الذي لم يكنْ يبعدُ عنيّ سوى  
أمتارٍ قليلةٍ رجلًا ذا لباسٍ أنيقٍ يلعبُ ويجري مع بعضِ الأطفالِ، وعندما  
رأى الرجلُ أنّي استيقظتُ ضربَ راحتيَّ يديه في بعضِهما بعضًا وضحكُ  
وقالَ للأطفالِ الذينَ معه: لقد استيقظَ أخيرًا.

جَرى الأطفالُ نحوي وهم يضحكون، لكنّهم عندما اقتربوا مني  
أصبتُ بالرعبِ والفرعِ من أشكالهم، لكنّني لم أقوَ على النهوضِ للهربِ.

كَانَ الْأَطْفَالُ بِلَا أَعْيُنٍ أَوْ أَنْوْفٍ، وَكَانَ مَنْظَرُهُمْ بِشَعًا جَدًّا، وَضَعَ  
الْأَطْفَالُ أَيَْادِيَهُمُ الصَّغِيرَةَ عَلَى أَجْزَاءِ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ جَسَدِي وَبَدَّوْا بِهِزِهِ وَهُمْ  
يَضْحَكُونَ، وَلَمْ يَفْرُقْهُمْ وَيُبْعِدْهُمْ عَنِّي إِلَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ الْأَنْيَقُ حِينَ قَالَ:  
انْتَهَى وَقْتُ اللَّعِبِ يَا أَوْلَادُ، فَعُودُوا لِلدَّخْلِ.

رَحَلَ الْأَطْفَالُ كَمَا أَمَرَهُمُ الرَّجُلُ الْأَنْيَقُ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرَى أَيْنَ ذَهَبُوا  
لَشِدَّةِ إِرْهَاقِي وَتَعَبِي، لَمْ أَسْمَعْ سِوَى خَطَوَاتِهِمْ وَضَحِكَاتِهِمْ وَهِيَ تَسِيرُ  
مُبْتَعِدَةً عَنِّي وَعَنِ الشَّاطِئِ بِاتِّجَاهِ وَسَطِ الْجَزِيرَةِ.

جَلَسَ الرَّجُلُ الْأَنْيَقُ بِجَانِبِي وَفَتَحَ شَيْئًا أَشْبَهَ بِالْقَنِينَةِ الصَّغِيرَةِ وَسَكَبَ  
مُحْتَوَاهَا فِي فَمِي، وَخِلَالَ لَحْظَاتٍ اسْتَعِدْتُ عَافِيَتِي وَاسْتَطَعْتُ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ  
النَّهْوَضَ وَالْجُلُوسَ بِجَانِبِهِ، جَلَسْتُ سَاكِتًا أَنْتَظِرُ حَدِيثَ هَذَا الرَّجُلِ الْأَنْيَقِ،  
لَكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَاکْتَفَى بِالنَّظَرِ لِلْأَمْوَاجِ الْمُتَضَارِبَةِ وَسَمَاعِ صَوْتِهَا الْقَوِيِّ الَّذِي  
لَمْ يَزَاحِمْهُ إِلَّا أَصْوَاتُ طُيُورِ الْجَزِيرَةِ، خَرَجَ الرَّجُلُ عَنْ صِمْتِهِ بَعْدَ رُبْعِ سَاعَةٍ  
تَقْرِيبًا وَقَالَ: مَهْمَا فَعَلْنَا فَإِنَّا لَنْ نَتَفَقَّ، لِذَلِكَ تَجِدُنَا فِي صِرَاعٍ دَائِمٍ، كَانَتْ  
مَهْمَتِي فِي السَّابِقِ شَاقَّةً لَكِنَّ الْيَوْمَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ يَنْوِبُ عَنِّي لِلْقِيَامِ بِهَا.

سَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ تَبَسَّمَ وَقَالَ:

«بَعْضُكُمْ كَادَ يَتَفَوَّقُ عَلَيَّ لِدَرَجَةٍ أَنِّي خَفْتُ عَلَى مَنْصِبِي!»

أَكْمَلَ الرَّجُلُ حَدِيثَهُ بَعْدَ مَا التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: لَقَدْ اجْتَزْتَ الْاِخْتِبَارَ  
بِنَجَاحٍ، وَحَانَ وَقْتُ رَحِيلِكَ.

- عَنْ أَيِّ اخْتِبَارٍ تَتَحَدَّثُ؟

أَعَادَ الرَّجُلُ الْأَنِيْقَ النَّظَرَ لِلْأَفَقِ وَقَالَ: لَا يَهْمُ ذَلِكَ الْآنَ الْمَهْمُ أَنَّكَ  
اجْتَزْتَهُ، وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِكَ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ لَكِنْ عِنْدِي طَلَبٌ بَسِيطٌ

- مَاذَا تَرِيدُ؟

قَالَ الرَّجُلُ الْأَنِيْقَ كَلَامًا لَمْ أَفْهَمْ كَثِيرًا مِنْهُ لَكِنِّي أَظُنُّ أَنِّي فَهَمْتُ جُمْلَهُ  
.. قَالَ .. عَالَمُنَا قَدْ يَبْدُو مُتَوَحِّشًا وَفَوْضُوِيًّا لَكُمْ لَكِنَّهُ يَسِيرُ بِنِظَامٍ دَقِيقٍ  
وَهَدَفٍ وَاضِحٍ وَصَرِيحٍ وَإِلَى أَجَلٍ مَحْتَمٍ، وَكُلُّنَا يَجِبُ أَنْ نَسِيرَ وَفْقَ هَذَا  
الْخَطِّ الْمَرْسُومِ لَنَا وَبَيْنَنَا، وَأَنْتَ تَجَاوَزْتَ هَذَا الْخَطَّ رَغْمًا عَنْكَ وَنَحْنُ كَذَلِكَ،  
وَحَانَ الْوَقْتُ كَيْ تَعُودَ الْأُمُورُ لِنَصَابِهَا وَهَذِهِ الْمَرَّةُ لَنْ يَكُونَ لَكَ خِيَارٌ فِي  
الْقَبُولِ، أَوْ الرِّفْضِ.

ثُمَّ أَدَارَ رَأْسَهُ نَاحِيَّتِي مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَقَالَ:

«وَأَرْجُو أَلَّا تَرْغَمَنِي عَلَى إِجْبَارِكَ ..»

- لَا أَظُنُّ أَنِّي أَمْلِكُ حَقَّ الرِّفْضِ؟

ضَحَكَ الرَّجُلُ الْأَنْيَقُ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَنَفَضَ ثُرَابَ الشَّاطِئِ عَنْ  
مَلَابِسِهِ وَمَدَّ يَدَهُ وَهُوَ مَبْتَسِمٌ وَقَالَ: هَيَّا قُمْ كَيْلَا تَتَأَخَّرَ يَا ابْنَ آدَمَ!  
أَمْسَكَتُ بِيَدِهِ وَشَدَّنِي لِلْأَعْلَى وَقَالَ: اتَّبِعْنِي!

مَشَى الرَّجُلُ بِمَحَاذَاةِ السَّاحِلِ وَمَشِيتُ خَلْفَهُ حَتَّى وَصَلْنَا لَصَخْرَةٍ  
كَبِيرَةٍ كَانَتْ نَصْفُهَا عَلَى الْيَابِسِ وَنَصْفُهَا الْآخَرُ دَاخِلَ الْبَحْرِ، وَطَلَبَ مِنِّي  
الصُّعُودَ عَلَيْهَا فَفَعَلْتُ، نَادَى الرَّجُلُ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنْ وَسْطِ  
الْجَزِيرَةِ وَقَالَ: هَيَّا يَا أَوْلَادُ حَانَ وَقْتُ الرِّحِيلِ. خَرَجَ الْأَطْفَالُ الْبَشْعُونَ مِنَ  
الْغَابَةِ وَكَانَ عَدْدُهُمْ سِتَّةً، وَتَجَمَّعُوا حَوْلَهُ يَضْحَكُونَ وَيَتَقَافَزُونَ، وَفِي لَحْظَةٍ  
رَفَعَ الرَّجُلُ ذِرَاعَهُ لِلسَّمَاءِ وَبَدَأَ يُتِمِّتُهُمْ فَتَحَوَّلَ الْأَطْفَالُ لِشَيَاطِينِ ضَخْمَةٍ

أَكْثَرُ بَشَاعَةٍ مِنْ أَشْكَالِهِمْ وَهُمْ صَغَارٌ، مَا عَدَا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ تَحَوَّلَ لِرَجُلٍ  
بِهَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ.

هَمَسَ الرَّجُلُ الْأَنِيْقُ فِي أُذُنِ الطِّفْلِ الَّذِي تَحَوَّلَ لِرَجُلٍ فَهَزَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ  
رَأْسَهُ بِالْمُوَافَقَةِ، ثُمَّ رَكَبَ عَلَى ظَهْرِ أَحَدِ الْعَمَالِقَةِ الْخَمْسَةِ وَالَّذِي بِدَوْرِهِ  
حَمَلَنِي بِيَدِهِ الضَّخْمَةِ وَوَضَعَنِي عَلَى ظَهْرِهِ بِجَانِبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَخِلَالَ  
ثَوَانٍ كُنَّا جَمِيعًا نُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ.

حَلَقْنَا مُبْتَعِدِينَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَعَنِ الرَّجُلِ الْأَنِيْقِ تَارِكِينَهُ يَلْوَحُ بِيَدِهِ مِنْ  
سَاحِلِ الْجَزِيرَةِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ.



## رحلتي على ظهر العملاق بصحبة الرجل المجهول

كنا نظيرُ فوق بحرٍ واسعٍ، وكانَ العملاقُ الذي حملني مع الرجلِ يتوسَّطُ  
الأربعةَ العمالقةِ الآخرين، وكنتُ مَذْهُولاً مِنْ هذا المنظرِ الذي لم أَر مثله  
في حياتي. شعرت وسطهم بأني رَجُلٌ ضَيْلٌ حجماً وقيمةً فحضورهم  
الطاغي لم يضاهيه سوى سطوة مهابة ذلك الرجل الغريب الواقف  
بجانبي على ظهر العملاق.

وقتها دنا الرجلُ بالقربِ مِنِّي، وأنا أنظرُ للأسفلِ في محاولةٍ مِنِّي  
لاستيعابِ ما يحدثُ، ومدَّ يدهُ لمصافحتي وعرَّفَ بنفسه وقال:

«أنا (قرمز) ..»

صافحتهُ ولم أتكلَّم معه، ابتسمَ الرجلُ ثمَّ أكملَ حديثهُ معي بسرِّ بعضِ

الأحداث العشوائية والتي على ما أظنَّ كان يريد قولها لي لغرض مُعيَّن، وقبل وصولنا لوجهتنا قال: عندما قدَّم (جسار) للجزيرة وتوسَّلَ أبي أن يُبقِكَ عليها لم يردَّ أبي له طلبه؛ لأنَّ (جسار) قدَّم لنا خدمات كثيرة، وقدَّم لمملكتنا توضيحات لن ننساها له لذلك وافقَ أبي بشرط ألاَّ تدخل في وسط الجزيرة، فوافقَ (جسار) على ذلك الشرط، لكنَّ عندما غدرتَ (جُند) بـ(جسار) والذي كان في حماية أبي قرَّرَ أبي إزالةَ (جُند) من خارطة الشياطين، خاصَّةً بعدَ تقديمها رأسَ (جسار) كعُربونٍ مُهادنة لـ (دشار) وجماعته من الأقران المؤمنين، بالإضافة إلى أنَّها وشتَّ بالأقران السبعة الذين عاهدوك على الولاء مما دفعَ (دشار) بالتعاون مع (جُند) لقتلهم جميعًا.

سكتَ (قرمز) قليلاً، ثمَّ قال:

«اسأل ما تريدُ فأنا أرى الكثيرَ من الأسئلةِ تدورُ في عينيك ..»

- كيفَ خانَ أتباعُ (جسار) قائدَهم بهذه السهولة؟

(قرمز): انقسمَ الجيشُ إلى قسمين بعدَ مقتلِ (جسار)، ثلثُ منهم كانَ معه ومُعارضاً لما حدثَ من انقلابٍ، وثلثانٍ كانوا مع (جُند) لأنَّ الشياطينَ

تَتَّبِعُ الْأَقْوَى وَمَبْدَأُ الْوَلَاءِ لَيْسَ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِهَا أَوْ مِنْ اهْتِمَامَاتِهَا، فَهَمَّ أَشْبَهُ  
بِالْمُرْتَزَقَةِ وَيَتَّبِعُونَ مَنْ غَلَبَ.

- وهل دارت حربٌ بينَ الطرفين؟

(قرمز) : نعم، وقد شارك (دشار) مع (جُند) بجيشه وأعطى بذلك  
الغلبةَ لـ (جُند) في سحقِ مُعارضِها.

- وهل نسيَ (دشار) ثأرهَ مني؟

(قرمز) : (جُند) قتلَتْ (دشار) بعدَ نصرِها الساحقِ على حُلَفَاءِ أخيها  
بالحِظَاتِ، وأخضعتْ جيشه بالقُوَّةِ بعدَ ما فرَّ منه من فرَّ.

سكتُ قليلاً، ثمَّ قلتُ: وإلى أينَ نحنُ ذاهبونَ الآن؟

ابتسمَ (قرمز) ثم قالَ: لإحضارِ رأسِ (جُند) لأبي ولكي نعيدَكَ لوطنِكَ  
سالمًا.

فنظرتُ له باستغرابٍ، وقلتُ له: بكلِّ بساطةٍ؟

فقالَ والابتسامةُ ما زالت على وجهه: «أنتَ لا تعرفُ أبي عندما يتضايقُ

قليلاً..»

سَكْتُ لِبُرْهَةٍ ثُمَّ قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ أَبُوكَ؟  
قَاطَعَنِي وَوَقَفَ وَقَالَ وَنَظَرَهُ لِلْأَمَامِ: لَقَدْ وَصَلْنَا ..

وَقَفْتُ بِجَانِبِهِ وَرَأَيْتُ جِبَالَ «أَطْلَس» فِي الْأَفْقِ، وَرَأَيْتُ (قَرْمَز) يُشِيرُ  
لِلْعِمَالِقَةِ الْأَرْبَعَةِ بِيَدِهِ مَلُوحًا بِالتَّوْجِهِ نَحْوَ الْكَهْفِ الَّذِي بِهِ عَرْشُ (جُنْد).

## هذا المارد من ذاك الشيطان

نزلَ العملاقُ الذي كَانَ يَحْمِلُنَا عَلَى ظَهْرِهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَهْفِ حَيْثُ  
يَسْتَقِرُّ عَرْشُ مَمْلَكَةِ (الْكُثْبَانِ)، وَتَوَجَّهَ الْعِمَالِقَةُ الْأَرْبَعَةُ وَوَقَفُوا بِجَوَارِ  
الْكَهْفِ ثُمَّ أَشَارَ لِي (قَرْمَزٍ) وَهُوَ مُبْتَسِمٌ قَائِلًا :

لِنَدْخُلْ وَنَنْتَهٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِسُرْعَةٍ ..

دَخَلْتُ مَعَهُ الْكَهْفَ، وَكَانَتْ (جُنْدٌ) جَالِسَةً عَلَى الْعَرْشِ وَحَوْلَهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ  
حُرَاسِهَا الْأَقْوِيَاءِ، وَعِنْدَمَا رَأَتْنِي صَرَخَتْ بِقُوَّةٍ اهْتَزَّتْ لَهَا الْكَهْفُ وَقَالَتْ:

اَقْتُلُوا ذَلِكَ الْمُدَوِّنَ السَّافِلَ الْآنَ!

انْدَفَعَ الْحُرَاسُ نَحْوِي بِسُرْعَةٍ رَهِيبةٍ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْحَقُوا أَنْ يَمْسُوا شَعْرَةً مِنِّي؛  
لَأَنَّ (قَرْمَزٍ) وَبِحَرَكَةٍ مِنْ إصْبَعِهِ أَطَاحَ بِرُؤُوسِهِمْ جَمِيعًا دُفْعَةً وَاحِدَةً، نَظَرْتُ  
(جُنْدٌ) لـ (قَرْمَزٍ) بِغَضَبٍ وَاحْتِقَارٍ وَهِيَ تَقُولُ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْحَقِيرُ؟! .. وَكَيْفَ  
تَجْرؤُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى هُنَا؟!!

كَانَ (قَرْمَز) خِلَالَ حَدِيثِ (جُنْد) يَتَفَحَّصُ الْمَكَانَ مُدِيرًا ظَهْرَهُ لَهَا وَيَنْظُرُ  
إِلَى وَهْوِ مُبْتَسِمٌ وَيَقُولُ: كُنْتُ أَظُنُّ الْمَكَانَ أَكْثَرَ فَخَامَةً مِنْ ذَلِكَ.  
صَرَخَتْ (جُنْد) وَقَالَتْ: أَلَا تَعْرِفُ أَنَا مَنْ، وَابْنَةُ مَنْ؟!

فَالْتَفَتَ (قَرْمَز) نَحْوَهَا، وَذَهَبَتْ الْابْتِسَامَةُ مِنْ وَجْهِهِ وَقَالَ بِنبرةٍ هَادئةٍ  
لَكِنْ صَارِمَةٍ:

«بَلْ أَنْتِ مَنْ لَا تَعْرِفِينَ أَنَا مَنْ، وَابْنُ مَنْ؟!»

وَفِي لَحْظَةٍ اشْتَعَلَتْ (جُنْد) وَتَحَوَّلَتْ لِرَمَادٍ ..

عَادَتْ الْابْتِسَامَةُ عَلَى وَجْهِ (قَرْمَز)، وَأَنَا كُنْتُ عَلَى وَشِكِ الْإِغْمَاءِ مِنْ هَوْلِ  
مَا رَأَيْتُ، اقْتَرَبَ مِنِّي وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتْفِي وَقَالَ:

حَانَ وَقْتُ الرِّحِيلِ يَا (خَوْف) ..

قلتُ له بهدوءٍ: هل انتهى كابوسي؟

(قرمز) باسمًا: هل بقيَ أحدٌ يريدُ النيلَ منك؟

قلتُ وأنا أنظرُ لرمادِ (جُند): لا أعتقدُ ..

ضحكُ (قرمز) ضحكةً خفيفةً وقال: لنخرجَ إذا من هذا المكانِ الكئيبِ.

خرجنا من الكهفِ، وكانت كلُّ قبيلةِ (الكُشبان) مُجمعةً، فخطبَ فيهم

(قرمز) وهو يقفُ بينَ العمالقَةِ الخمسةِ وقال:

انفَرِّقُوا أَيُّهَا (الكُشبانُ) فقد حَكَمَ عليكم أبونا بأنْ تصبحوا شياطينَ سُفليَّةٍ

إلى الأبدِ، وكلُّ منْ له لقبٌ سينزعُ منه ..»

وفي لحظةٍ وبدونِ جدالٍ أو أدنى مقاومةٍ اختفى جميعُ الشياطينِ والأقرانِ

من أمامِ (قرمز) ..

قالَ لي (قرمز) وهو يمتطي ذلكَ العملاقَ الذي أحضرنا إلى جبالِ أطلَس:



«لا تُخبر إنسيًا بما حدثَ معكَ يا (خوف)، فلن يصدقكَ أحدٌ لكن لن  
نمنعكَ من ذكرِ ما حدثَ لأنَّنا واثقون من تجاهلِ الناسِ لما سوف تقولهُ..»

- وكيف تعرفُ أنَّهم سيتجاهلونني؟

(قرمز): لستَ الأوَّل، وبالتأكيد لن تكونَ الأخيرَ.

- وما الذي حدثَ معي بالضبط؟

ضحك (قرمز) بصوتٍ مُرتفعٍ وقال:

«وداعًا يا (خوف) ستكونُ في فراشِكَ عندما تنام..»

رحلَ (قرمز) معَ العمالقةِ الخمسةِ .. وبقيتُ أراقبُهُم حتى اختفوا  
من الأفق ..

جَلَسْتُ عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ حَتَّى غَلَبَنِي النَّعَاسُ وَنِمْتُ..

استيقظتُ في غرفتي .. لم أنهض من سريري .. حدقت بالسقف لشواني ثم  
أدمعت عيناى .. ابتسمت شفتاي .. وقلتُ في نفسي :

«الحمد لله».

## الخاتمة

لا أعرف ماذا أقولُ أو بماذا أختتمُ جزءاً لم أتيقنْ بعد من انتهاءِ أحداثهِ من حياتي أو حتى حدوثهِ من الأساس، فالخاتمةُ الطبيعيةُ من وجهةِ نظري لمثلِ ما مررتُ بهِ هو شهادةُ وفاتي، والأحداثُ بالنسبةِ لي مُستمرةٌ وإنْ خَلَتْ من السحرةِ والشياطين، فأنا كنتُ وما زلتُ أخوضُ حرباً أشدَّ ضراوةً من التي خضتها مع العالمِ الآخرِ، وهي المعركةُ الفكريةُ مع العالمِ الذي يجبُ أنْ أَعِشَ معه اليومَ وغداً؛ فالمجتمعُ اليومَ لا يقبلُ أيَّ فكرٍ جديدٍ ولا يتعاملُ معه أو حتى مُجرّدَ النظرِ من زاويةٍ مُختلفةٍ لأُمورٍ يرى أنها من المُسلّماتِ.

التغيُّرُ بالنسبةِ لي أمرٌ طبيعيٌّ وضروريٌّ لأيّ تطوّرٍ في أيّ مجالٍ، لكنّ البعضَ يتعاملونَ مع التغيُّرِ كخروجٍ وانقلابٍ على مُسلّماتٍ لا تتعدّى كونها أعرافاً تكتسبُ قداسةً كلما تقدّمتْ في العمرِ، لذلكَ لستُ حريصاً على الإقناعِ أو الدفاعِ عن أفكارٍ كثيرةٍ لأنّها ستجدُ مكانها يوماً من الأيامِ بين الحقائقِ المُثبتةِ، ومع مرورِ الوقتِ ستكونُ ضمنَ التاريخِ.

هناك مَنْ يصفني بالمتحرّر، وهذا إقرارٌ مِنَ الواصفِ بأنّي كنتُ مُستعبداً  
لشيءٍ ما زالَ هو عبداً له، وهناك مَنْ يرى أنّ في أفكارِي خطراً كبيراً على  
الجيلِ الصاعد، وكأنّ هذا الجيلُ خُلِقَ ليصعدَ على سِلْمٍ مبادئه فقط.

حرّيّةُ التفكيرِ جزءٌ لا يتجزأ من حرّيّةِ التعبيرِ، لذلك كانت هذه  
«الرواية» ضمن مجموعةِ الخيالِ العلمي، فهي بذلك ستكسبُ قبولاً أكثرَ  
كونها مُصنّفةٌ كمجردِ أضغاثِ أفكار.

ما زلتُ مؤمناً بحرّيّةِ التفكيرِ وحرّيّةِ الاختيارِ، ومن يخشى على عقله  
من أفكارِي ويحاربها فقط لكونها مُختلفة عما يؤمنُ به فقد خافَ على هشاشةِ  
طرحه مِنَ الانكسارِ وخلوّ مُدرجاته مِنَ الذين لم تعدْ تُغريهم تجارةُ الموتِ  
مُقابلَ الحياةِ الأبدية.

عندما يخسرُ المنطقُ والعقلُ مواجهته أمامَ الخوفِ يبقى العقلُ أسيراً  
للمعتقدِ أو العرفِ السائدِ، ويبقى التغييرُ كالجينِ المُتَنَحِي لا يظهرُ إلا  
عندما تكونُ الظروفُ مناسبةً، ولا يمكنُ في الغالبِ التنبؤُ بموعدِ هذا  
الظهورِ.

أنا من مجتمع يرى أنَّ أجملَ ابتسامةٍ لي يجبُ أن تكونَ عندما أموتُ، وأجملَ  
دمعةٍ هي عندما أكونُ خائفًا لذلك سأعانقُ الخوفَ مُبتسماً على أملٍ أن  
أموتَ كما ولدتُ .. خوف

خوف

# مدونات إضافية خاصة بإصدار الذكرى العاشرة

هذه المدونات هي مجموعة من الفصول والصفحات المبعثرة والمتفرقة مما لم يتم نشره في السابق عبر ثلاثية خوف لأسباب متفرقة من ضمنها زمن النشر أو معوقات لا يمكن ذكرها لكنها من عالم وعقل «خوف» وتصب في نفس الوعاء الذي تشكلت منه الثلاثية الأولى.

عالم خوف توقف نشرًا لكنه لا يزال يدون ..

هذا العالم بني حتى الآن على خمسة أعمدة بهذا الترتيب :

خوف

خوف ٢

خوف ٣

هذا ما حدث معي

ليلة ماطرة

(يستحسن قراءة هذه الأعمدة قبل اكمال بقية الصفحات)

ولازال هناك أعمدة أخرى قادمة ..



# فحوص

المدونات غير المنشورة

لن تتحرر..

# أوتكون حراً..

لذا قبل قيودك وتقبلها ..

تنويه :

كل ما سيذكر بعد هذا الصفحة لا يعد بأي شكل من الأشكال  
مصدرًا للعلم ولا يجب تطبيقه أو الأخذ به ويجب التعامل  
معه على أنه مجرد .. هلوسات.

## باب ما جاء في الداء والدواء

مراقبة حركة اللسنة النار المشتعلة هي البوصلة لرصد الضغائن  
والمشاحنات وتطهير الغرف يبدأ بفتح الباب وليس إغلاقه ..

مسك الغزال سلاح ذو حدين فما يؤكل من السحر نافخ للبطن مدر  
للعرق مجمد للعروق حارق للجلد

السفر والتنقل عبر السماء بين البلدان حقيقة .. لا تحتاج سوى تطويع جماد  
منبته الأرض

والبحر منجم للكنوز .. مائه وملحه وترا به ..

لا تلبس الجلد إلا بحجر ولا تلبس الحجر إلا بمعدن نفيس ..  
فنصوص الفصوص سراب يسهل الضياع فيه ..

الماء أصل الحياة والنار أحد مسبباتها .. والفرق أقسى موته لكن حافته  
فاتحة ..

الكي عافية ذات عاقبة وعقوبة ..

مداس القدم باب للداء والاستغناء عنه له منافع جمة

إحدى عشر قمراً من التيجان وزد عليهم واحداً هو الطوق ..

مزدري من كان يرى في الغير نفسه وعاقبته مستجلى في حياته قبل مماته

بين نذير الشؤم وعين الحاسد يقع ويتساقط الكثير

لكل داء دواء لكن ليس لكل أن يجده .. فليس كل خشاش ذا نفع

والفصد أصل من الأصول ..

عليك بالصوم، ثم الصوم ثم الصوم ..



لا تلوك ورقًا خط عليه حروف ..

القطط نعمة لمن يكرمها ونقمة على من يؤذيها ..

العين والخبيث وجهان لعملة واحدة ..

الغضب سيد سادات الأمراض ..

## حصيلة المحصول

ابنة أخي تتذمر في كل مرة تنتقل فيها لمرحلة دراسية جديدة ..

الكتب تكبر وهي يهياً لها بأن عقلها يصغر ..

هي فقط تحتاج بعض التوجيه ..

ادربي صائمة .. إلا عن الماء والمنبه غير المحلى لو استلزم

اكسري صيامك بتين أو زيتون

قبل أي استذكار خذي حصة كافية من النوم وزيدي عليها ثم

انهضي مباشرة لكتبك .. لا تتحدثي أو تتواصلي مع أحد قبلها

حتى تفرغي من درسك

قبل النوم تناولي ملعقة من «خليط الحفظة».. زيت زيتون وزعتر

خلال الاستدكار لأي اختبار مقبل امضغ لبانة بنكهة (خالية من السكر)  
من اختيارك وخلال تأدية ذلك الاختبار امضغ لبانة بذات النكهة

## بنات أفكارى المنبذات

حينما أتابع فلما أو حلقات من سلسلة ما أجد نفسي غالباً متعاطف مع الشخصية «الشريرة» كما توصف في تلك الأعمال لأنى أجد بأنها الأكثر طموحاً وسعيًا وراء ما تريد دون غيرها من الشخصيات بغض النظر عن أهدافها.

قد يفسر البعض أو الأغلب على الأرجح أن هذا نوع من الشذوذ أو الخلل النفسي عن المجتمع «الطبيعي» لكنه ببساطة اختلاف وشعور لن أقمعه أو أقصيه لأكون جزءاً من الرسالة الفجة الموجهة ولن انجرف أو اتساق خلفها دون تأمل لفحواها الحقيقي. سوف امنح ذلك الشعور بعض الوقت كي يتجلى أمامي ويكبر فقط لأعينه بصورة أقرب وأحاول فهمه أكثر.

مشكلتي مع «الخير» في هذه الأعمال أنه قُدم لنا بشكل منافي لواقعي وكان «الشر» والحالة التي يمر بها «الشرير» من اقضاء وتنمر هي الأقرب لحال الكثير اليوم وليس الاستثناء فلما العجب حينما نرى الارتباط العاطفي

معهم أكثر واكبر .. أنا مؤمن أن غالبية من الناس يشعر بالمثل حتى وإن لم يظهروا ذلك. ليس حباً في الشر بقدر ما هو تقارب خفيف بين حالهم وحالنا. نحن لسنا ملوك أو أبطال خارقين .. السواد الأعظم منا بسطاء من عامة الناس حالاً وأوضاعاً. فلا تطلب مني التعلق بمن هم في عنان السماء متريعين وتتوقع مني تجاهل من هم حولي واكتافي ترتطم بأكتافهم كل يوم حتى وإن كانوا «أشراراً» كما تصفهم.

تلك النخبوية للشخصيات الخيرة جعلت عقولنا الباطنة ترفضها وإن تظاهروا بقبولها وتأييدها. حينما شاهدت فلم Lion King أول مرة حزنت على موت أخ الملك المصور كأصل الشر في القصة أكثر من الملك نفسه فالمشترك بيني وبينه كان أكثر من ذلك الملك المرفه.

# الحقيقة التي لا يريد أن يسمعها أحد

غالبنا جاهل ومعظمنا لا يعرف حقيقة سير الأمور من حوله وهذه نعمة أحسد لهم عليها أحياناً ..

تحدثت سابقاً عن مصطلح «الجهل» وكيف أنه ليس بمذمة وهذا يقودني لمصطلح آخر يتعامل معه الناس أيضاً على أنه مذمة وانتقاص وهو «التخلف». هذا المصطلح يشير فقط للتراجع وعدم اللحاق بركب ما .. سواء كان ذلك الركب تطوراً علمياً أو أخلاقياً أو كلاهما. تماماً مثل تخلف العداء في السباق فوصفه هنا بـ«المتخلف» ليس بمذمة أو انتقاص على الإطلاق لكنه وصف لحالته وترتيبه بين بقية المتسابقين.

ونحن اليوم كأمة عربية لا شك أننا «متخلفون» عن بقية الأمم الأخرى في سباق التقدم العلمي والأخلاقي. وقبل أن أستفز أحداً بهذا الكلام لاحظ أني قلت «أمة عربية» وليس «أمة إسلامية» فأنا حريص في كل نقاش ألا أدخل الدين في الموضوع قدر الإمكان كي لا يتهرب أحدٌ بقول «نحن أمة الإسلام وأعزنا الله به» وأضطر للرد عليه بما هو جلياً وواضحاً لأي عاقل بأن «تخلفنا صبيحة عقولنا وليس ديننا».

فالإسلام أداة تهذيب لكن إذا لم يكن هناك نتيجة أو شيء ليهذب من الأساس فما النتيجة التي تتوقعها؟

نحن كمن يصرخ بأنه لن ينحني لأحد وهو منبسط من الأساس. هذا ليس جلدًا للذات ولا تحاملاً على أحد فأنا عربي ومسلم، ولكنها حسرة على الحال لا أكثر. ولم أرى حالاً أسوأ مما يحدث كل يوم لعالم أو شخص يثبت ويظهر حقيقة ما ويجبر نفسه على تكذيبها عندما يتعرض لضغط من تخلف «جمعي» يتكالب عليه ويرغمه بقوة «الحق» على تكذيب ما تراه عينيه ويدركه عقله ويشعر به قلبه وكل حواسه.

من حق أي أحد ألا يقبل رأيي لكن من باب العدل والمساواة ألا يجبرني هو على قبول تخلفه.

نعم تخلفه .. تخلفه عن الركب الذي سار ويكاد أن يصل لأقصى فضاء التقدم والمعرفة وهو لا يزال يناقش مواضيع عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع.

عزيزي المجالد الورقي .. يجب أن تدخل الدنيا أولاً قبل أن تفكر بكيفية الخروج منها. الدنيا هي السباق الذي تحدثت عنه قبل قليل والذي «تخلفنا» عن المنافسة فيه. الكثير يتغنى بأن الدنيا ماهي إلا طريق أو محطة وليست



مستقر، ولكنه حتى لم يمشي في هذا الطريق أو يتوقف عند تلك المحطة كي  
يصل للمستقر. حجج صنعها ويصنعها كل كسول متختم بالفشل.

ما هو برأيك أول شيء سيخطر على بال عداء يرى المتسابقين أمامه في  
الأفق وقد قطعوا مسافة طويلة نحو خط النهاية والانتصار والانجاز؟

أن يتخذ قرار الانسحاب .. الانسحاب من السباق ..

الانسحاب من الدنيا ..

هذا هو التفسير الوحيد (من وجهة نظري) لتجارة الموت والانتحار  
الرائجة في زمننا اليوم لكن كيف نبررها ونجعلها أكثر جاذبية من الحياة  
نفسها والتي خسرناها بتخلفنا؟ .. نعم صحيح .. بإقحام الدين في  
المسألة وبشكل مشوه طبعاً كي يخدم توجهنا الجديد وطريقنا المختصر  
نحو السعادة الأبدية.

هذه الفكرة ليست بجديدة أو وليدة اللحظة فهي أسلوب قديم مورس ولا يزال يمارس من قبل الكثير من الحضارات والأديان وليس محصوراً على منطقتنا العربية أو الإسلامية، ولكن كوننا في الوقت الحاضر أكثر المتضررين من هذا الفكر المشوه وجب ولو من باب إبراء الذمة ذكره والتذكير به.

## الحرام المعيب والعيب الحرام

كنا في أحد الليالي مجتمعين على وليمة عشاء أعدها (يوسف) بمناسبة قدوم مولودته الجديدة .. (وله) سابقاً .. وضمت تلك الوليمة جميع أصدقائنا في المزرعة بالإضافة لبعض أقرباء (يوسف) وقد كان من بينهم رجل لنقل أنه «متحمس» ولا تظهر عليه «خارجياً» أي من علامات التدين المعروفة كي لا نقع في تهمة التصنيف الفكري ونكتفي بالتصنيف الخارجي فقط.

بعد العشاء اجتمعنا جميعاً في مجلس المزرعة وكان ذلك الرجل متصديراً قلب المجلس مكاناً وحديثاً. لم أمانع ذلك خاصة وأن الحاضرين كانوا ينصتون له بين مهتم ومجامل ومتضجر بسبب أسلوبه الخطابى المزوج بشيء من الفوقية ونبرة المخلص. أعتقد أن ذلك المتحدث المتحمس لمس انخفاض الاهتمام بحديثه تدريجياً مع مرور الوقت في أعين الناس فأحب أن «يُبهر» الموضوع قليلاً ويعيد الأضواء نحوه بعدما تسلطت على بعض لأحداث الجانية التي نشأت جراء دورانه في نفس الدائرة الوعظية حتى أصبح كالأسطوانة المشروخة ويصر على عزفها لنا.

لا أذكر تحديداً ما الذي جره للنقاش مع أحد الحاضرين عن موضوع الأديان وحرية اعتناقها .. أعتقد أنه علق على عامل المزرعة غير المسلم ونصح بأن يُستبدل بآخر يكون مسلماً أو شيء من هذا القبيل لكن المهم في الموضوع أن أحد الضيوف ناقشه في هذه النقطة بشيء من الاختلاف مما دفعه لرفع حدة الجدل لإثبات وجهة نظره وبطلان غيرها. عندما رأيت أن الموضوع تحول من خطبة إلى حوارٍ مفتوح متعدد الأطراف شارك فيه أغلب من كانوا حاضرين أدليت بدلوي ولم أوجه كلامي إليه مباشرة، بل للجميع وقلت :

- نحن كمسلمين مُلزمون باحترام معتقدات الغير وليس الدينية منها فقط وتمسكنا بها نؤمن به وتطبيقه كما أمرنا كقيل بنشر مبادئنا لو كنا مثلاً جيداً وقدوة حسنة لغيرنا تشجعهم على الاحتذاء بنا فالإنسان بطبعه كائن مُقلد لما يعجبه أكثر من كونه مُنفذ لما يؤمر به ويُعمل عليه. بالطبع لم يمر كلامي هذا مرور الكرام عند صاحبنا «المتحمس» وقال بنبرة ساخنة:

«معنى ذلك أننا يجب أن لاندعوا للتوحيد ونترك الكفر يتشرع في الناس!»

علقت على كلامه دون أن التفت إليه أو أوجه كلامي له لأنني أعرف أنه يريد جري حوار مباشر بيني وبينه كي يتحول النقاش لصدام عنيف يخرج منه من وجهة نظره منتصراً فقلت مخاطباً الجميع مرة أخرى :

- نحن أمة أخلاق أولاً وآخراً والدعوة لله لها أشكالٌ عدة تفرضها الظروف لكن الأصل أن الدين المعاملة وتحليها بأخلاق الدين وإظهار ذلك لبقية الشعوب غير المؤمنة بها نؤمن به سوف يكون له الأثر الأقوى في نشر وترسيخ أي فكرٍ نسير عليه ونطبقه فليس من السهل على الإنسان التخلي عن قناعات آمن بها لسنوات أو منذ ولادته غالباً وورثها عن أجداده إلا إذا قدم له نموذجاً مغايراً وجذاباً يجبره طوعاً على أن يستبدل ويبدل ويغير تلك القناعات والمفاهيم

علق البعض على مداخلتي بالتأييد أو هز رأسه بالموافقة والبعض الآخر اكتفى بالصمت أو الاعتراض مما أثار حفيظة صاحبنا لأنه لم يدخل النقاش بحثاً عن الرأي والرأي الآخر، بل الهدف الرئيسي له كان وما زال الانتصار بالتفرد برأيه بغض النظر عن رأي غيره لأنه يرى أنه في معركة وليس نقاش. هذا الانفعال قاده للوقوع في هاوية الشخصية ولا شك أنني سأكون

هدفه التالي فمحاربة صاحب الفكرة أسهل بكثير من محاربة الفكرة نفسها  
لذا قال بتجهم :

«هذا الكلام تميع للدين ولا يقوله إلا فاقد إيمان!»

هنا قررت توجيه نظري وكلامي له فلم يعد هناك مجال لتجاهله أكثر  
من ذلك وقلت :

- هل تقصد أنني لست مؤمناً؟

(المتحمس) : بل تجاوزت ذلك بمراحل ولا أستبعد زندقتك!

- جميل .. إذا فأنا كافر في نظرك؟

(المتحمس) : أنا لم أقل ذلك لكن ما تقوله من مسببات الكفر!

- لنفترض أنني كافر .. أريدك أن تحاورني على هذا الأساس كي نلغي

حجج الدين من الموضوع

(المتحمس) : إذا فمقعدك من النار ينتظرك! .. قالها بعصبية شديدة ..

- ولما الانفعال إذا كنت سأدخل النار؟ .. هل ستدخل معي؟

(المتحمس) : انفعالي هو لأنني أحب لك الخير! .. قالها بصوت مرتفع

وغيظ متفجر ..



- تحب لي الخير؟ .. أنا لا أرى أي خير في نبرتك وأسلوبك .. لكن  
لنفترض ذلك جدلاً أيضاً .. أليس من المفترض أن تُحب لي ولبقية  
الكفار في العالم نفس الخير وتدعوا لنا بالهداية

(المتحمس) : دعائي للمسلمين أولى!

- حيرتني معك .. ماهو واجبك نحونا نحن الكفار في نظرك؟ .. حب  
الخير والهداية أم تمنى عذاب النار لنا؟

صمت لثواني محققاً بي ثم قال بعد زفرة ساخنة : الكافر المعتدي ليس  
كالكافر المسالم؟

- معتدي على ماذا؟

(المتحمس) : على أرض المسلمين!

- وماهي حدود أرض المسلمين؟

(المتحمس) : كل الدنيا أرضاً للمسلمين ويجب أن نبسط الاسلام فيها

بالتراضي أو القوة

- إذا فكل غير مسلم يقف على شبر من هذه الأرض معتدي من وجهة

نظرك ويجب محاربته لتحرير أرضنا منه



(المتحمس) : أنت مدلس ومحاول المراوغة!!

- أنا احاول فهم منطقك فقط ..

بدأ الرجل بعدها يهرطق بكلمات خطابية بصوت مرتفع وجهها للجميع  
وحاد عني بنظره وتهرب من اكمال الحديث معي بشكل مباشر ..

كيف لا والجاهل ماهو إلا لغمّ ينتظر منطقاً ليدوسه كي يتفجر ..

وبالفعل كان انفجاره مدوياً في المجلس. ولم ينقطع خطابه العقيم إلا  
عندما أشار (يوسف) بأن الوقت تأخر ورحل وتبعه أفراد المجلس تبعاً  
ولم يُفتح الموضوع مرة أخرى وأنا لم أكن أريد ذلك من الأساس لأن هذه  
النقاشات لن تضيف لي ولن تغير شيء من قناعات شخص لا يعرف معنى  
كلمة «حوار» فأسلوبه وأسلوب من انتهجوا نهجه واحد ولا يتغير وهو :  
«أنا مندوب الإسلام وما أقوله من الإسلام ومن يجادل أو يعترض علي  
فقد جادل وأعترض على الإسلام وخرج عليه ومنه»

معادلة محصنة وفتاكة لمن لا يملك مناعة من هذا الأسلوب النفسي  
اللتيم. كيف يستطيع شخص بسيط مناقشة هذا النوع من الطرح المريض  
المحتشمي خلف الدين والمواظع؟ .. المواظع المغلفة بالإحباط وجلد الذات  
وسيلة فعالة لنيل التعاطف المؤقت وفعالة أكثر في منح قائلها حصانة من

النقاش أو المجادلة. لكن ذلك النوع من الدروع الهشة يتهشم فوراً مع أول ضربة من مطرقة المنطق مما يدفع المحتمي خلفها للصراخ والعيول والتكشير عن أنيابه كالقط المحاصر.

هذه الصدمات لا مفر منها إذا كنت ستحتك بالناس ..

## الجانب المظلم من «العادات والتقاليد»

لو دققنا قليلا في مصطلح «العادات والتقاليد» لوجدنا انه مشتق ومبني على مصطلحين .. «العادة» وهي فعل يمارس بشكل دوري ومتكرر بغض النظر عن صحته أو فائدته والآخر مشتق من كلمة «تقليد» وهو فعل يمارس كذلك دون تفكير أو منفعة مرجوة عدى الحصول على نفس النتائج.

ولو دققنا أكثر في الممارستين لوجدنا عامل مشترك مهم بينهما وهو المحدد الحقيقي لمفهومهما وهو «الممارسة مع غياب العقل» فلا العادة أو التقليد يستلزمان وجود عقل أو منطق خلال تطبيقهم فكل ما نحتاجه هو استمرارية زمنية مع الحفاظ على نفس الآلية والمنهجية بغض النظر عن الفائدة أو الضرر الواقع.

ولأكون منصفاً فإن بعض «العادات» و «التقاليد» جيدة ومفيدة لكن ما وأن يتجاوزها الزمن وتصبح مضرّة ومعيقة أو على أقل تقدير بلا فائدة مرجوة. وكى نفهم مدى ضرر بعض العادات والتقاليد على جودة الحياة البشرية اعلم عزيزي الإنسان أن بعضها قاوم العلم والدين مجتمعين ورفض الأثنان دفعة واحدة لأنها تعارض مع استمراريته.

استمرار سلوك إنساني مضر وغير مبرر بعلم أو دين يستوجب غياب العقل لذلك تجد «غالباً» من يتمسك ببعض العادات والتقاليد البائدة لا يحمل الكثير من «الذكاء» إن صح التعبير. وعلى النقيض .. فالمتمسك بالعادات والتقاليد الحميدة قد يكون شخصاً عالي الذكاء ليس لأنه مستدرك نفعها بقدر ما هو مدرك لضرر التخلي عنها في الغالب تمنحه حقوقاً لم يكن سيحصل عليها إلا بالجد والعمل وهذه «العادات والتقاليد» اختصرت عليه مسافة طويلة لن يضطر قطعها ووفرت عليه جهداً لن يطلب منه بذله.

«العادات والتقاليد» حينما تكون وعاء لحفظ الموروث القديم والجميل من أي ثقافة وحضارة فهي هنا تكون في أسمى حالاتها وتقدم خدمة مجتمعية كبيرة لكن حينما تستخدم لمنح الامتيازات لبعض الأشخاص دون وجه حق هنا تكون ورم سرطاني ينخر في ذلك المجتمع ويجب استئصاله.

## المنطقة الرمادية

هي مساحة تضم علماً لا يندرج تحت مسمى الحقيقة ولا يمكن وصفه بالهرطقات، بل هو شيء يقع بينهما ولا يتعارض مع أي منهما وقد يأتي بأمور لم يذكرها أحدهما. كفائدة النوم على الأرض مثلاً أو في ظلام دامس (هذه النقطة يحث عليها العلم الحديث مؤخراً) .. النوم على الأرض أو في الظلام لا يتعارض مع الدين ولم ينهي عنه وكذلك العلم لم يحذر منها فما الضير من ممارستها؟

الضرر هنا (من وجهة نظر البعض) على شقين .. ضرر في العقيدة أو «المعتقد» للمؤمن بالدين وضرر في «المبدأ» للمؤمن بالعلم فقط ..

الأديان السماوية تشترك في قاعدة مهمة وهي نبذ كل شيء دخيل عليها مبني على أساس عقائدي لذا فهم لا يجدون مشكلة في تقبل النظريات العلمية الحديثة إذا لم تتعارض مع أساسيات معتقداتهم ومنهجهم.

أما الملحدون المؤمنون بالمنطق والطبيعة والعلم المادي الصرف يجدون أن تجربة أي شيء جديد لم يدعمه العلم أو يبت فيه يعد من باب الغيبيات ويتنافى جملة وتفصيلاً مع كفرهم بتلك الغيبيات وقد يجرحهم لما يحاربونه كل يوم. هم لا يرفضون التجربة بحد ذاتها لكنهم يرفضونها من باب الإيمان بفائدتها.

هذه المنطقة الوسط بين الدين المبني على الإيمان الغيبي وبين العلم المبني على الثوابت المحسوسة والمثبتة تشكل عبثاً كبيراً على أي من أتباع الطرفين حينما يحاول تقبلها فهي لا تنتهج منهجاً مألوفاً لأحدهما وهذا ما يجعله علماً مرفوضاً وغير مطروحاً من الغالب والعلم الذي أحمله يقع معظمه في تلك المنطقة الرمادية.

السبق العلمي هاجس معظم العلماء وهذه الرغبة في التفرد جعلتهم يتجاهلون الكثير من العلوم والفرضيات القديمة الجديدة التي يأتي بها غيرهم أما جهلاً أو حسداً. أنا لا أحاول الإيعاز بأن هناك مؤامرة منظمة لدفن العلوم القديمة لكن بلا شك هناك تقاعس وتجاهل كبير لها.

وللأسف الشديد استغل الكثير من السحرة والمشعوذين ذلك التقاعس وأخذوا تلك العلوم وخلطوها بعلم السحر الفاسد ليروجوا لأنفسهم أكثر فتلوث ذلك «العلم المندثر» المفيد وأصبح منبوذاً بين الناس مع مرور الزمن فتجد في كتاب صريح عن السحر صفحات كثيرة من الطلاسم والتمجيد للشياطين يُدس فيها بعض تلك العلوم النافعة والمندثرة ليبدلوا على الناس ويوهموهم بأن السحر علم نافع وهذا بلا شك غير صحيح.



## بحور العلم وفوضى البحث

كنت وما زلت أقول بأن جزء كبير علم النفس ماهو إلا محاولة مشوهة  
لللباس العلم الروحاني لباس علمي مجرد

وهذه ليست المرة الأولى التي يحاول فيها البشر تسطيح العلوم الأسمى  
بخلطها أما جهلاً أو عمداً ببعضها البعض فقط كي يبرر قصور تفكيره أو  
نخب نواياه.

كمن يحاول البحث في إعجاز القرآن وربطه بالفرضيات والاحصائيات  
العلمية معرضاً الدين للتشكيك والسخرية.

وخير مثال على ذلك حينما نرى من يحاول تبرير التعدد لقلة الرجال في  
الأرض .. مضحك ومخز مثل هذا الاستنباط الذي يدعي في ظاهره  
أنه مبني على احصائيات علمية ويغلفها بثوابت دينية فقط كي يكسبها  
القبول ويحصنها من التفنيد المنطقي.

وأرى من واجبي أن أفكك هذا المنطق المعطوب ..



لو وقعت حرب أبيد فيها معظم النساء على وجه الأرض أو وباء ما ماذا  
ستقول وقتها؟ .. هل لمنطقية «التعدد» التي وضعتها هنا تبرير؟ .. مثال  
آخر على سبيل الذكر لا الحصر .. القول بأن الصيام مفيد للجسم لذلك  
كان لزاماً علينا صوم رمضان .. ماذا لو ثبت علمياً انه مضر هل ستتوقف  
عن الصوم؟

كلام فارغ ومحاولات يائسة لتبرير تعاليم سماوي ثابتة بعلم دنيوي قاصر  
ومتغير. ربط الدين بالعلم لعب بالنار ومحاوله تحويل كتاب الله لكتاب  
علمي قابل للنقض هو عبث غير مدروس. كلام وشعائر الله هي أوامر  
تتفد ولم يطلب منا تبريرها كي توأكب سعيها القاصر في فهم العالم. لقد  
نُصب لنا الفخ ووقعنا فيه لأننا لا نبحث ولا نفكر بأنفسنا وقدمنا عقولنا  
رهينة لمن يفكر عوضاً عنا.

لذا نرى الحمقى من الناس تنبهر من شجر تنحني جذعها من عوامل  
التعرية على انها خرت ساجدة لله وهذا امر ما انزل الله به من سلطان ..

الأيمان المطلق بالله لا يحتاج تبريراً أو إقناعاً كي اتيقن أن وجود الله حق ..  
الله موجود والبحث عن دليل مادي ملموس لوجوده ينافي مبدأ الإيمان

الإيمان الغيبي به سبحانه ليس قصوراً في العقل، بل ارتقاء لا يعيه الكثير  
لذا تجد أن هناك تجارة جديدة قد ظهرت وراجت ولم ينتبه لها الناس وهي  
التجارة بالدين باسم العلم والمنطق .. وسياقي يوم ويتمادى المنطقيون في  
طلب تفسير لثوابت في الدين ووقتها سنقف عاجزين مدفوعين نحو  
الشك في وجود الله ونُدفع قسراً من فوق قمة الإيمان لهاوية الإلحاد.

إذا كنت تؤمن بوجود أمراض مثل الاكتئاب والفصام بالرغم من أنه لا  
يوجد دليل علمي مختبري واحد على وجودهم (فهي مجرد تفسيرات لظواهر  
تحدث أمامنا) فما الذي يمنعك من الإيمان بغيرها من الظواهر التي لا يملك  
الإنسان تفسيراً علمياً لها؟ .. الصرع يتقبلون أنه زياده في كهرباء الجسم  
بالرغم من أنها تبقى مجرد نظرية ويرفضون فكرة المس لأن المس مرتبط  
بالشياطين والشياطين مرتبطة بالعلم الديني وهذا أمر مرفوض عندهم.  
لك الحق في أن تؤمن فيما تشاء ولي نفس الحق كذلك لكن لو دققنا النظر  
لوجدنا أن الطرف الذي يحارب الآخر بضراوة هو الطرف الذي يدعي  
العلم والمنطق ليس لأنه حريص على اظهار الحقيقة بقدر شكه في تلك  
الحقيقة التي يدافع عنها.

الدين مفيد للمدلسين والتعلق حتى بقشوره له منافع عدة فالكثير  
من فقدوا مكانتهم الاجتماعية استعدادوا خلال وقتٍ قصير ببعض  
التصاريح المشبعة بالاستشراف الديني

لذلك احذر أن تكون من المخدرين وأبحث وتفقه في دينك ودنياك  
بنفسك ..

## هل قابلت مهندساً من قبل ؟..

عرجت على موضوع «المندسين» سابقاً بالرغم من أن هذا الموضوع حساس وشائك إلا أنه في الحقيقة ممارسة ومعروفة منذ قديم الأزل حتى بين البشري. فالرؤساء والشخصيات المهمة حول العالم عُرف عنهم استخدام «البدلاء» أو «الأشباه» كي يحضروا عنهم بعض المناسبات الروتينية أو ليقوموا ببعض الأعمال التي لا تتطلب قرارات حاسمة ومصيرية. حتى في المجال الفني يستخدم بعض الممثلين والمخرجين ما يعرف بـ «الدوبلير» ليحل مكانه في المشاهد الصعبة والتي قد تعرض حياة الممثل للخطر.

إن كنت تعرفني عن قرب أو «قابلتني» مرة أو عدة مرات في محفل عام أو حتى خاص ففي الغالب أنك ألتقيت بأحد «الثلاثة». بعد سنوات من «التمرين» والتجربة والخطأ خرجت بثلاثة مندسين يمكنني إلى حد ما أن أعتمد عليهم في حال احتجتهم وتخلصت أو إن صح التعبير «استغنيت» عن العشرات لأنهم لم يتمكنوا من تلبية ما كان مطلوب منهم على أكمل وجه. هذا ليس قصوراً منهم، ولكن الكينونة المستخدمة كمندس يجب أن تكون من «الجن المسلم» وهم في الغالب لا ينصاعون بسهولة دون طلاس

ويفضلون «التقديرات» أو أخذ عهد الطاعة من كبيرهم إن كانوا يتبعون  
قبيلة أو طائفة ما.

دون الدخول في تفاصيل أكثر سوف أذكر المندسين الثلاثة الذين  
يرافقوني إلى اليوم مع أبرز مميزاتهم وعيوبهم. وهذه الأسماء هي ألقاب  
لقبتهم بها للتفريق بينهم وليست أسمائهم الحقيقية.

### عتم

وهو أقل مهندس استخدمه بين الثلاثة لأن قدراته محدودة ولا يجيد  
المحاكاة بشكل متقن إلا مع غياب الشمس فاستخدامه في النهار يحد من  
قدرته للتواصل اللفظي ويصاب بما يشبه التأتأة لكن سبب ابقائي عليه  
هو قدرته العالية على محاكاة سلوكي وردود افعالي حينما استعين به ليلاً.  
مرافق جيد ومتحدث لبق لكن حساسيته من الشمس تحد من استخدامي  
له في مناسبات كثيرة. وكذلك عدم قدرته على لبس المعادن لفترة طويلة  
تحد من استخدامي له.

## كوكبي

أكثر مهندس استعين به لحضور المحافل التي تكتظ بالناس سواء كان ذلك ليلاً أو نهاراً فقد رته العالية على التفاعل الاجتماعي والدخول في تفاعلات بشرية طبيعية عالية جداً لدرجة أنه يستطيع تناول الأطعمة واحتساء المشروبات بكافة أنواعها دون أن يظهر عليه أي تأثير كما هو الحال مع معظم الكينونات الأخرى ويصعب التفريق بينه وبينني إلا من ذوي الخبرة في المهندسين وهم قلة. يجيد حفظ الذكريات التي تجمعني مع الناس ويمكنه الاستعانة بها لتعزيز أي حديث طارئ. عيوبه محدودة لكنها يمكن أن تكون مكشوفة لأصحاب الملاحظة الدقيقة. فبالرغم من إجادته التشكل الجسدي والسلوكي بإتقان وقدرته على لبس المعادن دون أن تلحق به أي خلل أو ضرر إلا أنه يفقد السيطرة على تشكّل ملامح الوجه بالذات حينها يتوقف عن الحديث لمة طويلة ويبدوا لمن أعتاد على شكلي بأني متعب أو مرهق أو أنني مريض لكنه يستدرك الأمر ويحاول فتح حديث مع أي أحد كي يستعيد الشكل «الطبيعي».



## ميزم

هذا المهندس هو الأكثر اتقاناً لي حينما يتطلب الأمر الجلوس مع شخص واحد فقط أو على الأكثر ثلاثة. فهو يستطيع إدارة حوار كامل بكل الانفعالات المطلوبة ويقدم معها نقاش مكتمل يعكس آرائي ومبادئه تماماً. التركيز العالي هو أبرز صفاته. يستطيع قراءة الأشخاص من تحركاتهم وانفعالاتهم بدقة ولا يمكن خداعه أو التحايل عليه. تقاريره التي يقدمها واضحة ومفهومة ولا يستعين بالترميز كالمهندسين الآخرين. لا أجده فيه عيباً صريحاً سوى أنه يتشتت في التجمعات الكبيرة ولا يستطيع السيطرة حينما يتطلب الأمر منه التفاعل مع عدة أشخاص يتحدثون معه في نفس الوقت. وكذلك عدم قدرته نهائياً على لبس المعادن تجعل منه مهندساً سهل الكشف لقوي الملاحظة.



## موعد مع عواد

في ليلة من الليالي كنت أكتب في مدونة بقلم رصاص وبيجاني على سطح الطاولة يستلقي القط الأبيض السمين الذي تبنيته مؤخرًا لأنه في ذلك الوقت لم يندمج بعد مع قططي الأخرى وكان لا يستطيع النوم معهم وبينهم لأن امهم كانت تنهره على الدوام بحكم أنه الذكر الوحيد وخشيت على صغارها منه .

خلال ذلك أضاء هاتفي الذي كان مصمتاً باسم «عواد» ..

فتحت الخط وأجبته : ماذا تريد؟ .. أنا أدون الآن؟

(عواد) : هناك أمر أريد مناقشته معك ولا يحتمل التأجيل

- باب القبو غير مغلق .. أين أنت؟

(عواد) : وقفت للتو أمام المنزل

فتحت من خلال هاتفي التطبيق الخاص بكاميرات المراقبة الموزعة خارج وحول المنزل وشاهدته يترجل من سيارته.

- نعم أراك .. أدخل لا يوجد أحد بالمنزل

(عواد) قبل أن يغلق الخط : ومنذ متى تستقبل الزوار كي تقول ذلك؟  
.. أنا لم أرى أحد يدخل هذا المنزل لمدة طويلة

تبسمت وأنا أمسح على ظهر القط الأبيض وقلت محدثاً نفسي : «أنت  
تري ما أريد منك رؤيته يا (عواد) فقط ..»

عدت للكتابة وبعد مضي دقائق سمعت باب القبو يفتح تبعه نزول  
(عواد) وهو يتحدث معي ومع نفسه كعادته وقال : لا أعرف ما فائدة  
الانارة هنا إذا كنت لن تستخدمها .. في كل مرة أنزل لهذا المكان أشعر بأنني  
أختنق وكأنني في تابوت محكم الأغلاق

أجبتة وأنا مستمر في الكتابة دون أن أرفع رأسي أو نظري : لست مجبراً  
على القدوم خاصة في هذا الوقت من الليل

وقف (عواد) بجانبني وبدأ بالمسح على ظهر القط وقال : ألن تعيد القط  
لصاحبتة؟

- أنا لم أسرقه كي أعيده ..

(عواد) : لما هو هنا وليس مع البقية في غرفتهم بالأعلى

- لم يندمج معهم .. أو بالأصح كبيرتهم لم تقبل وجوده بعد

(عواد) : تلك القطة لا تقبل أحد .. هي لم تتقبلني حتى الآن

- هذا أمر مبرر لكن عدم تقبلها لـ (ليو) هو الأمر المحير بالنسبة لي

(عواد) : ماذا تقصد؟

- اختصر يا (عواد) وهات ما عندك ولا تضع الوقت في أحاديث جانبية ..

(عواد) وهو يقلب بعض الاوراق على الطاولة ملتقطاً إحداها متظاهراً

بقراءتها : الفتى الذي قمت بعلاجه قبل يومين تماثل للشفاء ..

- وما الجديد؟

(عواد) واضعاً الورقة على الطاولة موجهاً نظره لي : الجديد انه بعد أن

تمكن من الوقوف واستخدام قدميه ذهب بهما لأقرب فرع للشرطة وقدم

شكوى ضدنا

- شكوى ماذا؟ .. قلتها وأنا مستمر بالكتابة

(عواد) : باننا سحرة قمنا بسحره ثم علاجه لتحصيل المال

وضعت القلم جانباً ثم حملت القط ووضعته في حجري وأدرت مقعدي

خلفي .. وقلت : وهل أخذت منه مال يا (عواد)؟

(عواد) بنبرة قاطعة : بالطبع لا ! .. إنه كاذب ويدعي ذلك ولا أعرف  
لما فعل ذلك بعد كل ما قدمنا له !

- ما الحكاية إذا؟

(عواد) : لا أعرف لكننا مطلوبين لمراجعة القسم في موعد اقصاه يومان  
والا سوف يرسلون من يقبض علينا  
- هل فهمت الان لما اريد التوقف؟

(عواد) : لقد كان يتوسل إلينا بأن نساعدته وهو من عرض المال أكثر من  
مرة بالرغم من رفضنا والان يرفع شكوى ضدنا بعدما تماثل للشفاء  
- الحق يا (عواد) الحق آفة .. أنا لا ألومه، بل ألوم نفسي

(عواد) : تلومها على ماذا؟

- بآني لازلت أثق بالناس ويأنهم يستخدمون عقولهم .. منذ اليوم  
وصاعداً ستتوقف عن تقديم المساعدة لأي أحد

(عواد) : لا تجعل هذا الموقف يغير منهجتنا

- ومن قال لك أن تقديم العلاج هو منهجي أو من اهتماماتي .. هذه  
كأنت فكرتك من الأساس وأرى بأننا وصلنا لنهاية الطريق

(عواد) : لا تحرم المحتاجين بسبب هذا الأحمق  
- لقد اتخذت قرارى .. ستتوقف

(عواد) بشيء من السخط : لو كنت قد قبلت نقلت علمك لى لما  
اضطرت أن تكون بالصورة

- لقد تحدثنا فى هذا الموضوع أكثر من مرة .. هل نسيت ما حدث لك  
فى ذلك المنزل المسكون .. وما حدث مع (جواهر) ..  
(عواد) بنبرة أقل حدة : لا ..

- أنت لم ولن تكون مستعداً يا (عواد) واليوم الذى تصل فيها لهذه  
القناعة سنرتاح جميعاً

(عواد) : ليس بالضرورة أن يكون أنا .. انقله لغيرى  
- لن أكون كـ(عمار)

(عواد) : عمار كان يريد نقل علوم السحر لك

- وقد فعل وإلى هذا اليوم لا أستطيع التخلص من هذا الدنس

(عواد) : لكنه نقل معه علماً آخرًا ليس بدنس .. علم الأولين ..

- التداخل بينهما كبير ولن يستطيع شخص محدود التفكير والقدرات  
التفريق بينهما وسينزلق لآماله فى غياهب الشعوذة كما حدث مع (هاجر)

(عواد) : ماذا عن (ماجد)؟

- ماذا عنه؟

(عواد) : ورثته علمك وهو بأحسن حال

- من قال لك ذلك؟

(عواد) : وضعه الان جيد وهو يقدم الفائدة والعلم للناس من خلال

برنامجهِ الإذاعي و ..

- و(هاجر) تخطط لقتله ..

(عواد) بتعجب : قتله ؟ .. لماذا؟

- نعم .. هي لازالت تبخر في العلم الفاسد ووصلت مراحل متقدمة

فيه وأنا اتابعها بشكل مستمر

(عواد) : هل تخطط للتدخل ومنعها؟

- لم أقرر ذلك بعد .. هي الان وصلت مرحلة متقدمة .. والمواجهة

معه لن تكون دون إلحاق الضرر بها

(عواد) : تتحدث وكأنك تكترث لما يصيبها

- أنا لا أكترث سوى لما خطت وقامت به يداي ..

(عواد) : لكنك تقول أن حياة (ماجد) في خطر

- أنا لست مسؤولاً عنه أو عن غيره .. أنا من صنع (هاجر) .. وأنا الوحيد المسؤول عن تحييدها بهدوء

(عواد) : أليس هو كذلك من صنعك؟

- الأمر يختلف معه .. هو لا يضر أحد

(عواد) : لكنك تراقبه عن بعد ..

- كي أحياه لو شذ عن الطريق ..

- لما تراقب (هاجر) إذا؟ .. لنفس السبب؟ .. هل تحاول حمايتها؟

- هناك من يخطط لقتلها هي ايضاً .. وهذا الشخص اقرب من تحقيق مآربه

(عواد) : فلتذهب للجحيم .. دعها تدفع ثمن أفعالها الشنيعة معك ..

هل نسيت أم أذكرك؟

- انسى هذا الموضوع الآن فهو لا يعنك وركز على التخلص من

مشكلة الفتى والشكوى المقدمة ضدنا

(عواد) : لقد بدأت بالفعل في ذلك وقبل أن آتي إلى هنا تواصلت مع



ذلك الرجل الذي عاجلنا امه من نوبات الإغماء وطلبت منه بأن يحاول حل  
الأمر كمعروف لي فهو لن يتردد برد الجميل لنا

- من تقصد؟

(عواد) : الرجل ذو الهيمنة والسلطة .. صاحب النجوم

- اه نعم تذكرته .. كيف لم يخطر على بالي الحديث معه؟

(عواد) : لأن ذهنك مشوش بأمور أخرى فيما يبدو ..

رفعت القط من على حجري ووضعتهُ أرضاً ثم التقطت قلبي واستأنفت  
الكتابة قائلاً :

«ارحل الآن يا (عواد) ودعني أكمل التدوين ..

خرج (عواد) من القبو تبعه تنبيه هاتفي بأنه ركب سيارته ورحل ..

قفز القط السمين على الطاولة مجدداً وبدأ يدفع برأسه المذياع الصغير

المستقر عليها ..

تبسمت وقلت له : هذا برنامج صاحبك المفضل وليس برنامجي أنا ..  
استمر القط بمسح رأسه على المذيع حتى أدركته وحولت القناة لبرنامج  
« هذا ما حدث معي .. »

بعد أقل من عشر دقائق قضيتها أدون بصمت منصتًا للبرنامج والقط  
الأبيض السمين يلعب تحت أقدامي أحسست بطبطة سبابة على كتفي  
.. لم أجزع ..

لأنني أعرف أن هذه طريقة الرسول الأزرق للاستئذان كي يتحدث معي  
حينما يكون لديه خبرًا يريد نقله أو تقريرًا يريد مشاركته ..

أذنت له دون التوقف عن الكتابة بقول : « تحدث .. »

## هذا ما حدث مع «ماجد»

خييط دخاني رفيع يتصاعد من طرف سيجارة أوشكت على الانتهاء ..

جمرة حمراء تتوهج قبل أن تحمد على سطح مطفأة كريستالية ..

يشير من كان يدخن بسبابته لفتاة تجلس في الطرف الاخر أمامه على طاولة ..

معلنا لها بأنه جاهز للبدء ..

تضع سماعة في أذنها وتشير هي بدورها له أنه أصبح على الهواء ..

«اهلاً بالجميع .. نعود لكم بعد الفاصل مع برنامجكم الأسبوعي

((هذا ما حدث معي)) ونستقبل اتصالاً جديداً .. من معنا يا (نور)؟

معنا (وجدان) ..

(وجدان) نحن منصتون

(وجدان) : قصتي طويلة نوعاً ما لكنني سأحاول أن أختصرها بأن أبدأ من اللحظة التي تركت فيها أخي الصغير وسط الصحراء وحده ليلاً  
(ماجد) بتعجب : اعتقد أننا نحتاج أن نسمع السبب قبلها لقيامك  
بمثل هذا الفعل المشين

(وجدان) : لا تفهمني خطأً  
- اعتقد أنني فهمتك بشكل صحيح فلا يوجد كلام يمكن أن أسمعه  
يبرر هذا الأمر

(وجدان) : حتى لو أخبرتك بأني كنت أريد تلقينه درساً فقط  
- درس؟ .. كم كان عمره؟

(وجدان) : عشر سنوات تقريباً  
- وأنت كم عمرك؟

(وجدان) : الشهر القادم سأكمل السابعة والعشرون من عمري  
- وتقولي ان فعلتك مبررة؟

(وجدان) : نعم

- هاتي ما عندك

(وجدان) : أنا من وقتٍ لآخر أحب الخروج بسيارقي لوسط الصحراء عصرًا مع زميلتي في عملي وصديقتي المقربة (خولة) خاصة إذا كان لدينا مواضيع مهمة نناقشها ونريد أن نشعر بأننا لوحدنا بعيدًا عن أعين الناس وتطفلهم - تقصدين مواضيع نميمة ..

(وجدان) ضاحكة : شيء من هذا القبيل .. هي تحضر الشاي والقهوة وأنا أجلب المكسرات فلا طعم لأي نقاش دونها - وما علاقة أخيك الصغير بهذا كله؟

(وجدان) : في أحد المرات وأنا استعد للخروج تعلق أخي بي رغبة في مرافقتي ظنًا منه أنني ذاهبة للسوق لكنني رفضت اصطحابه فبدأ يبكي ويصيح بصوت عالي ويتقلب على الأرض محدثًا جلبة لفتت انتباه أمي وأبي اللذان امراني بأخذه معي وإلا لن يسمحا لي بالخروج فأخذته على مضض وأبطنت نية جعل تلك الرحلة وبال عليه حتى لا يفكر بمرافقتي مجددًا في المستقبل

- ولما كل هذا؟ .. ما المشكلة لو أخذتيه معك وتركتيه يلعب في الرمال أمام نظرك خلال نهشك في لحوم الناس مع صاحبتك؟

(وجدان) : المشكلة أني أعرف بأن أخي ملول جدًا وكان سيكي مرة أخرى حالما نصل للمكان ويطلب مني أن أعيده للمنزل .. وهذا ما حدث بالضبط. فبعدما فرشنا المكان وسكبنا أول كأس من الشاي وبدأنا الحديث بدأ يعوي ويشد لباسي طالباً مني إرجاعه لأحضان أمي .. وبالطبع لم استجب له .. لقد أمضينا أكثر من ساعة من وسط المدينة إلى وصلنا واستقررنا في ذلك المكان حتى وإن كنت أستطيع رؤية الشارع المعبد من مكاننا في الأفق فأنا لم أكن مستعدة للرحيل لأجله ..

- ماذا فعلتي إذا ؟

(وجدان) : تركته يبكي كما يشاء وتجاهلته حتى غربت الشمس وحن موعد عودتنا ولأنه أفسد رحلتنا تلك بيكائه المستمر قررت تلقينه درساً قبل أن نترك المكان .. غمزت لصاحبتني بأن تركب السيارة قبلي بعدما وضعنا جميع الحاجيات داخلها وفي غفلة من أخي ركبت أنا وأدركت المحرك وقدت السيارة مبتعدة عن المكان

- وتركتيه بكل بساطة يبكي في ظلام الصحراء

(وجدان) : نعم .. لكن الغريب أنه وبعد أن نظرت له من خلال المرآة الأمامية وجدته واقفاً بوجهه مصدوم ولم يبكي

- ومتى قررت العودة إليه؟ .. أفترض ذلك لأنك قلتي بأنك تريد  
تلقينه درسًا

(وجدان) : بالطبع هذه كانت نيتي .. عدت حالما وصلت لحدود  
الطريق المعبد .. لكن ..

- لكن ماذا؟

(وجدان) : بعدما ابتعدت لمسافة كافية بحيث أخرج عن نطاق نظره  
نبهتني (خولة) بأننا يجب أن نعود له لأننا قد نواجه صعوبة في إيجاد  
الظلام الذي اكتمل وأنه لو جرى مبتعدًا عن مكاننا الأصلي سيكون الأمر  
أصعب فدست على الفرامل بقوة وأدريت المقود بالكامل مما تسبب في  
غوص دواليب السيارة في الرمال الناعمة .. وعلقنا

- هذه عاقبة ما قمتي به ..

(وجدان) : لا تتحمس فالعاقبة لم تدم طويلًا فسيارتي ذات دفع رباعي  
خرجت بسرعة لكنها اخترتني بعض الشيء لأنني حينما عدت للمكان  
حيث كنا فيه لم أجد أخي ..

كيف لم تجد فيه والمنطقة مفتوحة ويمكنك النظر على مدى بعيد؟



(وجدان) : الليل وقتها نزل بأستاره والقمر كان غائباً ومهما ناديت أنا وصاحبتي بأعلى أصواتنا لم نلقى استجابة

- فقدتي أخيك للأبد إذا بسبب تلك الحماقة

(وجدان) : في الحقيقة هذا هو سبب اتصالي ..

- أعتقد كان الأجدر بك الاتصال بالشرطة وليس هذا البرنامج إن كنت تريدان إيجاداه

(وجدان) : ومن قال لك بأننا لم نجده؟ .. بعدما فقدنا الأمل ركبنا السيارة وبدأنا نتجول حول المنطقة مستعينين بأنوار السيارة العالية وبعد ما يقارب الساعتين من البحث وجدناه واقفاً يتأمل السماء .. وقفت عنده وترجلت من سيارتي وحملته على أكتافي ووضعته في المقعد الخلفي وقدت السيارة باتجاه الطريق المعبدة لكن ما لفت انتباهي هو أنه كان صامتاً طيلة الوقت .. توقعت أن ينفجر بكاءً حينما يراني لكنه لم يفعل وبقي محققاً أمامه وكأنه جسد بلا روح

- ماذا كنت تتوقعين؟ .. من الطبيعي ان يصاب طفل في عمره بصدمه نفسيه مما مر به

(وجدان) : لا لم يكن هذا هو الأمر الذي أقلقني وسبب اتصالي بك

اليوم

- ما السبب إذا؟

(وجدان) : ونحن في الطريق عائدون للمنزل تلقيت اتصالاً من أبي يوبخني بشدة ويتوعدني بالعقاب الشديد عندما اعود لأنني تركت أخي لوحده في الصحراء

- باستغراب : كيف علم بالأمر؟

(وجدان) : لأن أخي عاد للمنزل .. ومما فهمت من أبي وقتها أنه سار في الصحراء حتى تمكن من الوصول لأطراف الطريق المعبد حينها لمح أحد المارة وأوصله للمنزل

- قصتك فيها ثغرات كثيرة

(وجدان) : ماذا تقصد؟

- لو افترضنا جديلاً أن قصتك صحيحة .. كيف لذلك الشخص أن يعرف مكان منزلكم؟ .. لا اظن أن طفلاً بعمر أخيك يستطيع

سبب الطريق له بدقة

(وجدان) : كلامك هذا سيكون منطقياً لو كنا نعيش في مدينة كبيرة .. نحن نعيش في بلدة صغيرة وأغلب الناس هنا يعرفون بعضهم البعض والرجل الذي وجد أخى لم يحتاج سوى معرفة اسمه واسم أبى وقبيلته كي يتمكن من تحديد مكانه وهو فى الواقع سلمه لعمى وليس أبى وهو بدوره أخذه لمنزلنا .. قد يبدو كلامى غير منطقياً بالنسبة لك وللـكثير من مستمعين برنامجك لكن هذا ما حدث

- حسناً سأفترض صدقك فى الوقت الراهن حتى نسمع ما تبقى من قصتك .. من كان معكم إذا؟

(وجدان) : أغلقت الخط مع أبى وأوقفت السيارة جانباً وأشرت لصاحبتى بالتزول كي أشرح لها الموضوع بعيداً عن مسامعه وحينما انتهيت قالت لى : «من هذا الطفل الذى برفقتنا إذا؟ .. هل هو شبيه له؟ .. هل اختطفنا ابن أحد ما؟» أجبتها بأنى لا أعرف ولا أعتقد فهو نسخة مطابقة لأخى ويلبس نفس ملابسه فاقترحت علىّ إما أن نعود به أو نسلّمه لمركز الشرطة

- وعلى ماذا وقع اختياركم؟

(وجدان) : أن نتحدث معه ونستقصى الأمر بأنفسنا ..

- وهل استجاب لهما؟

(وجدان) : هنا أحتاج خبرتك وعلمك الواسع في تحديد ماهو هذا «الشيء» الذي كان يجلس في المقعد الخلفي من سيارتي .. فتحت الباب عليه وكان وقتها لا يزال ينظر أمامه بوجه متبلد وأعين متسعة وعندما بدأت بسؤاله بعض الأسئلة الاعتيادية مثل «من أنت؟» و «من أين أتيت؟» صمت ولم يرد لكن حينما وضعت يدي على كتفه لف رأسه ناحيتي وبدأ يصفر بهدوء وبطريقة مخيفة وهنا انتبهت بأن هناك علامة غريبة على جبينه .. شيء يشبه الوشم أو الوشم الأسود

- هل تذكرين شكل الرمز؟

(وجدان) : رسمة أشبه بالخط النحيل تتفرع كجذور النبات

- وماذا لاحظتي أيضاً؟

(وجدان) : أن انامله مختلفة عن أنامل أخي .. أقصر بكثير وكأنها

مقضومة بالكامل

- هذا كل شيء لاحظتيه؟

(وجدان) : نعم .. فبعد أن هممت بأغلاق الباب تحرك ذلك «الشيء»

ودفعني بقوة واسقطني وهرول بسرعة غير بشرية متوجها لوسط الصحراء  
عائداً من حيث وجدناه وسط ذهولي أنا وصاحبتي .. ماذا تظن أن يكون  
ذلك «الشيء»؟

بعد صمت لم يدم إلا ثواني قليلة قال المذيع :

«هذا الشيء ينتمي لفصيلة من الكينونات تسمى بـ «الدرايس» وهي  
كائنات تشكل حينما تستشعر طاقة سلبية قوية ناجمة عن حزن وقهر وهي  
لا تسكن المدن، بل أغلب وجودها في الخلاء والعراء»

(وجدان) : وما هدفها من التشكل؟

- اهداف كثيرة وفي حالتكِ أعتقد أنه أراد استبدال مكان أخيك لأنه  
كان على الأغلب يراقبكم منذ أول لحظة وصلتكم فيها وانتهز تلك  
الفرصة حينما تركتِ أخيك لوحده

(وجدان) بنبرة فيها شيء من الاستخفاف : هل هذا هو رأيك حقاً؟

أجابها (ماجد) بنبرة مماثلة وقال : هل لديك أنتِ رأي آخر؟ .. انحفينا به

(وجدان) : في الحقيقة نعم .. «الدرايس» لا تتشكل كأطفال أو نساء  
وأي شخص يفهم في الروحانيات يعرف ذلك .. ثم إنهم يفضلون الوديان  
والمناطق الجبلية أكثر ووجودهم في الصحراء المفتوحة وبهذا القرب من  
الطريق العام أمر شبه مستحيل ونادر جدًا

صمت (ماجد) وارتسمت على وجهه ملامح الدهشة من علم تلك  
الفتاة الواسع والتي استأنفت حديثها قائلة :

«هذا النوع من الكينونات يُعرف بالـ«الشبري» وهدفه من ذلك  
التشكل ليس كما قلت .. وإنما كان يريد افتراس أخي فقط وتشكل بهيئته  
كي يصيبه بصدمة مؤقتة تمنحه فرصة للتمكن منه لكنه فقد أثره ووجدناه  
نحن .. هذا النوع لا يجيد المحاكاة والتواصل مع البشر بشكل طبيعي  
ومتقن وهذا هو تفسير صفيhre وصمته طيلة الوقت .. هل فهمت الآن  
يا سيدي المذيع؟»

شعر (ماجد) بشيء من الاحراج لأن كل ما قالته تلك الفتاة كان  
صحيحًا ودقيقًا ويفسر بالفعل قصتها بشكل منطقي من الناحية الروحانية  
من الأقل.

(ماجد) محدثاً الفتاة ونظره لـ(نور) التي تشير له بأنها يمكن أن تحس  
الخط لو رغب : تفسير جيد .. لما اتصلتِ إذا على البرنامج إن كنتِ تملكين  
كل هذا العلم؟

(وجدان) : لسبيين .. الأول لأعريك أمام الناس الذين يظنون بأنك  
ملم بهذا العالم

(ماجد) : والسبب الثاني؟

(وجدان) وقد ازدادت نبرتها حقاً : لأثبت بأنك لست الأفضل كي  
يظن المعلم .. وأعرف بأنه ينصت لبرنامجك السخيف الآن!

أغلقت (وجدان) الخط وانقطع الاتصال ..

أشار (ماجد) لـ(نور) للخروج بفاصل اعلاني ..

(نور) متحدثة عبر الأثير : كان اتصالاً شيقاً كالعادة .. فاصل إعلاني  
سريع وسنعود لكم

بدأت فقرة الإعلانات ونهضت (نور) من مكانها وتوجهت ناحية



(ماجد) الذي أشعل سيجارة وبدأ بتدخينها سارحًا وحينما استقرت بجانبه قالت : من كانت تلك المتصلة؟

(ماجد) بشيء من عدم الاكتراث : وما أدراني أنا؟

(نور) : لا تتذكري معي الآن .. من كانت؟

(ماجد) طارقًا بسبابته رأس السيجارة : زميلتي السابقة ..

(نور) : زميلتك في الدراسة؟

(ماجد) : شيء من هذا القبيل ..

(نور) : صوتها في نهاية المكالمة كان مشحونًا بالحقد والكراهية

(ماجد) نافخًا سحابة من الدخان : غيرتها هذه ليست بالشيء الجديد

(نور) : لا أجد سببًا أو مبررًا لتغار منك .. ألم تتخرج وتحصل على نفس

الشهادة

(ماجد) باسمًا : لا .. فصلها العميد مع مرتبة الشرف بسبب سوء

السلوك

(نور) : اه فهمت .. وهي الآن تريد أن تتقم منك لهذا السبب .. كان

الأخرى بها أن تصب جام غضبها على الجامعة والعميد وليس عليك

(ماجد) وهو يطفى السيجارة : لا تستطيع .. فلو اقتربت من العميد  
سوف يكون آخر يوم في حياتها  
(نور) : جامعتكم غريبة ..  
(ماجد) : عودي لمكانك ولناخذ اتصالاً آخر ..

## الهجرة عن هاجر

فتاة بوجه محتقن وعابس تغلق هاتفها وتضعه في جيبها ..  
يرب منها فتاة أخرى أصغر منها سنًا وتحدثها بوجل وقلق قائلة :

«مع من كنتي تتحدثين يا معلمتي ؟..»

(هاجر) : وما شأنك أنتِ ؟ .. أخبري السائق أن يجهز السيارة

- سنخرج ؟

(هاجر) بخليط من السخط والتهكم : لا ! . . أريد فقط سماع دوران  
المحرك ! .. بالطبع سنخرج يا حمقاء ! .. هيا أذهبي ولا تزعجيني أكثر !  
ارتجفت الفتاة خوفًا ووجلًا قبل أن تخرج على عجلة ..

بعد ما يقارب العشر دقائق خرجت (هاجر) وهي تلبس عباءة ونقابًا  
سودًا من منزلها الذي كان بيتًا كبيرًا ذا غرف متعددة يقيم فيه مجموعة من

الشبان والفتيات الذين يتعلمون على يدها واقتربت من سيارة سوداء فارهة وقف بجانبها رجلاً ملتحياً تظهر عليه علامات التدين المألوفة يتللى من فمه عود سواك ويلبس ثوباً أبيضاً ناصعاً وحينما وصلت عنده قام بفتح الباب لها بيده اليسرى الموشومة بوشم صغيراً على شكل نجمة سداسية على ظهرها.

ركبت (هاجر) في المقعد الخلفي فأغلق الرجل الباب خلفها برفق ثم توجه لمقعد السائق وقال : إلى أين يا سيدتي ..

(هاجر) : أنا متضايقة اليوم يا (بدر) ..

(بدر) : فهمت .. لكن الوقت الآن متأخر وتجاوز منتصف الليل وأغلب محلات السوق أغلقت

(هاجر) : أعرف .. لكن بعض المحلات تبقى مفتوحة إلى الثانية صباحاً حاول أن تصل بسرعة قبل أن تغلق وإلا سوف تتعامل مع نفسييتي المتعكرة حتى اليوم التالي

(بدر) : حاضر

قاد الرجل الملتحي السيار وتوجه بها إلى «سوق الذهب» المركزي في المدينة ..

بعد وصولها لمنطقة السوق المركزي لمحلات الذهب ركن (بدر) السيارة في المواقف المخصصة وترجل منها وفتح الباب الخلفي لـ (هاجر) التي نزل وبدأت بالسير تجاه مبنى السوق الكبير و (بدر) يسير خلفها بقامته الطويلة ومناكبه العريضة. كانت أغلب المحلات وقتها قد أغلقت أبوابها أمام الزبائن لكن بعضها لا يزال مفتوحاً وبعد تجول في بعض منها واستعراض ما يقدمونه من حلي بكافة الأنواع والأشكال استقرت (هاجر) على أحدها وطلبت من البائع إخراج مجموعة من أفضل التصميمات عنده ففعل وبسطها على طاولة العرض أمامها وقال :

- هذه المجموعة هي أفضل ما لدينا وكل التصميمات حديثة ولن تجدي شبيه لها في أي مكان آخر في السوق

(هاجر) وهي تتفحص عقداً من الذهب الخالص مزين بفصوص الألماس : أريد مثله لكن دون الأحجار

- يمكننا صناعة واحدًا لكِ لكن ذلك سيستغرق وقتاً

(هاجر) : فقط أحضر لي أفضل المصوغات عندك بشرط أن تكون خالية من الفصوص ومصنوعة من الذهب الأصفر الخالص كي لا تضيع

وقتي ووقتك

- حاضر

عرض البائع مجموعة من الأطقم الكبيرة والفاخرة أمام (هاجر) وقال :

«هذا ما طلبتي .. أفضل وأفخم ما بحوزتنا..»

(هاجر) : وبالطبع هي الأعلى ..

- لن نختلف على السعر .. أي منها اخترتِ؟

(هاجر) : أريدها كلها ..

تبسم البائع وقال متشياً : سوف أطلب من صاحب المحل أن يعطيك خصماً خاصاً ولو أن سعر الذهب في الغالب مرهون بسعر السوق، ولكن يمكننا التنازل عن بعض قيمة المصنعية والتصميم

(هاجر) : لا .. حرر لي الفاتورة بالسعر كما هو وبدون خصم

استغرب البائع من كلامها لكنه لم يعلق وقال : وما هي طريقة الدفع؟

تبسمت (هاجر) وقالت : حرر الفواتير وسأخبرك ..

- عذراً لا يمكنني تحرير أي فاتورة قبل الدفع

تحرك (بدر) الذي كان يقف على بعد منها ووقف خلف (هاجر) التي رفعت ثيابها ورمت به فوق رأسها وبدأت تتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة ما أدخل البائع في حالة من السرحان لثواني أتبعها بقول : حاضر ..

استلمت (هاجر) جميع المصوغات وناولتها لـ (بدر) الذي حملها معه  
وسار خلف سيدته التي خرجت من المحل ومن السوق وتوجهها  
لسيارتها المركونة.

خلال سيرهما مبتعدين عن سوق الذهب كانت (هاجر) تجرب الأطقم في  
المقعد الخلفي وهي تقول :

« لا شيء يغير مزاجي مثل الذهب ..؟ »

(بدر) : إلى أين الآن يا سيدتي؟

(هاجر) : للمنزل .. أريد أن أرتاح فلدينا مشاوير كثيرة غداً

(بدر) : أمرك

بعد مسيرة ربع ساعة تقريباً تحدث (بدر) وقال : « سيدة (هاجر) .. »

(هاجر) : ماذا تريد؟

(بدر) : لم أكن أريد إزعاجك قبل أن اتأكد

(هاجر) : تتأكد من ماذا؟



(بدر) : اعتقد ان هناك سيارة تتعقبنا

(هاجر) وهي تلتفت خلفها تحاول النظر عبر زجاج السيارة الخلفي :  
تقصد تلك السيارة الرياضية السوداء؟

(بدر) وعينه تراقب تلك السيارة من المرآة الامامية : نعم .. لقد لمحته  
بعد خروجنا من السوق و سلكنا الطريق العام وتأكدت الآن من انه يتعقبنا  
بعدها غيرت مساري اكثر من مرة وهو لا يزال في اثرنا

(هاجر) وهي لا تزال تراقب السيارة : هل تعتقد أنه يريد سرقتنا؟

(بدر) : ربما لا اعرف ..

(هاجر) : هل تعرف السيارة او رايتها من قبل؟

(بدر) : لا ..

(هاجر) : وماذا تقترح ان نفعل ؟

(بدر) : اتوقف وارى من هو وماذا يريد .. لا أريده ان يعرف أين تقيمين

(هاجر) : معتدلة في جلستها : هل جلبت سلاحك معك؟

(بدر) : نعم ..

(هاجر) : توقف إذا ولنرى ما يريد

أوقف (بدر) السيارة وبقي يراقب السيارة التي توقفت كذلك على بعد يسير منها ..

(هاجر) دون ان تلتفت خلفها : هل توقف؟

ترجل (بدر) من السيارة ماسحاً على لحيته ويشد على رباط السلاح حول خصرته قائلاً : «نعم ..»

(هاجر) : كن حذراً ..

أدارت (هاجر) رقبتها وراقبت (بدر) وهو يقترب من تلك السيارة التي لم يترجل سائقها منها وحينما وصل عند نافذتها أشار له بإنزالها ففعل . وبعد حديث وجيز معه خرجت ذراع السائق من النافذة ولكمت (بدر) مباشرة في وجهه وتحديداً على أنفه مما أدى لسقوطه مغمياً عليه على الفور . ارتبكت (هاجر) من المشهد لكنها تماكنت نفسها وراقبت السائق وهو ينزل من سيارته ويبدأ بالتوجه ناحيتها .

كان رجلٌ أصلعٌ ضخّم وطويل القامة بوشم عقرب على عنقه يلبس بدلة  
رسمية سوداء ونظارة طبية.

## ضاحك الشجر تعيس الحال

وضعت قلم الرصاص جانباً لأخذ وقت مستقطع من التدوين تلك  
الليلة ..

حملت القط الأبيض السمين ووضعتَه على حجري وبدأت امسح على  
رأسه وهو يخرخر بهدوء بأعين مغمضة ..

بعد سرحان وتأمل لم يدم طويلاً حدثني صوت قادم من العتمة ورائي :  
«الي ماخذ عقلك يتنها به ..»

أجبت وأنا على نفس الوضع دون الالتفات نحو صاحب الصوت :  
«ألا يمكنني أن احظى بلحظة هدوء دون ازعاج منك يا (دجن)؟»

(دجن) : ترا أنا التزمت بكلامي وما كلمتك وأنت تشخبط في كراستك ..  
عطيتك «فسحتك الشخصية» على قولتك

تقصد «مساحتي الشخصية»..

(دجن) : الي هو ..

- وماذا تريد الان؟

(دجن) : ياخي اطلع .. اطلع من هالمكان الكتيب شوي خلنا نشوف

الحياة

- أنا أخرج دائمًا .. ومؤخرًا بدأت أخرج أكثر من اللزوم في الواقع

(دجن) : أنا أتكلم عنك أنت مو الثلاثي المرح الي ترسلهم بدالك ..

تعرف أناي مقدر اطلع معهم

- تتحدث وكأنك مربوط بي .. أخرج وأذهب حيث تشاء فأنا لم امنعك

(دجن) : وين أروح؟ .. أنا أبي أغير جو معك مو لوحدي

- علاقتك معي أصبحت مرضية

(دجن) : المرض هو علاقتك بأم عيون كحيلة

- ماذا تقصد؟

(دجن) : ترا أنا مو أبله وأشوف الجنى الأزرق الي يحبك من وقت

للثاني عشان يعطيك أخبارها بس اللعين مقدر افهم شيقول لأنه محصن  
نفسه بس أنا متأكد أنك ترسله عشان يراقبها

- لا اعرف عن ماذا تتحدث؟

(دجن): يا شيخ يا بريء .. ترا موكل مرة بساعدك لما تسممك مثل

الفار

أدرت الكرسي وواجهت (دجن) الذي كان متشكل بهيئة البشرية  
المعتادة وقلت له : اعتقد أنه حان الوقت كي تتعرف على صديق جديد

(دجن): شتقصد؟

- ما رأيك بـ (عواد)؟

(دجن): أبو البيض؟ .. شفيه

- لما لا أقدمك له على أساس أنك صديق قديم لي قدمت لزيارتي

(دجن): وبعدين؟

- كلاهما يحمل نفس المشكلة وقد تجدان الحل سوياً

(دجن): مشكلة أيش؟

- الفراغ ..

(دجن) : ذكرتني بأملك وهي تحاول تخطب لك .. لا شكرًا ما احتاج  
بشر بحياتي .. أنت وبالكاد متحملتك

- فكر بالأمر .. صدقني ستندمجان

(دجن) : طيب قوم بالأول خل نطلع

- نذهب إلى أين؟

(دجن) : عازمك على قهوة بالسكر .. مو هذا ذوقك المخيس؟

تبسمت وقلت وأنا أمد القط الأبيض السمين لـ (دجن) :

حسنًا .. خذ (ليو) واسبقني للأعلى .. سوف أنهي آخر صفحة من

مدونتي وألحق بك

(دجن) : أحد قالك أني اشتغل خادماً لقطاوتك؟

- هذا ثمن خروجي معك اليوم .. ماذا قلت؟

حمل (دجن) القط الأبيض السمين على مضض وقال قبل أن يهم

بالصعود :

«أنا ما أعرف كيف تلقى وقت للحيوارات في حياتك ..»



قلت وأنا أعود لمنضدتي ملتقطاً قلم الرصاص :

«مثل ما وجدت وقتاً لك وجدت وقتاً لهم ..»

(دجن) من أعلى السلم قبل أن يغلق الباب :

«ترا سمعتك يا عاشق المشموخة ..»

## نقض عهد وبرم عقدة

استأنفت الكتابة في المدونة .. كتبت سطرَ تبع سطر ..

المكان كان هادئًا وخلا من أي صوت ..

عدى صوت رأس القلم وهو يحتك بالورق ..

وهدير هواء التكييف الذي ازداد برودة فجأة ..

أقفلت مكيف الهواء .. فالبرد لم يعد محتمل

ساد الصمت والهدوء ..

كسره صوت قادم من أحد أركان القبو المظلم ..

شخص حدثني بنبرة ساخرة وقال :

«هل أنت خوف ؟..»

وجهت نظري تجاه الزاوية التي أتى منها الصوت فرأيتَه يتقدم نحوي  
بابتسامة عريضة وهو يلبس لباسه الأبيض كما اعتاد ..

قلت ببرود : أنت ؟ .. ماذا تريد ؟ .. ألم تنتهي ؟

ضحك الرجل الأبيض بقوة لم اراه يفعلها من قبل ثم قال :

«أجب على سؤالي قبلها! .. هل أنت خوف؟!»

- هل أتيت هنا للمزاح ..؟

اقترب (الرجل الأبيض) أكثر مني وبدأ يمسح يده على سطح مكتبي  
وعلى الأوراق التي كنت أدون فيها وقال : «ألم تنفق انك لن تنشر المزيد  
«؟..»

- أنا أكتب .. ولم أنشر شيء .. الاستغناء ليس من أطباعك

(الرجل الأبيض) رافعاً قلم الرصاص متأملاً قمته : ولا أطباعك ..

- أنا ملتزم بعهدي معك ولو كنت قد اخلفته لما كنا نتحدث الآن وأنت

تعرف ذلك

أدرا الرجل الأنيق نظره لي وبوجه ونبرة جادة وهادئة :

«ماذا إذا أيها المدون؟ .. ما الذي نحاول ان نفعله؟»

- لا افهم ماذا تقصد

رمى الرجل الانيق القلم جانباً وضرب بقبضته على سطح الطاولة بقوة  
ولأول مرة اراه يفقد هدوئه ويصرخ بغضب قائلاً :

«كف عن المراوغة وتحدث معي كما تتحدث مع نفسك! .. لما أنت مستمر  
بالنشر؟!»

- أنا لم أنشر شيء منذ ما يقارب العام ثم إن الاتفاق كان على المدونات  
فقط وقد توقفت .. ماذا تريد مني الان

وفي لحظة تغيرت معالم وجهه من التجهم العابس الى ابتسامة بشوشة  
وقال بصوت متودد : «لما تحدثني وكأنني احد الحمقى الذين تستطيع  
مراوغتهم بالأعييك؟»

أجبتة بنبرة ساخرة وابتسامة صغيرة وقلت : تقصد (دجن)؟

(الرجل الأنيق) : اسمع .. سأعقد معك اتفاقاً جديد

- بخصوص؟

(الرجل الأنيق) : سأمنحك حق نشر ما تريده من مدوناتك السخيفة

مجددًا

- لا شكرا .. أنا مكتفي بما نشرت

(الرجل الأنيق) : صدقني العرض مغري جدًا ..

- ربما بالنسبة لك .. لقد اكتفيت وقمت بإيصال ما أريد إيصاله

(الرجل الأنيق) بشيء من التندر : بالطبع فأنت الآن تستطيع الحديث

كما تشاء ووقتًا تشاء فالكل يريد سماع ما يقوله خوف

- هل ستمنعني عن الكلام أيضًا؟

(الرجل الأنيق) مقربًا وجهه لوجهي لدرجة أن اطراف انوفنا كادت

أن تتلامس :

بالعكس .. تحدث .. تحدث كما يحلو لك .. ففي كل مرة تفتح فيها فمك

تهدم كل ما بنيت

- رائحة العطر الذي تضعها جميلة .. ما أسمها؟

ابعد الرجل الأنيق وجهه واستقام وهو يشد على ربطة عنقه الحمراء

وقال :

«أحد الأمور التي سأقدمها لك في العرض الجديد هي تقويض تلك الفتاة  
المنشقة عن مدرستك الفاشلة .. هل تذكرها؟ .. تلميذتك السابقة .. ما  
رأيك؟ .. هل تريد سماع عرضي؟»

صمت لشواني ثم قلت :

«أنا منصت ..»

## ديني اليوم ينقضي ..

لما عندما نسمع خبر وفاة شخص ما أو مجموعة أشخاص أول شيء  
يطرأ في أذهاننا كي نسأل ونستفسر عنه هو سبب الوفاة؟ وتجتاحنا رغبة  
ملحة في معرفة ذلك السبب نريد الوصول إليه بأي شكل من الأشكال  
وكأننا مقتنعين أن كل من يموت يجب أن نجد تبريراً لرحيله عن هذه الدنيا  
كي نرتاح ونقول لأنفسنا أننا لسنا مثله وأننا لن نموت فجأة وبدون سبب.  
مسألة اغماض العينين وعدم الاستيقاظ مجدداً بكل هدوء وسكينة لأي  
عمر دون وجود مسببات هي أكثر شيوعاً مما نظن لكن الفكرة ترعبنا ولا  
نريد تصديقها أو سماعها ونتجاهل التفكير بها على الدوام. لأننا نحتاج  
تبريراً ملموساً ليطمئنتنا أنه لا وجود لشيء اسمه الموت قبل الشيخوخة أو  
دون المرض أو التعرض لحادث ما.

التجاهل يقود للجهل أحياناً .. والجهل نعمة ننعم بها وقد ندمن عليها لو  
أسرفنا في استخدامها ..



تجاهل شمس الحقيقة مهما سلخت اشعتها جلودنا لن يجعلها تغيب ..  
وتظاهرنّا بأنها غير موجودة ولبس نظارة «عدم الاكتراث» والتواري داخل  
منازل اللامبالاة لن يلغي وجودها وحرها الكاوي.

لن نتحرر من شيء بتجاهله ..

فالحرية نتيجة نصل إليها وليست عادة لنمارسها ..

لذا كان منهجي ولا يزال في إيجاد الحقيقة المحررة لروحي هو البحث  
والتقصي بنفسي وشعاري دومًا هو «التجربة خير برهان ..»

قاتلت طيلة السنوات الفاتئة من عمري لأصل لـ «الحق من الكلام»  
وما أن حصلت على نتيجة مرضية لي ولعقلي المشكك والمتسائل أحييت  
مشاركتها مع الغير الذي هو أحوج مني لها الآن فاكشفت بأنه يجب عليّ  
أن أخوض معركة أخرى .. وهي «حقّي في الكلام» .. حرية سلبت لي

غفلة مني ودون مشورتي .. فلا حوار سينشأ بين طرفين أحدهما رافض أو  
لا يملك أدوات الحوار.

القدرة على الكلام بحد ذاتها ليس دليلاً على الحرية إذا كنت مجبراً على  
ذلك. فالحرية هي حق اختيار متى أتكلم ومتى أصمت وفي أي موضوع  
أتحدث من عدمه لذا فالحرية ليست فعل يمارس وعبرة «ممارسة  
الحریات» هي جملة خاطئة ومتناقضة في أساسها ..  
«الحرية حق ونتيجة وليست فعل وممارسة ..»

اكتشفت مؤخرًا ومتأخرًا بأن الحوار ليس أفضل وسيلة لتغيير القناعات  
الراسخة للفرد أو للناس بين عشية وضحاها. فهذا أمرٌ أشبه بالمستحيل ..  
فالفكر الراسخ والمبادئ المتوارثة للشخص هي كجذور شجرة مغروسة  
وممتدة في أعماق الأرض لمئات السنين ولن تنجلي أو تتبدد بالحوار ومحاولة  
الاقناع المباشر مهما كنت منطقيًا في نقاشك معه.

الطريقة المثلى كانت أبسط من ذلك بكثير .. كبساطة العقل الذي  
أحاول إنقاذه ..

الأمر لا يتطلب منك سوى زرع بذرة الشك في رأسه المتحجر لتنمو  
ببطء وهدوء بين قناعاته البائدة وتركها برهة من الزمن قد تطول أو تقصر  
لكن ما وأن تنفلق تلك البذرة وتشق بجذورها وتتمدد في جوانب عقله  
المتآكل وحينها سيكون الأمر قد حسم ومع تقدم الوقت سيأكل ذلك  
الشك فيه وفي قناعاته حتى تزول جميعها ويحل مكانها فكرة جديدة مغايرة  
تماما لفكره السابق .. فكرك أنت.

ببساطة .. لا ترهق نفسك بمحاولة اقتلاع شجرة ذات جذور راسخة  
كالأوتاد .. ابذر بذرة تحت تلك الجذور لتنمو شجرة أخرى تقتلعها  
وتحل مكانها .. هكذا يتم تغيير الأفكار

مازال هنالك الكثير .. والكثير ..

ليكتب .. ويدون ..

فليكن الشك منهجك والخوف سلاحك ..

شكك بكل فكرة ..

كل رأي ..

كل حقيقة مسلم بها ..

وإن كنت تشك بكلامي الآن ولا تأخذ به كمسلمات فأنت على الطريق

الصحيح نحو التنوير ..

أنا خوف ..

وإن قابلتني يوماً فلا تسألني عن هويتي وحقيقتي وأكتفي بسؤال نفسك

هذا السؤال :

أيها أهم؟ .. الفكرة .. أم صاحبها



